

مجلة المجمع العلمي العربي

٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٧٨ هـ

١ تموز سنة ١٩٥٩ م

ثلاث رحلات

الطهطاوي — الشدياق — كردعلي

إذا بحثنا عن بدء نهضتنا الحديثة فلا مندوحة لنا عن الإشارة إلى ثلاث رحلات كانت لأصحابها أعمق الأثر في هذه النهضة ، فقد وقفوا على أشياء كثيرة من خصائص الغرب وأخلاق أهله وعاداتهم ومذاهبهم في السياسة والفن والأدب ، فعملوا كتباً أودعوا ما وقفوا عليه وما دهشوا منه فتركت هذه الكتب في آفاقهم آثاراً شتى ، ولئن اختلفوا بعض الاختلاف في نظراتهم إلى الأمور على قدر أمرجتهم وأذواقهم ومداركهم فقد اتفقوا في غاياتهم من رحلاتهم ، فقد كانت غاياتهم منها ايقاظ الشرق من رقدته وحثه على الأخذ بأسباب العلم والحضارة وكان لكل واحد منهم أسلوب خاص في التنبية والإرشاد .
أما الرحلات الثلاث فأصحابها رفاة رافع الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق ومحمد كردعلي ، وقد وضع كل منهم في مقدمة رحلته غايته من الرحلة أكل توضيح .

خرج الطهطاري من مصر سنة ١٢٤١ ووضعت كتاباً سماه : تخلص الايريز في تخلص باريز طبع الطبعة الأولى في بولاق سنة ١٢٥٠ واذا رجعنا إلى مقدمة الكتاب وجدنا فيها ما يدلنا على الغرض من رحلة صاحبه فقد أرسل من قبل والي مصر محمد علي إلى باريز في جملة من أرسل : « ليتعلم العلوم والفنون الموجودة بهذه المدينة الهيبية » هذا ما قاله الطهطاري ، إلا أنه كانت له غايات أبعد فصلها في قول آخر :

« فلما رسم اسمي في جملة المسافرين وغرمت على التوجه أشار عليّ بعض الأقارب والمحبتين لاسمنا شيخنا المطار ، فانه مولع بسماع عجائب الأخبار والاطلاع على غرائب الآثار أن أتبه على ما يقع من هذه السفارة وعلى ما أراه وما أصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة وأن أقيده ليكون نافعا في كشف القناع عن محيا هذه البقاع فما قصرت في أن قيّدت في سفري رحلة صغيرة نزّهتها عن خلل التسهل والتحمل وبرايتها عن زلل التكاسل والتفاضل وشحتها ببعض استطرادات نافعة واستظهارات ساطمة وأنطقها ببحث ديار الإسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع فان كمال ذلك ببلاد الافرنج أمر ثابت شائع والحق أحق أن يتبع ، ولحمدا لله انني مدّة اقامتي بهذه البلاد في حمرة على تمنها بذلك وخلو بمالك الإسلام منه ، وآياك أن تجد ما ذكره لك خارجا عن عادتك فيعسر عليك تصديقه ، فتظنه من باب الهذر والخرافات أو من جنس الإفراط والمبالغات . . . »

وقد أشهدت الله سبحانه وتعالى على ألاّ أحميد في جميع ما أقوله عن طريق الحق وأن أفشي ما سمع به خاطري من الحكم باستحسان بعض أمور هذه البلاد وعوائدها على حسب ما يقتضيه الحال ومن المعلوم اني لا أستحسن إلا ما لم يخالف نص الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التحيّة . «

وختم مقدمته بقوله :

« وأسال الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب مقبولاً لدى الخاص والعام وأن يوقظ به من نوم الغفلة صائر الأمم الإسلام من عرب وعجم . »
 من هذه المقدمة يتبين لنا أن الطهطاوي قد توخى في رحلته في جملة ما توخاه من طاب العلوم والفنون حيث ديار الإسلام ، عربها وعجمها على الانصراف الى هذه العلوم والفنون وابقاظ أهل هذه الديار من غفلتهم وهذا ما يثبت لنا أن رحلته الى الغرب كانت عاملاً من عوامل نهضتنا الحديثة فقد رمى فيها الى الايقاظ والتنبيه .

ولم تكن هذه الفكرة فكرة الطهطاوي وحده فان الذين فكروا في أوّل بعثة الى الغرب كانت غايتهم إحياء العمران والعلوم والفنون في بلادهم ، فهم في تفكيرهم هذا وفي إنفاذ هذا التفكير من أعظم الباعثين على النهضة الحديثة وقد وضع الطهطاوي هذه الفكرة في الباب الأول من رحلته فقال :

« ولهذا تنبه المتولى على بلاد مصر أن يرجع اليها شبابها القديم ويحيي رونقها الرميم ، فن مبدأ تولينه وهو علاج في مداواة دائها الذي لولاه كان عضالاً ويصلح فسادها الذي قد كاد يكون زواله محالاً . »

ثم أفاض الطهطاوي بمد ذلك في مدح والي مصر والتنبيه على ميله الى العمران ونشر العلوم والفنون والصناعات .

لا أريد التوسع في الكلام على رحلة الطهطاوي وعلى خصائصها في مثل هذا المقام وانما الذي رميت إليه أن أبين أن هذه الرحلة كانت عاملاً من عوامل النهضة الحديثة فقد رجع صاحبها الى مصر ونشر كتابه بين ظهرائي قومه وقد تضمن هذا الكتاب ما وقعت عليه عينه في الغرب من أكثر أمور الحياة ، ولا سيما حربة الرأي فكان لكثير من مشاهداته تأثير في المقول ، فبدأت النهضة الحديثة .

وإذا فرغنا من مطالعة تخلص الأبريز وانصرفنا الى مطالعة كتابي الشدياق :
الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف اغبا عن فنون أوروبا وجدنا أن غابة
الشدياق من رحلته الى الغرب لا تختلف كثيراً عن غابة الطمطاوي ، ماذا يقول
الشدياق في مقدمة رحلته التي طبعت الطبعة الثانية في قسطنطينية سنة ١٢٩٩ :
« ويعلم الله اني مع كثرة ما شاهدت في تلك البلاد من الغرائب وأدركت
فيها من الرغائب كنت أبدأ منفض العيش مكدره كمن فقد وطره ولزمته معسرة ،
لا يروقني نضار ولا نضرة ، ولا نعمة ولا مسرة ولا طرب ولا طو ولا حسن
ولا زهو لما أني كنت دائم التفكير في خلوت بلادنا عمّا عندهم من التمدن
والبراعة والتفنن ثم تعرض لي عوارض من السلوان بأن أهل بلادنا قد اختصوا
بأخلاق حسان وكرم يفظي العيوب ويستر ما شان ولا سبياً الغيرة على الحرم
وصون العرض عمّا من هذا الصوب بدم ثم أعود الى التفكير في المصالح المدنية
والأسباب المعاشية وانتشار المعارف العمومية والى إتقان الصنائع وتعميم الفوائد
والمنافع فيجفل ذلك السلوان وأعود الى الأشجان . »

هذا كلام صريح ، فقد رحل الشدياق الى مالطة وفرنسة وانكثرة وقابل
بين بلادنا وبلادهم في أبواب التمدن والعلوم والصناعات فكانت هذه المقابلة
تدخل الحزن على قلبه خلوت بلاده مما اشتملت عليه بلاد الافرنجة ، تكثر المقابلات
والموازنات في رحلة الشدياق فهو يقابل بين أخلاق وأخلاق وبين عادات وعادات
وبين طبائع وطبائع ، يقابل بين زواج وزواج ، وبين لباس ولباس وبين طعام
وطعام فينقد ويحكم ويسخر ولكنه في كل نقده وحكمه وسخرته لا يتوخى إلا
الإصلاح والإرشاد ، إصلاح ما اعوج من أخلاق بلاده وعاداتها وإرشادها
الى محاسن الأخلاق والعادات ، لقد نقل الشدياق الى الشرق كثيراً من محاسن
الأمر التي رآها في الغرب فكانت عنصراً قوياً من عناصر النهضة الحديثة
فهو مصالح اجتماعي من أكبر المصلحين ولم يعرف بعد مقامه في هذا الإصلاح

حق المعرفة حتى يومنا هذا فلا تزال الظلمات تغطي على ضياء عقله الراجح وأفقه الواسع .

قابل سرّة في رحلته بين بعض أوضاعنا وبعض أوضاع الافرنجة ، تكلم على العلم في بلاد الانكيز فقال :

« غير أن العلم عندهم لا يكون بمعرفة قواعد النحو والصرف أو بنظم قصائد وإنما هو مطالعة القتين اليونانية واللاتينية ومعرفة أدبها ومعرفة التاريخ والفلسفة والهندسة والرياضيات » .

هذه المقابلات التي كانت تجري خلال رحلته كان يرمي فيها الى إرشاد أهل بلاده الى حقائق الأمور فلم يترك فرصة تمرّ به دون أن ينتهزها لا يبقاظ قومه ، كان يتكلم على الوظائف في بلاد الانكيز وعلى ترتيب أصناف الناس فقال وقد خطرت بباله حالة بلاده :

« فأما في بلادنا حرصها الله فان ناظر المدايع جدير بأن ينظر في جلود بني آدم ويصبغها بلون الدرّة والسوط أو يسبر ماهي عليه من الطراوة والنعمومة ، والمحتسب خليق بأن يزن أعمال عباد الله وأموالهم في بيوتهم ويروز ما في عياب صدورهم من الخواطر والأفكار وللحاكم أو للمطران أن يسقط حق الحق لحرف أسقطه في الكلام وللضابط أن يبيت الناس في مضاجعهم وللشرطي أن يقبض على أي شخص كان والضابط المسكر أن يخترط سيفه على أي عنق صنحت له وللبطرك أن يحرم أي شخص كان من رعيته حتى لا يعود لأحد من أقاربه وأهل بلدته استطاعة على مخاطبته ومبايحته » .

وبعد أن أحصى هذه الأمور كلها التي كانت تجري في عصره ، عصر الظلمات ، بعد أن قابل بينها وبين الأمور التي رآها في الغرب صرخ هذه الصرخة :

« وإلى من المشتكى وأمين المصير وأمين الجير ، فياليت شعري متى نصير نحن ولد آدم كهؤلاء البشر ومتى نعرف الحقوق الواجبة لنا وعلينا ، أنخال أن معنى

التمدن هو أن يكون الناس في مدينة وفيها ذئب وسباع ، كلاً ثم كلاً ،
 جدير أن اجتمع الذئب والخروف في مرعى واحد ليوجب على اليهود أن يؤمنوا
 بأن المسيح قد جاء .»

فاذا تدبّرت العقول في نهضتنا الحديثة فانها لم تتنبّه إلا بمثل هذه الأفكار
 التي اشتملت عليها كتب الرحلات وبمثل هذه المقابلات ، فالشدياق كان في مقدمة
 الدين نبّوا الناس في نهضتنا .

أما كردعلي فقد سمى رحلته : غرائب الغرب ، قال في مقدمته :

« هذه فصول ومقالات ، بل آهات وتأوهات ، كتبتها في وصف معالم
 الغرب وما لقيته فيه وقد زرتة ثلاث مرات ٠٠٠٠ وأنا على مثل اليقين بأنها
 لا تحمل في مطايرها في تلك المدينة الساحرة إلا بقدر ما تصل اليه يد عابر
 سبيل وبشفطن لها النزبل والدخيل .»

لاشك في أن كلمة آهات وتأوهات تدلنا على أن كردعلي بهره مارأى من
 مدينة الغرب فتحسّر على خلوّ بلاده من هذه المدينة ، ولئن لم يوضح في هذه
 المقدمة غايته من الرحلة فقد وضحها في أول فصل من فصول كتابه إذ قال :
 « كان من أعظم أماني النفس منذ بضع سنين أن أرحل الى أوروبا رحلة
 علمية ، أنقضي فيها ردياً من الدهر للتوفّر على دراسة حضارة الغرب في منبعتها
 واستطلاع طلع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المنزهون
 والعلماء ، العاملون والساسة المستعمرون والقادة والغازون والتجار والصناع والزراع
 والماليون وهم على التحقيق مادة تلك المدينة وهيولهاها .»

غاية كردعلي في هذا الكلام واضحة فانّ همّه التوفّر على دراسة حضارة
 الغرب ولكن ما هو غرضه من هذه الدراسة ، إن هو إلا الإصلاح ، شأنه

في ذلك شأن الشدياق من قبله الذي سبقه الى الغرب ، لقد كثرت أوهاته
وتأوهاته في الغرب ، من ذلك قوله :

« ومن الأصف العظيم أننا لو أحصينا عدد ما يصدر من جميع الجرائد والمجلات
العربية والتركية والفارسية في البلاد المصرية والعثمانية والایرانية لا يبلغ بكميته
قدر ما نطبع كل يوم جريدة : البتي مارسييلية ، احدى جرائد ولايات فرنسا ،
وعلى هذه النسبة قس ولا تخف درجة ارتقائنا وارتقاء الفرنسيين وسجل علينا
بالفقر المدقع في كل شيء ، ولا سيما في الأمور العقلية » .

شرع كرد علي في المقابلات على نحو ما فعله الشدياق في رحلته ، فهو يقابل
بين انتشار الصحافة في مصر وتركيا وایران وبين انتشارها في مدينة واحدة
من مدن فرنسا ويستخرج من هذه المقابلة درجة ارتقاء بلاده وارتقاء الفرنسيين
وتؤدي به هذه المقابلة الى الحكم بانحطاط الشرق في كل شيء ، ولا سيما
في الأمور العقلية ، ليس غرضنا في هذا المقال المناقشة والمجادلة ، فقد يخطئ
كرد علي في حكمه ، ان بلاد الشرق التي ذكرها كانت في أوّل نهضتها ولذلك
فان عدد صحافتها قليل ، أمّا فرنسا فقد كانت في أيام رحلته تذوق نعمة الحرية
من زمن بعيد ، فلا تصح المقابلة بين بلاد في أوّل نهضتها وبين بلاد في عزّة
النهضة ، غير أن كرد علي لم يتحصّر هذا التحصّر إلا ليحمل بلاده على الأخذ
بأسباب حضارة الغرب ، فهو لم يرحل الى الغرب إلا ليعود الى بلاده وينفخ
فيها روح الاقتباس .

لقد كثرت دهشات كرد علي في رحلته ، دهش من حضارة الغرب حتى كاد
يحسبها من باب الحلم والخيال ، ولا غرابة في ذلك فقد خرج من بلاد كلها
ظلمات ، الى بلاد يستفيض فيها النور ، فقابل على حين لا تصح المقابلة في هذا
الوجه ، ولكنه لم يقابل إلا ليحض أبناء وطنه على الاقتباس من مدينة الغرب
على نحو ما أمرت إليه ، ولا بد من الإشارة في هذا المقام الى أن فرنسا التي

دهش كرد علي من حضارتها في رحلته اليها من نصف قرن كانت سمعتها تملأ الأرض ، فلم يكن الناس يعرفون عنها في تلك الأيام ما عرفوه عنها في هذا العصر من أساليبها في الاستعمار .

ليس هذا موضوعنا ، لنرجع الى لب الموضوع ، لقد كان لاتصال الشرق بالغرب أثر قوي في نهضتنا الحديثة ، كان كرد علي يرى ما يرى من سياسة الغرب ومذاهبه في الاجتماع والعلم والصناعة والزراعة والاقتصاد وغير ذلك من مظاهر الحياة فيدرس ويختبر ثم يستنبط من دراسته واخبره عبرة صالحة لينفع بها قومه وبمجتمعه ، فالكتاب الثلاثة الذين أشرنا إليهم في هذا المقال غرضهم من رحلتهم الرجوع بخواطر وأفكار تنهض بلادهم ، وكما تحسّر الشدياق على تأخر بلاده فكذلك تحسّر كرد علي :

« فيارب ! ما هذه الروح التي تجرد منها جسم الشرق وممرت في عظام الغرب وشرايينه ، فأنى أهل العظام ونحن بقينا جامدين ، مبهوتين ، منحلين ، متضائلين ! »

وإن كان هؤلاء الكتاب الثلاثة مادة خصبة من مواد نهضتنا الحديثة بسبب رحلاتهم لقد كان لكل واحد منهم أسلوب خاص في النظر الى حضارة الغرب والحكم عليها ودرجة الاستفادة منها والافتقار عنها ، فالطهطاوي غلبت عليه نزعة دينية ، فقد تمسك باسلامه فلم يستحسن من أمور الانفرنجة إلا ما كان الاسلام يسمح باستحسانه والشدياق غلبت عليه السخرية فهو يسخر بالغرب اذا رأى ما يحمل على السخرية وبهظم منه ما يستوجب النعظيم وأما كرد علي فقد بلغت دهشته من حضارة الغرب كل مبلغ بحيث كاد لا يرى فيها إلا حسنات ، وكيف كان الأمر فان هؤلاء الأئمة الثلاثة كانوا في مقدمة من بنوا نهضتنا الحديثة ، فقد نقلوا الى الشرق ما وقفوا عليه من كثير من أمور الغرب في كل باب من الأبواب ، فكان لرحلاتهم انعكاس على عقول أهل البلاد .

شفيق هجري

www.alukah.net

ثقافة الأطباء عند العرب

لم أعثر في الكتب العربية الطبية على بحث خاص يربنا كيف كان أطباء العرب في عصورهم العلمية وحضارتهم الزاهية يهبطون أنفسهم لدراسة علم الطب وماذا يتعلمون من كتبه الموجودة في زمنهم .

واننا وان كنا نعرف الكثير عن البيارستانات والمشافي وأقسامها وفروعها وادارتها وأطبائها وما بلحق بها من معاهد للتدريس والتعليم ، ولكننا لا نعرف بالضبط ما هي العلوم التي كانوا يدرسونها وكيف كانت تجري امتحاناتهم ؟ .
ولأهمية الموضوع وجدت ضرورة للبحث في مختلف المراجع القديمة والتراجم الطبية^(١) علّني أهتدي إليه ، وإلى معرفة العوامل التي أدت إلى ازدهار العلوم الطبية والعلوم الطبيعية وغيرها وما كان لأطباء العرب من نصيب في هذا المضمار .
والذي انضح لي بعد كل جهد أن أطباء العرب في القرون الخمسة الأولى من حضارتهم كانوا (انسكويدين) أي (موسوعيين) بمعنى أنهم كانوا يتعلمون

-
- (١) كميون الأنباء في طبقات الأطباء لوفيق الدين أبو العباس بن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٨٨ هـ . ٢ - وتاريخ الحكماء لظهير الدين البيهقي المتوفى عام ٥٦٥ هـ . ٣ - وإخبار العلماء بأخبار الحكماء لجلي الدين القفطي المتوفى عام ٦٤٦ هـ . ٤ - وكتاب البيارستانات في الإسلام للدكتور أحمد عيسى . ٥ - والطب عند العرب للأستاذ خير الله . ٦ - وكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي . ٧ - والحضارة الإسلامية لكردي علي . ٨ - وتاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان . ٩ - ودائرة المعارف البريطانية . ١٠ - وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان . ١١ - وقانون حمورابي للمؤلف .

علومًا عديدة يضيفونها الى ثقافتهم الطبية العامة واخاصة التي بلغوا فيها شأواً عظيماً
ما زالت آثاره اخالدة مسطرة في كتبهم ومماهدهم ومؤسستهم .
واذا تساءلنا لماذا كانوا يتعلمون تلك العلوم التي كان أولها وأهمها اللغة العربية
والصرف والنحو والإعراب والبيان والبديع والبلاغة ، ثم العلوم الأدبية كالشعر
والأدب والروايات ، ثم العلوم الاجتماعية كالتاريخ والتراجم والسيرة والقانون
والقضاء ، ثم العلوم السياسية كنظام الحكم وأصول الإدارة والعلاقات الدولية ،
ثم العلوم الفلسفية كالمنطق وعلم النفس وما وراء الطبيعة وعلم الأخلاق واللاهوت .
ثم العلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة والفلك والمثلثات ، ثم العلوم الطبيعية
كالكيمياء والنباتات والحيوانات وعلم المعادن وعلم الأقاليم والمياه ، ثم يتعلمون
العلوم الطبية كالتشريح ، والطب الداخلي وأمراض الجلد ، وعلم الجراحة وعلم
الولادة وأمراض النساء ، وعلم الفسيولوجيا ، والصحة ، وأمراض العيون ،
ومفردات الطب ، والأقرباديين ، والصيدلة وغيرها^(١) . أقول اذا تساءلنا عن
السبب لم نجد جواباً إلا أن عصرهم كان يحتم على أكثرهم دراسة هذه العلوم
مع علوم الطب تبعاً لأصول التحصيل الجاري في زمنهم ، واستجابة لحاجات
الناس الذين يعتبرون الطبيب ملماً وعارفاً بكل شيء . أما كيف وصلوا الى
غاياتهم فكاتب التاريخ والتراجم تدلنا على أن أطباء العرب اتبعوا أصاليب اليونان
في ثقافتهم التي لم تقتصر على الطب والطبابة بل تناولت ما ذكرناه من العلوم

(١) ومع تماطي المهنة الطبية كان بينهم من اشتغل في السياسة والوزارة ، ومنهم من
كان نديماً خاصاً للوك والأمراء والوزراء ، ومنهم من كان معلماً منقطعاً للعلم
والبحث والتجربة والاستقراء ، ومنهم من تماطي الطب ثم تركه واشتغل في الفقه
والتدريس ، ومنهم من تصوف وانقطع عن الدنيا ، ومنهم من كان موسيقاراً
أو شاعراً ، ومنهم من اشتغل في الفلك والرصد والرياضيات .

المتمددة والفنون المشهورة كما هو المعروف عن أبيقراط^(١) ، وسقراط^(٢) ، وأفلاطون^(٣) ، وأريسطو^(٤) ، وجالينوس^(٥) أئمة النصور اليونانية والرومانية وكما هو معروف عن أئمة أطبائنا كالفارابي ، وابن رشد ، وابن سينا ، والرازي ، والزهرى ، والزهرائى ، وابن البيطار ، وابن حزم ، وابن أبي أصيبعة ، وابن خلدون وغيرهم .

وسببه كما قلنا تأثير المجتمع وحاجات الزمن وطبيعة الثقافة التي فرضت على الطبيب أن يكون حكيماً عليماً ملماً بما وصلت إليه معارف الزمن ، ماهراً في صنعه ، ذكياً في تدقيقاته وتحرياته ، فيلسوفاً في أفكاره ، وتصرفاته ، إنسانياً في معاملاته ، مديناً في أخلاقه ، وعليه أن يمثل الفضيلة في سيرته ، وأن يتصف بالخصائل التي تجعله قدوة في النظافة وأدب المحادثة ، وجدية العناية ، وكرم السر ، وخدمة المحتاج .

وعليه أن يكون بعيداً عن الأذى والضرر وسوء النية ، لا يقصر في معونة من يحتاجون الى عمله ، ورأبه وتدبيره ، كنهواً في صنعه ، شريفاً في معاملاته . وكلها صفات حميدة لا يستغرب من المجتمع الإنساني إن تطلبها من أطبائه

(١) أبيقراط Hippocrates يعتبر أبا الطب وواضع أساساته ، ولد عام ٤٥٠ ق.م
(٢) سقراط Socrates أشهر حكماء اليونان ولد عام ٤٦٨ ق.م وتوفي عام ٣٩٩ ، وعلم في أثينا وكان يلقي دروسه في الأزقة والشوارع وبين الجماعات ثم تآلب عليه السوفسطائيون وجروه أمام الحكم فحكم عليه بشرب السم وهر في السجن فتربه ومات .

(٣) أفلاطون Platon فيلسوف وطبيب يوناني ولد عام ٤٣٠ ق.م وتوفي عام ٣٤٧ قبل الميلاد .

(٤) أريسطو Aristotle فيلسوف وطبيب من أكبر فلاسفة اليونان ولد في عام ٣٨٤ ق.م وتوفي عام ٣٢٢ ق.م

(٥) جالينوس Galenus من اعظم أطباء اليونان ولد عام ١٣١ بعد الميلاد وتوفي عام ٢٠١ .

فما مضى والآن ، لأن علم الطب كان في جميع العصور التي مرت على تطور البشرية ورتقي الإنسان معدوداً من أرقى العلوم وأهمها ، ومعاطاة الطب كانت ولا تزال من أشرف المهن ، والطبيب العالم الحاذق الفاضل كان ولا يزال صاحب الاعتبار والتقدير في مجتمعه وبين أفراده ، لأن بيده تخفيف الألم وإزالته وشفاء السقام أو تعديله ، وجبر الكسر ، وبتز الناصد ، ومداواة العلة ، وحفظ الصحة ، ووقاية الجسم ، وتشخيص المرض ، ومحاربة الوباء ، ومعالجة الجروح ، وإعادة النفوس العليله الى حالها الطبيعي .

وإذا كانت تلك اخصال والمزايا والعلوم من ضرورات العصر اليوناني ومن ضرورات العصور العربية ، وكانت أيضاً من ضرورات العصر المصري والبابلي والآشوري والایراني فماذا لا تكون من ضرورات عصرنا وان تطورت وتنوعت ثقافة أطبائنا وأصبحت ذات فروع وذات اختصاص ، ولها معاهد ومؤسسات ومختبرات ، ولها أدوات ومعدات ؟ ألبت الفضائل التي كانت مطلوبة من الأطباء الأقدمين هي ذات الفضائل التي تتطلبها ويجب أن تتطلبها من كل طبيب اليوم وغداً وفي يدم أرواحنا وحياتنا ؟ وإذا كانت أصاليب تعليمنا الطب قد تغيرت اليوم وفاقت ما كانت عليه ، وثقافتنا الطبية قد اتسعت آفاقها وارتقت مقاييسها العلمية فهل من الضروري أن تتغير أخلاقنا الطبية وخصالنا المهنية ، وواجباتنا الأدبية ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال المهم سلباً أو إيجاباً ، وقبل بيان ماهية ثقافة أطبائنا العرب ، يتحتم علينا - ولو بصورة وجيزة - استعراض نشأة الطب من أقدم الأزمنة حتى أيام العرب الزاهية ، وبيان ما كانت عليه نظرة المجتمع الى الأطباء ومهنتهم ، وما هي مجمل الفضائل التي كانوا يتحلون بها ؟ .

تذكر كتب التاريخ والحضارة أن الكهنة في مصر وابل وآشور والهند

والصين كانوا يمارسون الطب ويعلمونه ويعرفون خواص الأعشاب و كيفية استعمالها ، وكانوا يتوارثون المعرفة والمهنة خلفاً عن سلف ، ويتعلمون معها السحر والتنجيم وعلم الكيمياء ، وعلوم الدين وما يتصل بالمعابد والطقوس والشرائع ، ويتماطون التطيب كما يتماطون خدمة الهياكل والمعابد ، والآلهة والأصنام .

وكان هؤلاء الكهنة الأطباء وصدنة الهياكل والمعابد صفة القداسة وسلطة القضاء والحكم بين الناس .

وكان الكهنة يعتبرون الطب والطبابة ومعرفة الكيمياء من الأمور السرية المقدسة التي لا يجوز إباحتها لكل طالب ، لأن لها أسرارها وأصالتها ، وأدعيتها ، وتماويزها ، فلا يعلمونها إلا من كان من أولاد الملوك أو الأمراء أو من طبقة الأشراف النبلاء ، ويتعلمون بالصفات المؤهلة التي تمكنهم من أن يكونوا خدمة الآلهة والملوك وخدمة الطبابة تقديساً للعلم والطب والطبابة ورفعاً لدرجاتها واعتبارها .

وفي أيام البابليين كان أهل المرضى يضعون مرضاهم في الشوارع العامة ويعرضونهم على المارة لعل واحداً منهم يكون قد أصيب بما أصيب به المريض ثم شفي من دائه فيصف للواقفين ما استعمله من العقاقير والأدوية والأعشاب والتماويز والأدعية حتى زال عنه المرض وتخلص من الروح الشريرة التي كانت سبباً لمرضه ، فيدونون ما قاله على ألواح مشوية من الآجر ويسلمونها الى صدنة الهياكل ليحفظوها ويضيفوها الى غيرها من الألواح التي اكتشف علماء الآثار الكثير منها .

ولعل ما حدث في الماضي السحيق يحدث مثله اليوم بين القبائل المتوحشة التي تعيش في حالة بدئية في مجاهل إفريقيا وأستراليا الجنوبية ، وفي صحارى

أستراليا ، وفي آسيا وجزر الهند ، فان مرضاهم بلجأون الى الكهنة والسحرة لمداواتهم وطرد الأرواح الشريرة عنهم .

وبما خلفه المصريون والبابليون والهنود من آثار وكتب وروايات نستطيع أن نقول بأن تاريخ الطب قد بدأ في عصور تلك الأمم وأمثالها ومن أتى بعدها . وبدلنا تاريخ اليونان على أن الطب أيام (اسقولايبوس ^(١)) انحصر فيه وفي أولاده وعائلته التي انحدر منها (أبقراط ^(٢)) ، وبدلنا وصية أبقراط وهي الميثاق الخالد في عالم الطب على وجود النظام الوراثي في تعاطي الطب ومعاظاته . على أن هذا الانحصار العائلي لم يتبدل إلا في زمن (أفلاطون ^(٣)) الذي أنشأ (الأكاديمية) للعلوم والطب والفلسفة والرياضيات في (أثينا) وخصها بتلامذته وصربديه يؤمنونها ويحضرون دروسه . وكانت أبواب (الأكاديمية) مفتوحة لأبناء الشعب ولكن لا ينتسب إليها إلا من توجد فيه الأهلية والجدارة لتحصيل العلم من أبناء اليونان .

وجاء في المصادر المصرية بأن سكان مصر هم أقدم من تعاطى صناعة الطب لاعتقاد ملوكهم وكهنتهم وعلمائهم أن الروح عائدة الى الجسم بعد مفارقتها له اذا بقيت الأجسام سليمة من الفناء .

وبدافع هذه العقيدة اشتغلوا بأمر التحنيط واكتشفوا ما يلزم له من مواد كالكزبوت العطرية ، والراتنجية ، والدهنية ، والامدنية ، وكانوا يستعملون معها

(١) أسكولايبوس Asclepius إله أسطوري عند اليونان ويقال انه ابن « أبوللو » إله الألهة . وكانت أمه حورية اسمها كورونيس ، ووصفه هرمس بأنه طبيب ماهر وكان يمثل في المعابد ويمبد ، وله ابنة هي إلهة الصحة اسمها هياجين وولد هو إله الشفاء .

(٢) أبقراط Hippocratés .

(٣) أفلاطون Platone عاش في سني ٤٣٠ - ٣٤٧ ق.م

الكافور وزيت الصندل ، والمر ، وحصى الألبان ، وصركبات الزبيق ، وصركبات الذهب ، والأثيمون ، والأرسنيك الطبيعي ، وأملاح الكور والبوديوم والبوتاس ، والزرصاص ، والبور كس والنطرون وغيرها من المواد العضوية وغير العضوية لاحكام عملياتهم الكيميائية الدقيقة المعقدة .

وأشهر من عرف من أطبائهم (هرمس الأول^(١)) الذي ألف اثنين وأربعين كتاباً مقدساً كان منها ستة في الطب وتركيب البدن وأعضائه ، ولا سيما في العينين وفي الجراحة والآلات الجراحية المستخدمة لتوليد النساء ، ومعالجة أمراضهن . وكان يعتقد أن المعرفات والمقيّسات والحقن من مقصبات المرض وموجبات الشفاء .

ثم جاء من بعده وصار على منواله المرامسة الثلاثة الذين أورد ذكرهم صاحب طبقات الأطباء وكان أقدم كتاب طبي عرف عند المصريين « رسالة في التشريح » ورسائل طيبة عديدة تأليف (أنوثيس بن منيا) من ملوك الدولة الأولى المصرية .

وتدلنا شريعة حمورابي المؤرخة في حدود عام (٢٠٨٤ - ٢٠٨٠) قبل الميلاد على أن البابليين كان لهم أطباء وجراحون ، وكحالون ، وبياطرة ، وكانت أجرة الطبيب والجراح والبيطري معينة ومنصوصاً عليها في مواد الشريعة ، وكذلك ورد فيها عقاب من يسيء عمله عمداً أو جهلاً .

وفي القرن السابع من الميلاد اكتشفت فيما بين النهرين (دجلة والفرات) إحدى المدارس التي كان يدرس فيها الطب .

(١) هرمس Hermes هو الاسم اليوناني للإله (طوت أوتوت) المصري ويدل الاسم أيضاً لرجل من حكماء مصر نسب إليه بعض الكتب الطبية . والهرامسة عدة أشخاص اشتهروا كلهم بالطب والدرج تسمي (هرمس الأول) ادريس وهو من بابل .

والبابليون أول من بنى أساسات المعالجة على الأمزجة الأربعة^(١) والأخلاق الأربعة^(٢) وأول من مارس الاختصاص في مهنة الطب . وكانوا كالمصريين يستعملون بالأدوية والتعاويد والرقى والسحر لشفاء الأمراض وطرد الأوبئة وإخراج الأرواح الخبيثة من المصابين بالصرع أو الجنون . وكان التنجيم عندهم من جملة الوسائل لشرب الدواء وقطف الزهور وجمع الأعشاب وتعيين وقت العمل ووقت تناول ، ووقت الفصد والحجامة .

ولما ازدهرت حضارة اليونان كان «أبيقراط» المولود عام ٤٦٠ قبل الميلاد أول من ألف كتب الطب وأول من فصله عن الدين ، وأول من جعل مصدر الأمراض الغذاء والهواء . وكان طبيباً ماهراً وله مدرسة يدرس فيها الطب ، وعيادة خاصة بيداوي فيها مرضاه . وقد عرف عنه أنه كان يعتمد في معالجة المرض ومداواته على المشاهدة والتجربة . ومن تعاليمه : (أن الأمزجة^(٣) أربعة ، والعناصر^(٤) أربعة ، وخواص الأشياء^(٥) أربعة) ، وكان يعتني بالصحة والتشخيص ، ويتعاطى التشريح والجراحة ، وامتاز في عملياته .

وذكر التاريخ أن «أبيقراط» سكن مدينة حمص ، وذهب منها إلى دمشق ، وأقام فيها في بستان غربي الصاحية في محل يسمى (قبة اليسار^(٦)) . وهو واضع

(١) الأمزجة الأربعة : المزاج الصفراوي ، والمزاج الدموي ، المزاج البلغمي ، والمزاج السوداوي .

(٢) الأخلاق الأربعة : الدم ، والبلغم ، والمرّة الصفراء ، والمرّة السوداء .

(٣) الأمزجة الأربعة : الدموي ، والبلغمي ، والصفراوي ، والسوداوي .

(٤) العناصر الأربعة : هي النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .

(٥) خواص الأشياء الأربعة : حار ، وبارد ، ورطب ، ويابس .

(٦) قبة اليسار (ولها السيار) : محل بالقرب من (دير سرّان) ذكره الفطحي في أخبار

الحكام وفي مجمع البلدان (٤ - ١٧٢) هو الدير الكائن بالقرب من دمشق

على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة وبنائه بالجص وأكثر فرشته

بالبلاط الملون وهو دير كبير وفيه رهبان ومدحه الصنوبري . ويرجع دير آخر

بهذا الاسم واقع على جبل يشرف على (كفرطاب) قرب المزة ، ويقال إن

فيه قبر عمر بن عبد العزيز .

الميثاق الطبي الشهير الذي طلب من تلامذته أن يقسموا عليه ويعملوا بوجبه ، وقد بقي منذ ذلك العهد حتى زمننا الحاضر عهداً يقسم عليه الأطباء في كلياتهم وجامعاتهم أمام أستاذتهم قبل أن يتخرجوا ويمارسوا مهنتهم .

ما هو هذا القسم ؟

جاء في كتاب (طبقات الأطباء) للطبيب ابن أبي أصيبعة أن محتويات القسم هي ما يأتي :

« اني أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء ، وكل علاج ، وأقسم بأصقليبوس ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً وأشهدهم جميعاً ، على اني اني بهذا العهد وهذا الشرط ، وأرى أن المعامل في هذه الصناعة بمنزلة أبي وأوصيه في معاشي واذا احتاج الى مال وأصيته وواصلته من مالي الخاص ، وأما الجنس المتنازل منه فأرى أنه مساو لاختوتي ، وأعلمهم هذه الصناعة ان احتاجوا الى تعلمها بغير أجره ولا شرط ، وأشرك أولادي وأولاد المعامل في التلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وصائر ما في الصنعة ، وأما غير هؤلاء فلا أقبل به ذلك ، وأقصد في جميع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى ، وأما الأشياء التي تضر بهم وتدني بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأبي ، ولا أعطي اذا طلب مني دواء قتالا ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة ، وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة (١) تسقط الجنين وأحفظ في نفسي في تدبيري وصناعتي على الذكاء والطهارة ، ولا أشق أيضاً عثمان في مثانته حجارة ولكن أنترك ذلك الى من كانت حرفته هذا العمل .

(١) الفرزجة : هي التعميلة التي تحملها المرأة لاصطاط الجنين وفي الغالب تكون من

ع (٢)

عقد يهيج الرحم .

« وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة المرضى ، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد ارادي مقصود اليه في سائر الأشياء ، وفي الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد . وأما الأشياء التي أعانيها في أوقات علاج المرضى أو أتعلمها في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجاً فأمسك عنها وأرى أن مثالها لا ينطق به » .

ويظهر أن أبيقراط لم يكتف بهذا القسم بل توكداً له وضع ناموساً لتعاطي الطب ، ووضع وصايا لمن يريد أن يكون طبيباً وأبده العرب في قسمه وناموسه ووصاياه واتبعوها قولاً وعملاً .

أما الناموس^(١) فقد قال فيه : « ان الطب أشرف الصنائع كلها ، إلا أن نقص فهم من ينتحلها صار سبباً لسلب الناس إياها لأنه لا يوجد لها في جميع المدن عيب غير جهل من يدعيها عن ليس بأهل للتسمي بها . إذا كانوا يشبهون الأشباح التي يحضرها أصحاب الحكاية ليلهاوا الناس بها ، فكما أنها صور لا حقيقة لها ، كذلك هؤلاء الأطباء بالامم كثيرون وبالفعل قليل جداً . وينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مؤاتية وحرص شديد ورغبة تامة ، وأفضل ذلك كله الطبيعة لأنها إذا كانت مؤاتية فينبغي أن يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع في فكره ويثر ثماراً حسنة مثل ما يرى في نبات الأرض . أما الطبيعة فمثل التربة وأما منفعة التعليم فمثل الزرع ، وأما تربية التعليم فمثل وقوع البذر في الأرض الجيدة ، فمتى قدمت العناية في صناعة الطب بما ذكرنا ثم صاروا الى المدن لم يكونوا أطباء بالامم بل بالفعل . والملم بالطب كثر جيد وذخيرة فاخرة لمن علمه عملوه سروراً ، سرراً وجهرًا ، والجهل به لمن اتخذه صناعة سوء وذخيرة ردية عديم السرور ، ودائم الجزع ، والتهور ، والجزع دليل على الضعف ، والتهور دليل على قلة الخبرة بالصناعة » .

(١) نقلًا عن ابن أبي أصيبعة : ١ - ٢٦ .

وفي الوصية قال : « ينبغي أن يكون المتعلم للطب في جنسه حراً ، وفي طبيعته جيداً ، حديث السن ، معتدل القامة ، متناسب الأعضاء ، جيد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عند المشورة ، عفيفاً ، شجاعاً ، غير محب للمال ، مالكاً لنفسه عند الغضب ، ولا يكون تاركاً له في الغيبة ، ولا يكون بليداً ، وينبغي أن يكون مشاركاً للعليل ، مشفقاً عليه ، حافظاً للأسرار ، لأن كثيراً من المرضى يوقفوننا على أمراض بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرهم ، وينبغي أن يكون محتسباً للشنيعة لأن قوماً من المبرسمين ^(١) وأصحاب الوصواس - السيداوي) يقابلوننا بذلك . وينبغي أن نتعلمهم عليه ونفهم أنه ليس منهم ، وأن السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة ، وينبغي أن تكون ثيابه نقيه ومعه شره سليماً » .
وتأيداً لما تقدم أذكر اعتقاد أطباء العرب فيمن يريد أن يكون طبيباً .
قال الطبيب مهذب الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل البغدادي المتوفى عام (٦٢٠) هجري في كتابه « المختارات الطبية » ^(٢) :

- (١) المبرسم : مشتق من البرصام - وهو التهاب في الحاجز الواقع بين الكبد والأمعاء ، والمبرسم من يصاب بهذا الداء . وأصل الكلمة دخيل على العربية وهي مركبة من « بر » ومعناه الصدر بالفارسية و « صام » ومعناه (الموت) .
(٢) وما جاء في وصايا البغدادي يتفق مع ما جاء في وصايا عميد أطباء القاهرة (ابن رضوان) الذي اشترط على الطبيب أن يكون متعلماً بجمع خصال ، هي :
« ١ - أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الروية ، عاقلاً ، ذكوراً ، خبير الطبع . ٢ - أن يكون كدوماً لأسرار المرضى لا يبرح بشيء من أمراضهم . ٣ - أن يكون حسن اللبس ، طيب الرائحة نظيف البدن والثوب . ٤ - أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته في علاج الذمراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء . ٥ - أن يكون حريصاً على التلميح والمبالغة في منافع الناس . ٦ - أن يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق اللمحة ، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الأعلام فضلاً عن أن يتعرض لها أو إلى شيء منها . ٧ - أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال ولا يصف دواء قتالاً ولا يعمله . ولا دواء يسقط الأجنة . يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه . » ابن أبي أصيبعة - جزء ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣ .

« ان لكل واحد من الناس حداً من الاستمداد في قبول العلوم والصنائع بحسبه يكون مطبوعاً فيها ، فاذا توفّر على ما هو مستعد له ومطبوع فيه انتفع به ونفع ، وان تمّداد الى غيره ضرراً واستغراباً ، والصنائع والعلوم تنحى وتزبد بوقوعها الى المستمدّين المطبوعين فيها ، وتنقص وتفسد بوقوعها الى غيرهم . ويعرف المطبوع في الحكمة بصحة مزاجه وتناسب أعضائه وظهارة أخلاقه » .

• « مجلد ٣ ص ٦ » •

ويضيف على قوله :

« وما يمنحن به حتى يوثق بعلمه وعمله أن ينظر فيما اذا أنفق زمانه في الماضي في الاشتغال بهذه الصناعة وملازمة خدمة الكبراء من هو أهل لها ، وطول ملازمتهم والقراءة عليهم والعلاج بين أيديهم ، والتدرب في الدخول على المرضى في بيوتهم ، وملازمة خدمة البيمارستانات التي يجتمع فيها حذاق الأطباء وكثرة نظره الى معالجة الأمتاذ فيشار اليه ويعول عليه . وكذلك هل بثني عليه الناس لحسن سيرته وديانته ، وان همته اذا خلا في بيته مطالعة الكتب ودراسة هذه الصناعة ، وأنه غير مشتغل باللهو واللعب والشرب ومواترة السكر ، ولا ببعض هذه الخلال المذمومة التي تستغرق الزمان بالانضياع ، والخطار بالتوزيع ، فان كان ينسب الى شيء من ذلك فلا ينبغي أن يوثق اليه ولا يعول عليه في هذه الصناعة » .

وهو قول اذا نظرنا اليه بعين تلك الزمن وبعين زماننا وبعين التحليل السيكولوجي والصحي والمسلكي نجدّه متوافقاً مع قسم ايقراط ومع ناهوصه الطبي ومع وصاياه ومع ما كانت تتطلبه العصور العربية في معاهدتها وبيمارستاناتها من أطبائها ، ومع مانسى الى تحقيقه والمحل به معاهدتنا العلمية الحديثة في تنشئة الأطباء وتهذيب أخلاقهم وتربيتهم الصناعية لأنه قول صادر عن تجربة وعلم ، ونفس

نذرت نفسها للتعليم والتدريب والتنشئة وخدمة المهنة ، وخدمة الإنسان والإنسانية .
وبعد هذا لنعد الى متابعة بحثنا عن تطور الطب ونشأة الأطباء ، فأقول :
ومن بعد أفلاطون ظهر أريستو الذي ولد في عام ٣٨٤ قبل الميلاد ومات في
عام ٣٢٢ وكان من أعظم فلاسفة اليونان وهو وان لم يكن طبيباً ولكن
تعاليمه أثرت تأثيراً عميقاً في تقدم الطب وفي ذهنية العرب فدعوه المعلم الأول .
ويذكر متبعو حياته وآثاره أنه ألّف في مواضيع عديدة تتعلق بالطب
كعلم الأحياء ، وعلم التشريح المقارن ، وعلم الفيسيولوجيا ، وعلم الأجنة ،
وعلم الحيوان ، وعلم النباتات ، علاوة على ما ألّفه في الفلسفة والمنطق والبيان
والسياسة وعلم النفس وعلم الأخلاق .

وكان أستاذاً ومربيًا لاسكندر الكبير في صغره ولما تولى اسكندر زمام
الحكم ، وقاد جيشه لفتوحات اتخذ معلمه مشاركاً له في اجراءاته وأموره السياسية .
وقد اشتهر أريستو بالولع العلمي والتجري الواسع والدقة العلمية والنهج الرتيب .
وفي أيامه أنشأ الاسكندر مدينة الاسكندرية عام ٣٣١ قبل الميلاد وأنشأ
مها مدرسة الاسكندرية التي ارتقت ارتقاءً عظيماً في عهد البطالسة وبقيت
منارةً للعلم ونشره ومعهداً لتفريخ العلماء والفلاسفة والأطباء والحقوقيين حتى الفتح
الإسلامي عام ٦٤٢ ميلادية . ومن هذه المدرسة تخرج الأطباء (هيروفيلس ،
وارسطرارطس) واشتهروا بتفريخ الطب التشريحي والفيسيولوجيا ، وتخرج منها
(جالينوس ^(١)) أعظم طبيب ترجم له العرب وأخذوا عنه أيام الأمويين لأنه
كان خاتمة الأطباء الكبار الثانية الذين اشتهروا في هذه المدرسة .

وفي طبقات الأطباء يقول الطبيب ابن أبي أصيبعة : « ان جالينوس لما ظهر
وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين ، وانجحت

(١) جالينوس Galinus ولد عام ١٣١ وتوفي عام ٢٠١ . له اكتشافات خطيرة
في التشريح ، اهتم به أئمة أطباء العرب .

محاسنها ، فانتدب لذلك وأبطل آراء أولئك وشيد أقوال (أبيقراط) وآراءه
وآراء التابعين له ، وصنف في ذلك كتباً كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه
الصناعة ، وأفصح عن حقائقها ونصر القول الحق فيها ، ولم يجيء بعده من
الأطباء إلا من هو دون منزلته وتمعلم منه » .

وكانت مدة حياة جالينوس على رأي الطبيب النحوي سبعة وثمانين سنة ،
منها صبي وتمعلم (١٧) سنة ، وعالم وتمعلم (٧٠) سنة . ولكن جالينوس يقول
عن نفسه في كتابه (مراتب قراءة كتبه) : « ان أبي لم يزل يؤدبني بما كان
يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التي تؤدب بها الأحداث حتى انتهيت
من السن إلى خمس عشرة سنة ، ثم انه أسلمني في تعليم المنطق وقصدني حينئذ
في تعليم الفلسفة وحدها ، ثم رأى رؤيا دعتة الى تعليمي الطب فأسلمني في
تعليمه وقد أنت عليّ سبع عشرة سنة ، وبمدها تعلمت الطب ونشاطته حتى
بلغت الثاني وثلاثين سنة .

وكان جالينوس عبقرياً واسع المعلومات ، ذرب اللسان ، كتب الكثير في
مختلف المواضيع الطبية المعروفة في زمانه انما كان ينقصها سلاسة أبيقراط ووضوحه .
وكان في حياته ومبعثته يحب الفخفخة ، وظالماً صاقه عقله المولد الى الدخول
في عالم الخيال والفلسفة ، ولذلك أتى ببعض الآراء الوهمية غير المعقولة ،
وأنت مؤلفاته صعبة الدرس والفهم ، ومع هذا فقد كانت بين المؤلفات الأولى
التي نقلت الى العربية ، ترجمها حنين بن اسحق وولده اسحق وابن اخته حبيش الأعمش .
وكانت مدرسة الاسكندرية جمعت نأليف جالينوس كلها وبوتيتها ووضعتها
في ١٦ مجلداً لبسهل درسها ، وذكر ابن أبي أصيبعة أن هذه المجموعة من الكتب
المتروجة الى العربية كانت المتداولة بين الناس وفي أيديهم والمعتمد عليها في
دراسة الطب (ككتاب الفرق الطبية ، وكتاب الصناعات الصغيرة ، وكتاب
النبت الصغير ، وكتاب « غلوقن » الذي معناه الأزرق كتبه في الثاني لشفاه

الأمراض ، وكتاب في الفطام ، وكتاب في العضل وتشريح المصب ، وتشريح العروق غير الضواري ، وتشريح العروق الضواري ، وكتاب الأسطوانات^(١) وهو يبين جميع الأجسام التي تقبل السكون والفساد وهي أبدان الحيوان والنبات ، والأجسام التي تمولد في بطن الأرض ، وكتاب المزاج ، وكتاب القوى الطبيعية ، وكتاب الملل والأمراض ، وكتاب تعريف عمل الأعضاء الباطنة «باتالوجيا» ، وكتاب النبض الكبير ، وكتاب أصناف الحميات ، وكتاب البحران ، وكتاب حيلة البرء ، وكتاب علاج التشريح الكبير ، وكتاب فيسيولوجيا الأعضاء ، وكتاب في قوى الأدوية المسهلة ، وكتاب في العادات ، وكتاب في الأدوية المفردة ، وله كتب أخرى في أمور طبية ومساائل تتعلق بالتداوي نظر فيها وفسرها من جاء بعده من الأطباء الاسكندرانيين كاصطفان ، وانقيلاوس ، وجاسيوس ، ومارينوس ، وثادروسيوس ، وديسقوريدس ، ويحيى النحوي الذي عاش وُلحِقَ زمن عمرو بن العاص في مصر وله كتب عديدة ترجمت الى العربية أيضاً مع كتب ديسقوريدس صاحب الفضل في تعليم وتصنيف مفردات الطب .

وبعد ما انشقت الامبراطورية الرومانية^(٢) الى مملكتين واضطهد رؤساء النساطرة السريان الذين كانوا في مدارس أتبنا هاجر النسطوريون الى الشرق وكانوا من العلماء والفلاسفة والأطباء وحملوا معهم العلوم اليونانية وثقافتها وصكبتوا بلاد الرها وما جاورها وأقاموا فيها مدارسهم .

(١) الأسطوانات : معناها العناصر . وهي عند الأقدمين . (الماء والأرض والهواء والنار) وأصلها مأخوذة من اليونانية .

(٢) لم يكن العصر الروماني البيزنطي الممتد من عام ٤٧٦ الى ٧٣٢ بعد الميلاد من الصور التي لها أثر كبير على العرب ، بل كانت المدينة البيزنطية خلالها في انحطاط وانحصرت تماثيل أيبيراط ، وصوقراط ، وجالينوس في الأديرة .

ومنهم من سكن في نصيبين ، وقنسرين ، وميافارقين ، وأسسوا فيها مدارس علمية وطبية أخرى بلغت خمسين مدرسة ، ومنهم من هاجروا الى جنديسابور من بلاد العجم وأوجدوا أيضا مدرستهم الشهيرة التي تخرج منها الطبيب العربي الشهير الحارث بن كعدة أول طبيب في الجاهلية قابل كسرى أنوشروان مع وفد من رؤساء العرب وتحدث اليه ووصف له فضائل العرب ومكارمهم وأجابه على عدة أسئلة سأله عنها ليتمحن معرفته .

وكان النساطرة ترجموا العلوم اليونانية الى السريانية ، ولما فتح العرب بلاد صردية والعراق وايران ، وفتحوا قلوبهم للعلم وبذلوا الأموال للحصول عليه وصرفوا حياتهم للحصول على كتبه وترجمتها وصافروا لأجل ذلك الى بلاد اليونان وايران والهند والصين وعملوا على ترجمتها ، واصنعوا العلماء والتراجمة لهذه الغاية وللتعليم والتدريس والتطبيب ، كانت هؤلاء النساطرة وغيرهم من خير ما ساعد على ذلك .

والذي نستطيع استنتاجه من كل ما تقدم أن أطباء العرب بدأوا تعلم الطب من الذين كانوا في مدرسة الاسكندرية ابان فتح مصر ، ثم من أطباء النساطرة الذين كانوا يدرسون في مدارس الرها وغيرها مما ذكرنا أسماءها .

عبد الرحمن السكبالي

(يتبع)

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »

في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

— ٤ —

ان المرحلة الطويلة التي عاش فيها العرب الفاسمئة متحدين بالسريان في مناطق سورية وغيرها ، أتاحت أعظم فرصة للقاء اللغتين العربية والآرامية السريانية ولانصاهما الطويل ، مما كان له الأثر الفعال في كليهما ، وعلى الأخص في بلاد سورية ، وقد بقيت آثاره الى اليوم دائرة على الألسن السورية ، إذ اصطبغت اللغة العربية المحكية فيها بصفات سريانية كثيرة منذ تلك العصور الى يومنا هذا .
وأهم الآثار السريانية الآرامية في اللغة العربية المحكية في بلاد الشام على الأخص هي ما يأتي :

١ - قلب (ميم الجمع) الى نون في ضميري مخاطبين والفائبين مثل (أبوكن ، أخوكن ، بيتكن) ، عوض (أبوكم ، أخوكم ، بيتكم) ، ومثل (أبوهن ، أخوهن ، بيتهن) عوض (أبوهم ، أخوهم ، بيتهم) . وذلك مستمد من السريانية الآرامية اذ يقال (اصحص ، اصحص ، اصحص) كما يقال (اصحص ، اصحص ، اصحص) وهي صيغة سريانية لا غير .

٢ - اصكان الحرف المتحرك بحركة الاختلاس في وسط الكلمة ، وقد تنقل حركته الى الحرف الذي قبله مثال ذلك : (علتْك ، هممتْك . ونحمله ، زلقطه) وما اليها عوض (علتْك ، هممتْك . نحمله ، زلقطة) كما هي الحال في بقية البلاد العربية .

— ٤٠٩ —

٣ - اصكان المتحرك في أول الكلمة وفي مواضع أخرى من ذلك :
(كنبير ، صفيير ، كبار ، نروح) وهذه توجد في لغة الموصل العامية
أيضاً ، وهي مستمدة من السريانية لا غير ، لأن هذه الحالة لا توجد إلا في
اللغة السريانية .

٤ - اعتماد لغة الشام العربية المحكية الى الآن كيات كثيرة سريانية صرفة
من ذلك : دقر أي (صدّم) ، صكر (أطلق الباب ونحوه) ، دنق (نظر) ،
فقع (انفجر) ، دلف (يعني وكف) ، شمط (اصتل السيف ونحوه) ،
شطح (بسط ، مد ، وامتد) ، فلهش (هدم) ، (وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً) ،
شقل (نقل ، أخذ) . ومن الأسماء : شوب (الحر) ، شرش (جذر) ،
شكارة (ما يزرع لأجل القوت القليل) ، وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً) ،
القانول (القاتل) ، الشاقول (ما يستعمله الممار لوزن استقامة البناء) ، القرطب
(نوع من الشوك معروف) .

كل هذه الأفعال والأسماء مستمد من السريانية الآرامية ، وهي فيها في
هذه الصيغة . ونحن لا ندعي أنها موجودة من عهد الفصاحة العرب كلها ،
فلا بد أن هنالك ألفاظاً واصطلاحات دخلت اللغة العربية منذ انتشارها بعد
هروب السريانية من الألسنة السورية ، ومن هذا القبيل أيضاً أسماء كثير من
القرى والأنهار والأماكن التي ورثت أسماءها من اللغة الآرامية القديمة .
وهذه الأمور تكفي للدلالة على تأثير اللغتين احدهما بالأخرى في سيرهما
جنباً الى جنب كل هذه المدة الطويلة ، وتمازج أهليهما في مختلف العصور التاريخية .
والآن ننقل الى منطقة عربية أخرى هي منطقة نجران في بلاد اليمن السميدة ،
فقد تبوأها العرب المسيحيون منذ أقدم العصور المسيحية ، وكانوا متحدنين مع
الكنيسة السريانية الآرامية في بلاد سورية وغيرها ، وهو ما جعل اتصالاً آخر
مباشراً بين اللغتين العربية والآرامية بعد الاتصالات القديمة التي صرفناها سابقاً .

في مدينة نجران العربية ازدهرت المسيحية^(١) ، وأقيمت الكنائس الجليلة فيها وفي بقية المدن اليمنية أمثال مأرب والهجران^(٢) ، وأصابها الشدة بين سنفي ٥١٩ — ٥٢٤ م ذاهمها ذو نواس اليهودي فمات فيها وفي صائر المدن المجاورة تقتيلاً وتفظيماً ، واشتهر من الشهداء المسيحيين العرب الشجعان الحارث بن كعب وبضع مئات من الرجال والنساء والأطفال^(٣) . وكذلك اشتهرت من الشهداء عقيلة الحارث الشريفة (رومي) ، وقد أثبت خبر شجاعته المؤرخ ميخائيل الكبير نقلاً عن رسالة شمعون الأورشليمي معاصر هذه الحوادث الدامية^(٤) .

ان المسيحية في نجران والمدن المجاورة لها كانت مسيحية عربية آرامية بأن واحد ، كما كانت قبلها الوثنية وثنية عربية آرامية حيث عبد العرب وعلى الأخص قبائل حمير (الشمس)^(٥) وهو (شمس) الإله الآرامي القديم ، فتكون القبائل العربية في هذه المنطقة متعلقة بالآرامية في عهدها الوثني والمسيحي ، لأن الفرصة أتت في كلا المهدين للاقاء اللغتين العربية والآرامية ، غير أنه في العهد المسيحي قويت العلاقة بين هاتين اللغتين الشقيقتين ، لأن أهل حمير أخذوا يكتبون بالقلم الآرامي السرياني بدلاً من الخط المسند الشائع عندهم قبل ذلك^(٦) .

ويظهر من صياق حوادث التاريخ أن أهل نجران كان فيهم كثيرون ممن يقرأون اللغة الآرامية ويفهمونها . وقد وجه اليهم العلامة يعقوب السروجي الملقب رسالة ضافية يشجعهم فيها على الثبات في إيمانهم ومكافحة المعتدي الأثيم

(١) الطبري مجلد ١ ص ٩١٨ وابن خلدون ، المبر ٢ ص ٥٩ .

(٢) الدور النفية لنبطة البطريرك أفرام برصوم ص ٣٩٣ و ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٣) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .

(٤) ميخائيل الكبير ص ٢٧٣ - ٢٧٦ .

(٥) ابن العبري مختصر الدول ص ١٥٩ .

(٦) المكتبة الشرقية للمصالي المجلد ٣ ص ٦٠٣ .

بالصمود في حومة الاضطهاد وذلك في شدة ذي نواس اليهودي سنة ٥١٩ م .
 وكتبت هذه الرسالة بالسريانية وهذا مطلعها : « الى المجاهدين المختارين ،
 محيي النصر الحقيقي ، عبيد الله المؤمنين الصادقين في نجران مدينة
 الحميريين » ^(١) وذكر من أساقفة نجران العرب قس بن ساعدة (الخطيب العربي
 المشهور) كما ذكر من أساقفتها السريان الأسقف فولان الذي كان قد توفي
 قبل اضطهاد ذي نواس ، فأخرجت عظامه من القبر وأحرقت بأمر هذا الطاغية ^(٢) .
 وعلى ذكر كتابة الحميريين بالخط السرياني الآرامي نمود فنقول مع الأستاذ
 ولفنسون : إن العرب في عهد جاهليتهم الوثنية كانوا يستعملون الخط النبطي
 الآرامي المتأخر ، وكانت حضارة العرب الوثنية مرتبطة بالنبط ارتباطاً وثيقاً ،
 وكان نصارى العرب يستعملون الكتابة النبطية واللغة الآرامية التي كانت
 لغة الصحران والدين عند نصارى الشرق ، وكان أهل نجران على الأخص ،
 وهم عرب خلص ، يعرفون اللغة الآرامية ^(٣) ، وعلى الأخص في طقوسهم الدينية ،
 واتصلهم بالكنيسة الأم في سورية وفي غيرها من الأصقاع الكنسية ^(٤) ،
 وهذا كاف لتأييد رأينا في اتصال اللغتين الساميتين ، وتبادل المادة بينهما كما
 سنرى فيما يأتي :

وكانت في المراق قبائل عربية كثيرة تسير تحت راية الكنيسة السريانية
 الأرثوذكسية منحدمةً معها بالإيمان والعمل ، وأشهرها قبائل تغلب وطي وغير
 وايد ، ومن أشهر أساقفتها الأقدمين العلامة الفيلسوف أحو دامه ، وكان أسقفاً
 للمنطقة المعروفة بـ (باعرباي) أي ديار العرب ، وهي الواقعة بين الموصل وسنجار

- (١) المتحف البريطاني - المخطوطات السريانية رقم ٤٧٢٦ ١١ ورقم الرسالة في هذه
 المبرهة ١٥ وخاتل الريمان بقلمتنا ص ٤٣ - ٤٥ .
 (٢) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .
 (٣) ولفنسون ص ٢٠٢ .
 (٤) تحقيقات تاريخية ص ٢٧ .

ونصيبين^(١) ، وبعد أن قلده مار يعقوب البرداعي مطرانية بلاد المشرق العامة سنة ٥٥٩ م صار بنفسه الى جنوبي العراق ، فدعى بقية العرب الرحل الى النصرانية ، فهدى جماهير كثيرة منهم الى المسيحية ، وأنشأ لهم ديرين وعدة كنائس^(٢) . وهذا يدل على أن هذا المبشر كان يتكلم العربية كما كان يتقن لغته السريانية ، ومن المؤكد أنه أنشأ لهم الشعائر الدينية ، هو والكهنة الذين رسمهم لهؤلاء العرب ، باللغة العربية ، كما اشتهر بعده من الأصفاء العرب جرجس أصف العرب الفيلسوف الذائع الصيت^(٣) ، وصنكبت عنه دراسة وافية إن شاء الله .

على أن أشهر القبائل العربية العراقية هي قبيلة تغلب ، وقد حدثنا التاريخ عن وحدتها مع الكنيسة السريانية الايام في العراق ، ورسم البطاركة الانطاكيون السريان لها أصفاءة كثيرين ، يتصل بعضهم بنسب عربي والبعض الآخر ينحدر من محمد سرياني ، ومن أولئك الأصفاءة يوصف التغلبي الذي رسمه البطريرك يوليان الثالث (٦٨٨ - ٧٠٩ م)^(٤) . ورسم البطريرك قرياقس التكريتي (٧٩٣ - ٨١٧) ثلاثة أصفاءة لهؤلاء العرب ، أولهم الأصفاءة يوحنا للكوفة ، ثم الأصفاءة داود ، ورسمه في (دقلا)^(٥) عاصمة التغالبة ، والأصفاءة عثمان العربي ، وهو الخامس والأربعون في عداد أصفائه^(٦) ، ورسم البطريرك التلمحري (٨١٨ - ٨٤٥) خمسة أصفاءة للعرب التغالبة هم : يوحنا من دير قرقفتسا ، وتوما من دير بيرقوم ، وحبيب من دير كنوشيا ، ويوسف ويسمي (مزروق) ، وجرجس ، وكذلك رسم لبقية العرب أصفاءة آخرين

(١) الأوّل المتور من ٩٥٩ الطبعة الأولى وفصته السريانية المخطوطة .

(٢) فصته السريانية المخطوطة .

(٣) الأوّل المتور من ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٤) التاريخ الكنسي لابن العبري ، ترجمة البطريرك يوليان الثالث .

(٥) دقلا كلمة سريانية معناها النخل .

(٦) نبت البطاركة والأصفاءة في تاريخ ميخائيل الكبير من ٧٥٢ - ٧٦٩ .

أشهرهم يوحنا أسقف العرب الرحل ، ويوحنا أسقف تدمر ، وسبرو من دير أطو^(١) . ورسم البطريك يوحنا الخامس (٨٤٢ - ٨٩٤ م) صبغة أساقفة للعرب من بني معد والتغالبة والنجرانيين (هم بقايا مسيحي نجران الذين شتتتهم ذو نواس اليهودي في اضطهاد طم سنة ٥١٩ - ٥٢٤ م) وهم : الأسقف يعقوب للتغالبة وأحودامه أسقف بني معد ، وطيبري لبني معد ، وشعمون لبني نجران وبني معد من دير كنوشيا ، وماكوس للتغالبة ، ويوحنا من دير مار زكي لبني معد ، ويوحنا للتغالبة الضاربيين في بادية الموصل ، ومثلها فعل البطارقة أغناطيوس الثاني ، وتيودوسيوس ، وديونسيوس الثاني ، ويوحنا السادس ، وباسيل الثاني من سنة ٨٧٨ الى سنة ٩٣٥ م^(٢) ، فرسموا أساقفة كثيرين لهذه القبائل العربية المتحدة بالكنيسة السريانية في سورية والعراق .

وكان معظم هؤلاء الأساقفة ينتقلون مع قبائلهم من دار الى دار ، يسكنون الخيام ، ويقيمون الشعائر الدينية في بيوت الشعر ، وقد حدثنا الفيلسوف يحيى بن جرير التكريتي منهم قال : « وقد كان في العرب نصارى كجني تغلب وقوم من اليمن وغيرهم ، ومعهم أسقف يطوف معهم في الحلل في سفرهم ، وينقل المذبح أعني الدفة المقدسة (الطبليث)^(٣) من موضع الى موضع ، الى سنة ثلاثماية للعرب (٩١٣ م) ، فوصل الى تكريت قوم من العرب النصارى وابتاعوا لهم ميرة ليمتاروا بها ، وكان منهم رجل دين حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الأسقفية ، وكان يقدس لهم باللفظ العربي ، وكان يقدس لهم على الإنجيل^(٤) » .

(١) الثبت نفسه ص ٧٥٤ - ٧٥٥ .

(٢) الثبت نفسه .

(٣) هي قطعة من الخشب تكرس ليوضع عليها القران المقدس .

(٤) كتاب المرشد ليعقوب بن جرير التكريتي الباب ٥٤ (مخطوط) .

نستنتج من هذا كله أن العربية والآرامية ، سارتا جنباً إلى جنب في جميع العصور منذ عهد الوثنية إلى قرون عديدة من عهد المسيحية ، حتى بعد انتشار الإسلام ، مما أثر في كليهما تأثيراً عظيماً وعلى الأخص العربية التي أفادت من اختها الآرامية فوائد عظيمة . قال الأستاذ محمد عطية الأبراشي : « في الوقت الذي كان للغة الآرامية الغلبة والانتصار أثرت تلك اللغة الآرامية في اللغة العربية تأثيراً عظيماً ، وكلاهما في الفحص والاستقصاء أتضح لنا أن كثيراً من الكلمات العربية التي كانت تستعمل للتعبير عن الأفكار والمواد التي تدل على درجة معينة من المدنية اصنعت من اللغة الآرامية ، ومن هذا نستنبط أن العرب شعروا بالمدنية التي كانت لدى جيرانهم الآراميين في الشمال وأنهم قد تأثرو بها » (١) .

ونختم بحث العلاقات التاريخية بين اللغتين العربية والآرامية بقول الأستاذ الأبراشي أيضاً وهو : « إن اللغة العربية الفصحى . . . نشأت من الآرامية في الشمال والسبئية في الجنوب ، إلا أن آرامية الشمال تغلبت على السبئية في القرون القريبة من الإسلام » (٢) . ونضيف عليه قولنا : إن ذلك حدث بفعل الاتصال الدائم الذي رأيناه بين هاتين اللغتين الشقيقتين منذ أقدم عصورهما التاريخية إلى العصور المتأخرة .

٥ - العلاقات الفنية في الأبيدية

إن العلاقات الفنية في نشوء الأبيدية بين اللغتين الآرامية والعربية هي من الأهمية بمكان عظيم ، بل هي الناحية الأعظم إشرافاً والأرفع شأنًا في كيفية

(١) لغة العرب وكيف تنبض بها لهد عطية الأبراشي طبع مصر سنة ١٩٤٧ من

١١٤ - ١١٥ والآداب السامية له طبع سنة ١٩٤٦ من ١٠٨ .

(٢) لغة العرب للأبراشي من ١٢٢ .

تعاونهما وصيرهما جنباً الى جنب في جميع عصورهما التاريخية ، وتأزرهما على الحياة والنمو والتكامل ، وانبثاق القوى الحيوية وانسكابها من إحداهما في الأخرى ، فما هو الحق التاريخي الذي تحوزه كل من الأبيديتين ؟ وما هو التسلسل الزمني واللفظي الذي صار فيه كل من القلمين ، كل ذلك سندرسه في سطورنا التالية :

يذهب علماء الساميات الى أن أقدم أبيدية سامية هي الأبيدية الكنعانية ^(١) ، وعنهما نشأت بقية الأبيديات في عصور متفاوتة ، فصدرت الأبيديات الآرامية ^(٢) والعبرية ^(٣) ، وفي العصور القريبة من الإسلام انبثقت الأبيدية العربية منحدرةً من الأبيدية النبطية الآرامية ^(٤) ، ونحن لا يهمننا هذا التدرج التاريخي في بحثنا هذا وإن كانت فيه هنات لا يصح التفاضل عنها ، إنما تهتمنا العلاقة الوثيقة بين الأبيديتين الآرامية والعربية ليكون بحثنا حائزاً على كل صفاته الموضوعية الكاملة .

من البديهي أن علماء الساميات أصدروا قراراتهم السابق بشأن التدرج التاريخي في نشوء الأبيديات السامية استناداً على الكشوف الأثرية التي وجدت الى الآن ، ولكن الكل يعلم أن هذه الكشوف مازالت قليلة جداً - رغم كثرتها - بالنسبة الى ما ستحدثه الكشوف الأثرية القادمة في المستقبل ، لذلك لا يسوغ الركون الى تقرير يستند على مصادر ناقصة ، قد تنقلب رأساً على عقب في لحظة واحدة ، اذا اكتُشف رقيم واحد يضاد معلوماتنا الحاضرة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية إن تقريراً يستند على مصادر مازالت آخذة في الازدياد والتكامل يوماً بعد يوم وعمماً بعد عام لا يسوغ أن تبني عليه حقيقة تاريخية

(١) ولفنون ص ٥٢ .

(٢) فيه .

(٣) فيه ص ٥٣ .

(٤) فيه ص ٢٠١ احمد رضا ص ١٧ و ٢٨

هامة كأصالة الأبجديات وتقديم بعضها على البعض الآخر ، ولذلك نقول إن لدينا نصوصاً تاريخية هامة من القرن السابق للميلاد والقرنين اللذين يليانه تذهب الى أن الآراميين هم أول من اخترع الكتابة ، وبالتالي تجعل الأبجدية الآرامية أول أبجدية سامية ، وتدعى أن الأبجدية الكنعانية هي الصورة الأولى البسيطة للأبجدية الآرامية ، ونورد هنا نصين من تلك النصوص بحفظ غير جازمين الآن بصحتها المطلقة . قال ديودوروس الصقلي المؤرخ الشهير الذي عاش في القرن السابق للميلاد : « إن اختراع الكتابة يعود الفضل فيه الى الآراميين » . وقال اقليدس الإسكندري في القرن الثاني للميلاد : « ذهب كثيرون من القدماء الى أن الآراميين هم الذين اخترعوا الكتابة »^(١) . وعلى هذا الأساس نقول إن لم تكن الأبجدية الآرامية أقدم أبجدية سامية فهي حتماً من أقدمها^(٢) . أما العلاقة الفنية بين الأبجديتين الآرامية والعربية فنحصر في أربع وجوه هامة هي :

١ - انحدار الأبجدية العربية من الأبجدية الآرامية .

اختلف المؤرخون العرب في المصدر الذي انحدرت منه الأبجدية العربية ، فذكر معظمهم أنها منحدرة من الخط المسند^(٣) . ولكننا لانستطيع إقامة دليل ملموس على صحة هذا الرأي ، لأننا لانحوز آثاراً خطية تؤيده ، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة رقم حجرية عثر عليها المستشرقون في فترات متفاوتة من الزمن ، وهي تحوي دلائل ملموسة تنير طريق البحث في هذا الموضوع ، وبعد دراسة هذه الرقم الحجرية الهامة قرّر علماء الساميات أن الأبجدية العربية اشتقت من الأبجدية النبطية الآرامية^(٤) . ولا نعدم شهادة تاريخية عربية هامة تؤيد هذا

(١) اللسان النبوية . ليوسف داود . ج ١ ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) الفؤلؤ المنثور . لبطريك أفرام برصوم ص ٢٦ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٨ - مطبعة مصطفى محمد . صبح الاضنى ص ١٣ .

(٤) ويلفونسن ص ٢٠١ واحد رضا ص ١٧ و ٣٨ .

(٣)

الرأي . قال البلاذري في فتوح البلدان : « اجتمع ثلاثة نفر من طيء بيقة وهم مرامس بن صرة ، وأسلم بن صدره ، وعامر بن جدوة^(١) فوضوا الخط ، وقاصوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم قوم من الأنبار ، ثم تعلمه أهل الخيرة من أهل الأنبار ، وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر ابن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دوحة الجنديل ، يأتي الخيرة ، فيقيم بها الخين ، وكان نصرانياً ، فتعلم بشر الخط العربي من أهل الخيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه صفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب ، فسألاه أن يعلمها الخط فعملها الهجاء ، ثم أراها الخط فكتبا^(٢) .

وإذا دققنا هذا النص التاريخي الهام نجد أنفسنا أمام شهادة صريحة تؤيد ما ذهب إليه علماء الساميات وهو أن (النفر) الذين (اجتمعوا) بيقة (وضعوا الخط وقاصوا هجاء العربية على هجاء السريانية) . والأصح أن يقال أن هؤلاء الثلاثة (تعلموه) لا وضعوه .

أما الخط المسند فانه خط حمير^(٣) ، ومن المعروف أن الحميريين استبدلوا الخط المسند بالخط السرياني^(٤) . والمعروف أيضاً أن الخط المسند الحميري هو خط مبيء ، وقيل إن الخط المسند منقول من الخط الكنعاني مباشرة^(٥) ، إلا أن ثقافات المشرقين ينكرون ذلك ، ويؤيدون أن خطوط شمال بلاد العرب منقولة مباشرة عن الخط الآرامي اعتماداً على ما كان بين الآراميين وهذه القبائل

(١) ذكر ابن خلدون في مقدمته غير هؤلاء (النفر) ص ٤١٨ .

(٢) البلاذري - فتوح البلدان ص ٤٧١ .

(٣) الدهرست لابن النديم ص ٨

(٤) المكتبة الشرقية لسمالي الجزء ٣ ص ٦٠٣ .

(٥) ويلسنون ص ١٧١ .

العربية من القري والجوار^(١) ، وهذا الرأي نرجحه ، لأن القبائل العربية لم تلتق مطلقاً بالمدينة الكنعانية ، بل امتزجت بالمدينة الآرامية كما رأينا في أوائل بحثنا هذا .

أما صدور الأبيجدية العربية من الأبيجدية النبطية الآرامية فنرى أنه تمّ على مراحل وفي فترة تقارب القرنين من الزمن ، وقد ظهرت رقم أثرية هامة أثارنا الطريق أمام الباحث في هذا الموضوع .

إن هذه الرقم الأثرية توضح لنا كيف تولدت الأبيجدية العربية من الأبيجدية النبطية الآرامية ، ويتم لنا ذلك إذا قابلنا بين القلم النبطي المتأخر والقلم العربي القديم ، وأشهر الرقم التي يجب دراستها في هذا المضمار هي خمسة نقلها المستشرقون نيبيه آبوت^(٢) وصفحت ووايت^(٣) ، وقد حظينا بدراسة وافية لبعضها قام بها صفحت ووايت وهو ما يساعدنا على الافادة منها في موضوعنا ، ونقلها أيضاً وعلق عليها الأستاذ امراييل ليفنسون^(٤) كما نقلها الأستاذ ناصر النقشبنددي في مقاله (منشأ الخط العربي)^(٥) .

أما كيفية المقابلة بين هذه النصوص الأثرية فتتم بملاحظة القلم النبطي المتأخر ، والقلم العربي القديم ؛ ويمكن وضع هذين الرقيمين (النبطي المتأخر والعربي القديم) أنموذجاً للملاحظة والمقابلة والاستنتاج ، أما النبطي المتأخر فانه رقم أم الجمال الأول الذي عُثر عليه في أم الجمال الواقعة في جنوب حوران في شرق الأردن ، وهو يعود الى قبر فهر بن جذيمة ملك تنوخ^(٦) ، وتاريخه نحو سنة ٢٥٠ م ،

(١) ولفنسون ص ١٧١ .

(٢) نيبيه آبوت لوح ١ ص ٥ .

(٣) صفحت ووايت ص ١ - ٥ .

(٤) ولفنسون ص ١١٠ و ١٩٦ ، ٩٢ .

(٥) مجلة صومر المجلد ٣ الجزء ١ ص ١٣٠ - ١٣٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٧

(٦) درسنا هذا الرقم سابقاً وترجمناه بحسب نظم اللغة السريانية الحاضرة .

وأما العربي القديم فإنه رقيم النارة الذي عُثر عليه في موقع النارة بجبل الدروز وتاريخه نحو سنة ٣٢٨ م ، وهو يعود لقبر امريّ القيس بن عمرو ملك العرب في الحيرة^(١) ، وملاحظة هذين الرقيمين تعطيانا فكرة كاملة في تولد الخط العربي ، فان معظم الحروف متشابهة تقريباً ، وهذا التشابه يظهر في شكل الحروف ، ومن المعروف أن الخط النبطي القديم كانت حروفه منفصلة بعضها عن بعض على ما نراه في رقيمي (سرانا ملك النبط)^(٢) و (شجرنس الملك)^(٣) . أما هذا الرقيم وما إليه^(٤) فنجد فيه كثيراً من الحروف متصلة بعضها ببعض ، وهو ما يوضح كيفية تطور هذا القلم حتى تولد منه القلم العربي ، ويظهر لنا هذا التطور اذا وضعنا ازاءه رقيم النارة الذي بُدأ أقدم نص عربي ، فحروفه في معظم الأحوال متصلة على غرار الرقم النبطية المتأخرة ، وهي تتشابه تشابهاً عظيماً .

ولنتقل الى دراسة رقيمين آخرين هما رقيم زبد الذي وجد في خربة كنيسة بين قنسرين والفرات بثلاث لغات هي اليونانية والسريانية والعربية ، ويعود تاريخه الى سنة ٥١٢ م ورقيم حران الذي وجد في المنطقة الشمالية من جبل الدروز مكتوباً باليونانية والعربية على حجر فوق كنيسة قديمة ، ويعود تاريخه الى سنة ٥٦٨ م ، ويمتبر أول نص عربي كامل في جميع كتاباته وأصوبه ، ففي دراسة هذين الرقيمين نجد تطوراً عظيماً في أسلوب الخط العربي وصيره أشواطاً هامة في الاستقلال عن مصدره الخط النبطي ، فالحروف في جميع الكلمات متصلة تماماً ، وقد اتخذت اتجاهها مستقلاً خاصاً ، ولم يبق فيها من الشكل النبطي إلا الشيء القليل ، تجده في بعض الحروف فقط وهو الدلالة الباقية على مصدره الأصلي النبطي .

(١) درسنا هذا الرقيم سابقاً وترجمناه وعللنا عليه سابقاً .

(٢) وليفنسون ص ١٤٣ .

(٣) وليفنسون ص ١٤٤ .

(٤) وليفنسون ص ١٤١ و ١٤٢ .

وإذا تقدمنا في الزمن فاستعرضنا رقيم أم الجبال الثاني ، الذي بعد أحدث نص عربي عُثر عليه حتى الآن ، ويعود تاريخه الى منصرم القرن السادس الميلادي ، نجد أمامنا كتابة عربية مستقلة تمام الاستقلال ، مع الاحتفاظ بأشباح باهتة من الشكل النبطي ، وهذا آخر تطور للخط العربي بعد اتخاذه صبغته الخاصة .

وأقدم صورة للخط العربي المستقل هو الخط الكوفي الذي كان يسمى أيضاً بخط الجزم^(١) ، وإذا تأملنا هذا الخط نجد فيه الأشباح النبطية لم تزل ماثلة ، ثم انتقل هذا الخط من الحيرة الى مكة ، وقيل وصل من اليمن الى الحيرة والأنبار بوساطة كنده والنبط^(٢) . وهكذا لم يزل الخط العربي يتطور وينحو جانب السهولة والتبسيط حتى وصل الى حاله الحاضرة ، كما أن الخط الآرامي أيضاً تطور تطوراً محسوساً فاشتقت منه عدة أقلام وأشكال مختلفة ذكر بعضها ابن النديم في فهرسته^(٣) .

وأجل أقلام الخط الآرامي المتأخر الاسطرنجيلي ، ويقال له الخط الرهاوي أو الثقبيل ، وقد استنبطه بولس بن عرقا أو عتقا الرهاوي في مطلع القرن الثالث ، وقد تأثر به الخط الكوفي تأثراً عظيماً ، بل قيل إن أصل الخط العربي الكوفي هو الخط الاسطرنجيلي نفسه^(٤) . إلا أننا نعتقد أن الخط الاسطرنجيلي هذا انتقل في القرن الثالث الى اليمن فاحتلّ كتابات آل نجران^(٥) ثم وصل الى الحيرة القريبة من الكوفة ، والآن يظهر أن الخط الكوفي بعد أن

- (١) صح الاعنى جزءه ٣ ص ١٤ واحمد رضا ص ١٣ و ٤٣ و ٦٥ .
- (٢) اسرايل وليفنسون ص ١٩٨ واحمد رضا ص ٣٩ و ٥٧ .
- (٣) الفهرست ص ١٨ .
- (٤) الفؤلؤ المنثور ص ٢٦ الطبعة الاولى . حمى سنة ١٩٤٣ .
- (٥) المكتبة الشرقية لسماي ص ٦٠٣ الجزء ٣ .

أخذ عناصر من الخط النبطي متأثر بالخط الآصطرنجبي وأخذ أشكاله عنه ، وذلك عن طريق نجران والحيرة . وقد علمنا أن اليمن والحيرة كانتا مركزين للكتابة والثقافة^(١) وتأثر الخط العربي بهذا الخط الآرامي معقول جداً ، بل إنه صواب ، لأن أشكال الخطين المتقاربة تؤيد ذلك ، وقد دام استعمال الخط الآصطرنجبي عند السريان الى المئة الرابعة عشرة ، على أنه نشأ من خط سرياني آخر في القرن التاسع ، وهو الخط السرياني الغربي الذي تطور نحو السهولة واحتفظ الآن بالخط الآصطرنجبي كاملاً لتزيين رؤوس الفصول^(٢) في الكتب الخطية الهامة ، كما نشأ عن الخط الآصطرنجبي أيضاً ما يسمى بالخط السرياني الشرقي ، ونشأت أشكال أخرى للخط السرياني مازالت ماثلة في المخطوطات الكثيرة النفيسة التي تملأ خزائن الشرق والغرب .

ولو عدنا مرة أخرى نستعرض هذه النصوص الأثرية الخمسة ، رأينا أعظم نصر يحققه التعاون الوثيق بين الآرامية والعربية ، فالنص الأول (رقيم أم الجمل الأول) هو آرامي الأبجدية واللغة ، شأن عدد كثير من الرقم الأثرية المكتشفة في مواطن الآراميين الأول . ولكنه ينقل البنا حادثة عربية صرفة . أو بالحري إنه يعني بتخليد علم عربي خالص ، والنص الثاني (رقيم النار) نجد فيه لوناً جديداً من ألوان الحياة ، فانه آرامي بلغة وأبجدية ، أي ان اللغة التي كُتبت فيها وردت فيها مفردات آرامية الى جانب المفردات العربية ، وأبجديته مازالت محافظة على لونها الآرامي ، إنما ظهرت فيها بوادر أبجدية فنية جديدة هي طلائع الأبجدية العربية ، والنص الثالث (رقيم زيد) يشبه النص الذي سبقه بامتزاج اللغتين الآرامية والعربية مادةً وحرفاً ، إلا أننا نلاحظ زيادة في جنوح الناحية العربية الى التبلور والاستقلال ، أما النص

(١) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٧٧ وصبح الاضنى جزء ٣ ص ١٢ و ١٣ و ١٤

(٢) الأؤلؤ المشور ص ٢٦ و ٢٧ .

الرابع (رقيم حران) فقد زالت منه المفردات الآرامية ، وبقيت فيه صيغتها الحرفية ماثلة ، ومثله النص الخامس (رقيم أم الجبال الثاني) نجد فيه تحرر العربية من الآرامية مادةً وحرفاً ، ما خلا ما بقي من الدلائل الشكلية التي تعيد الى أذهاننا صور الأبيدية الآرامية بشكل ضئيل ، وهذا لعمري أعظم دليل على صير اللغتين الشقيقتين في طريق النمو والاكتمال .

وعند انتشار اللغة العربية في مواطن الآراميين في سورية والعراق ، على أثر الفتوح العربية ، نشأت طريقة جديدة عند الآراميين المسيحيين ، وهم السريان ، لكتابة العربية ، وهي التي تسمى (الكرشوني ، أو الجرشوني بالجيم المصرية) وهي أن تكتب اللغة العربية بالحروف السريانية ، وذلك منذ منتصف القرن السابع الميلادي . وكانني بالسريان أرادوا بهذه الطريقة إعادة مجد أبيديتهم التي كتبت بها اللغة العربية في عهد كتابتها الأولى . وهذه الطريقة ما زالت مستعملة عند عموم طوائف السريان الى يومنا هذا ، فتجد جميع طقوسهم وكتبهم المقدسة الكنسية المترجمة الى العربية 'تكتب بالأبيدية السريانية . ولدينا نسخ كثيرة من هذا النوع قديمة وحديثة في جميع كنائسنا السريانية .

أما لماذا سميت هذه الطريقة من الكتابة بـ (الكرشوني) فلم يتصل بنا تحليلها من السلف ، مع أنها قديمة جداً كما علينا الآن ، والأظهر أنها اتخذت اسمها (الكرشوني) من (قریش) . ونحن نعلم أن القرشيين في مستهل القرن السابع كانوا يؤمنون أمصار الشام وغيرها لغايات تجارية ، ومن المعلوم أن التجار يحتاجون الى سجلات ودفاتر حسابة وغيرها في عملهم التجاري ، ولما كانت الأبيدية العربية في مستهل القرن السابع غير شهيرة على الأقل ، يكون من المؤكد أن تجار قریش كانوا يكتبون سجلاتهم بالحرف الآرامي واللغة العربية ، وربما شاعت هذه الطريقة في ربوع الشام قبل غيرها ، ولما كان القرشيون هم الذين ردجوها واستعملوها أكثر من غيرهم نسبت اليهم . ولكن كلمة

(كرشوني) لا تحمل طابعا عربيا في صيغة النسبة بل تحمل طابعا سريانيا آرامية صرفا ، لأن صيغة النسبة باللغة السريانية كثيرا ما تكون بالنون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق ، وهكذا وضعت في هذه اللفظة النون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق الملقاة ، فتكون لفظة (كرشوني) والحالة هذه منسوبة الى قریش العربية ، وبذلك عادت الأبيجدية الآرامية السريانية الى معانقة صديقتها القديمة اللغة العربية ، ولما كان حرف (القاف) يقلب في اللهجات العربية المحكية الى (ج) كالجيم المصرية (مثل القاف في : قلب ، قبر ، قصر ، ويقال فيها : كب ، كبر ، كصر) ، قيل في نسبة هذه اللفظة (كرشوني - لا قرشوني) كما كان يجب أن يقال فيها وهذا أوجه تعليل نراه الآت .

ولما كان في الأبيجدية السريانية اثنان وعشرون حرفا فقط ، وهذه ليست كافية لكتابة اللغة العربية التي تحتاج الى ثمانية وعشرين حرفا ، عمد السريان الى الطريقة التي اعتمدها العرب أولاً عندما استمدوا الأبيجدية السريانية الآرامية للفتهم ، فصوروا كل حرفين متجانسين شكلا بحرف واحد ، فصوروا التاء والثاء بحرف (التاء) ، والذال والذال بحرف (الدوالت) ، والصاد والصاد بحرف (الصودي) ، والطاء والظاء بحرف (الطيث) ، والجيم والغين بحرف (الجومل - بالجيم المصرية) ، والكاف واخاء بحرف (الكوف) ، وميزوا بين هذه الحروف بطريقة الترفيق والتفشية السريانية المروفة عندهم ، فوضعوا نقطة حمراء فوق الحرف الفامي كالذال ، (ونقطة حمراء تحت الحرف اللين كالذال) وهكذا أعادوا الحروف الآرامية السريانية الى سابق عهدها مع اللغة العربية .

(يتبع) (الموصل) غريغور بومس بولس بهنام

بطولات العرب^(١)

يا دامي الجرح ، لا جرح ولا ألم
امسح دموعك إن ماجت موائجها
أسا مجع وبطاح الأرض في لجب
أتحسب الشمس من أبراجها هبطت
ما صيحة في سواد الليل رابعة
الله أكبر هذا الصوت من مضر
في كل غاب ضجيج من مواكبهم
كانهم والأعادي نصب أعينهم
هل العيون خلال الليل في يقظ
كلا وربك ما في العين من حلم
الجرح بعد انتفاض العرب ملتئم
فكل ثغر على الأيام مبتسم
كأنما الأرض والأفلاك تصطدم
فجنت الشمس والأبراج والنجم
كأنما الليل من أصدائها وجم
دوى فزلزلت الأطواد والأجم
وكل طود على هاماته شمم
سيل يفيض على أعدائهم عرم
أم العيون على أجفانها حلم
وانما العرب ثارت فيهم الهمم



(١) القصيدة التي ألقاها الأستاذ شفيق جبيري عضو المجمع العلمي العربي وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في مهرجان الشعر في دمشق في ١٦ مايس ١٩٥٩ .

شтан ما حاضر نزهى بفرته
 أتت ليال وعين العرب ساهية
 على بصائرهم إن أرشدوا حجب
 تكاد تحسبهم في دارهم رمماً
 تبجبح العجم في أوطانهم زمناً
 فما اللسان لسان العرب إن نطقوا
 أيصبح العرب في أوطانهم هملاً
 وغازر فاض فيه الدمع والألم
 كأنهم في ذرا ذؤبانهم غنم
 وفي مسامعهم إن خوطبوا صمم
 وهل تثور على أكفانها الرمم
 لله ما اعتسفوا فيه وما اجترموا
 ولا الثغور تغور العرب إن بسما
 ويزحم البوم هذا الأفق والرخم

* * *

هون عليك ، فللايام دولتها
 أما ترى العرب من إغنائهم نهضوا
 كأنما بعثوا التاريخ من أمم
 كانوا العمالق والدنيا تساندهم
 هذا ابن حمدان والآثار ناطقة
 حمى الديار ديار العرب فانطلقت
 سيوفه من دماء الروم قد رويت
 ملّ البطاريق من غاراته وبدا
 اضرب بعينك في آيات شاعره
 تكاد تسمع صوت الروم إن صرخوا
 فما تدوم على حالاتها الازم
 من كل فجّ لهم زحف ومقتحم
 فاليوم مجدهم من عيننا أمم
 هيات ما يستوي العملاق والقزم
 فما يعقني على آثاره القدم
 له الأناشيد والأوتار والنغم
 وكاد يشرق منها السيف والقلم
 على البطاريق من أهوالها السأم
 تظل تنطق في آياته الكلم
 وتلمس الخوف إن خافوا وإن وجموا

إما قتل تواري الأرض أضلعه
لو كان يعبد دون الله من صنم
لولا جهاد بني حمدان في حلب
أو سالم من سيوف العرب منهزم
ما كان لي غير سيف الدولة الصنم
ما كان للعرب تاريخ ولا علم

✧ ✧ ✧

تلك البطولات كالأهرام راسخة
انهض ورتل صلاح الدين آيتها
جاءوا إليك بجيش يعصمون به
لو كان همهم قبر المسيح لما
أيمنحون بني صهيون تربته
الحقد يأكل أكلاً من جوانبهم
عيسى بن مريم في الإسلام حرمة
ما في شريعته إلا السلام فهل
أين السلام وقد هدوا قواعده
مخوتهم وبطون الأرض تكتهم
حطين قد غذيت منهم منابتها
أين الحصون وأين النازلون بها
ودّ العباب الذي خاضوا غواربه
ليغسل العار عن شعاء هزمتهم

فاين ماطمسوا منها وما هدموا
الأذن مصغية وأنعين تلتهم
قبر المسيح فما صانوا ولا عصموا
تهودت منهم ذرية ظلموا
ويزعمون التقى، هيبات ما زعموا
والحقد نار على الأكباد تضطرم
في كل قلب له من أهله حرم
صمّوا عن الشرع إنكاراً له وعموا
وانما السلم في أفياننا عدم
في كل رابية عظم لهم ودم
فاخضوضر الشيخ والقيصوم والسلم
لم يفتهم عن جماح العرب معتصم
لو كاد يلعهم من بعد أن هزموا
وكيف يغسل هذا العار بعدهم

✧ ✧ ✧

ياأمة من تراث الدهر خالدة
 ظنوا اجتياحك مأموناً عواقبه
 كم غارة لهم في الشام عاصفة
 في كل غور من الأغوار معترك
 مضوا وخلوا هشيماً من شبابهم
 حلوا بأرضك حيناً ثم ما لبثوا
 مضت ولم تستبح آثارك الأمم
 وما دروا أنهم في ظنهم وهموا
 فلم يصبك على غاراتهم هـرم
 وكل نجد من الأنجاد مصطدم
 نما به العود والغيطان والأكم
 أن غادروا الأرض لم تثبت لهم قدم

* * *

لما رأوك وقد أعيت جحافلهم
 كأن أنسالهم من بعدهم حلفوا
 فأقحموا في ديار العرب شردمة
 هذي حضارتهم والشرّ يملؤها
 يشردون شيوخاً من ديارهم
 قوم يموتون من بؤس يشتمهم
 خير من العلم جهل تستقرّ به
 هل يبعث الله نوحاً في سفينته
 كأنما الروض من آثامهم ييست
 ولّوا وقد أورثوا الغيظ الذي كظموا
 أن يبعثوا الحقد نيراناً ويتقمموا
 من آل صهيون لا عهد ولا ذم
 ماتت على ضرحها الأخلق والشيم
 كأنهم في صحارى تيهيم بهم
 وآخرون على أظلالهم نعم
 حرية الخلق والأنفاس والنسم
 حتى يعم الورى الطوفان والديم
 فما ينضرها ورد ولا عنم

* * *

مهاً فلا تياسن اليوم ان عبست
 ما ضرّ موكبك الجرار إن طرحوا
 فما يعوق ضياء الشمس إن سطعت
 تمضي الليالي واسرائيل جاثمة
 ذل ومسكنة في كل أعصرهم
 أضحوا جراثيم في الأوطان ناخرة
 تلك الثعابين إن سالت مزاحفها
 فهل تظل سفوح القدس ضائعة
 إذا ضحكنا فما في جدهم ضحك

* * *

ألهى بني يعرب عن نصر إخوتهم
 على الفراتين من آثاره ثلم
 كأن دجلة قد ثارت أباطحه
 تخاله معرباً عن نار غضبه
 بيني وبينك يا بغداد واشجّة
 أتصرمين حبلاً حاكمها نسب
 ماذا تقولين للمنصور إن لمحت
 كانت قصور بني العباس آمنة
 دم يسيل على أطرافها دفعاً
 شمل على غمرة الأحداث منقسم
 فسل عبايها هل سدّت التلم
 أما ترى هذه الأمواج تلتطم
 وللخضمّ لسان معرب وفم
 من الأواصر ما تنفك تلتجم
 من العروبة يا ويح الذي صرموا
 عيناه في حلمه الملك الذي قسموا
 واليوم ألوت بها الأحقاد والنقم
 وأربع ملء عين الناس تهدم

فما تنام عيون تحتها وَّسن
 في الليل إن جنحت ظلماؤه ظنن
 كأنما الثورة الحمراء ديدنها
 فهل يثوب رجال بعدما جهلوا
 متى أرى حمرة الرايات صائرة
 ولا تبين شفاه فوقها لجم
 وفي الصباح على إشراقه تهم
 ملك على ظله الأرواح تخترم
 أم هل يثوب رجال بعد ما علموا
 الى البياض عليها السلم منتظم

* * *

سيندم العرب إن طال الشقاق بهم
 لم نبين ملكاً ولم نلهج بثورته
 إن الدماء التي روت جوانبه
 أيذهب اليوم ما ضحوا به هدراً
 أخبت بها نزوة أملى وساوسها
 وليس ينفع عضّ الكف والندم
 ليهدم العرب ما نبني ويختصموا
 يكاد منها يشيب الرأس واللمم
 أما لنا من هدى إيماننا حكم
 إبليس حتى يرى منا الذي يصم

* * *

هذا فؤادي وقد هاجت هوائجه
 ليست قوافي ما غنيتُ سامعها
 فهل أرى العرب أغصاناً يلفهم
 حتى يعيدوا ضحى التاريخ خافقة
 فكان مثل لبيب النار يحتدم
 وانما عبرات القلب تنسجم
 على الديار بيان العرب والرحم
 أعلامه فيرف العز والكرم

شفيق ميري

www.alukah.net

الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه «الإيضاح»

(٢)

مؤلفات الزجاجي :

ورد في إنباه الرواة ، وبنية الرواة ، وكشف الظنون ، وكتاب يروى عن كثير من أسماء الكتب التي ألفها أبو القاسم الزجاجي في شتى علوم اللغة . ولكن لم يصل إلينا من هذه الكتب إلا القليل ، ولم يُطبع مما وصل منها إلينا إلا كتابان ، وما زال سائرهما ينتظر الجهد والعزيمة لينفض عنه الغبار ، وبأخذ مكانه في المكتبات .

وسنتحدث فيما يلي عن هذه الآثار وما يتصف به كل منها ، بادئين بما طبع منها ، ومعقبين بعد ذلك بالخطوط من موجودة ومفقودة .

١ - كتاب «الجمال» : وهو أهم كتب الزجاجي ، وموضوعه النحو ، يتحدثوا عنه أكثر مما يتحدثوا عن صاحبه ، وذكروا أنه صنفه بمكة ، وكان إذا فرغ من باب منه طاف به صبيح مرآت داعياً أن يقهر الله له وأن ينفع بكتابه قارئه ^(١) . وكان عدد الذين اتفقوا به وانفراً لا يحصى ، وكلهم وصفه بالبركة حتى عمّ نفعه بلاد الإسلام ^(٢) .

(١) إنباه الرواة ٢ : ١٦١ ، وكشف الظنون ١ : ٦٠٣ ، وبنية الرواة ٢٩٧

(٢) مرآت الجنان ٢ : ٣٣٢ ، وخذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

ويبدو أنه كانت لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة في عصره ، حتى اشتغل به الناس وجعلوا حفظه همهم . قال الفوري - وهو أحد شراح الجمل - : « أكثر الناس من استعمال « الجمل » ودراسته ، وألزموا أنفسهم حفظه ودرابته ، »
 وإنه تصنيف قد أنجد وغاز وطار في الآفاق كل مطار»^(١) . و « الجمل » هو الكتاب النحوي الذي عول عليه الدارسون حتى جاء الفارسي وابن جنبي فشغلاهم بكتبها . قال القفطي : « وهو كتاب المصربين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز واليمن والشام ، إلى أن اشتغل الناس بـ « اللحن » لابن جنبي ، و « الإيضاح » لأبي علي الفارسي »^(٢) .

وقد قيمة الكتاب هذه ، هي التي تفسر لنا هجوم العلماء على شرحه ، وازدحامهم على الكتابة عنه . قال صاحب صرآة الجنان : « أخبرني بعض فضلاء المقاربة بأن عندهم لكتابه - أي للجمل - مائة وعشرين شرحاً »^(٣) . وكذلك نقل ابن العماد في شذرات الذهب^(٤) . وقد طوت الأيام معظم هذه الشروح ، ودرست أسماؤها ، فلم يبقنا إلا ألقها .

أما كتاب « الجمل » نفسه فقد ذكروا أنه كتاب جيد لولا طوله بكثرة الأمثلة . ولعل أحد المتقدمين أطلق هذا الحكم ، بالقياس إلى كتب النحويين الأولين ، فتناقل المؤلفون هذا الحكم دون تمحيص ، وهو حكم غير مصيب . فالكتاب جيد ومن تمام الجودة فيه وضوح الأمثلة . وقل أن نجد بين كتب النحو القديمة مثل كتاب الجمل وضوحاً وبيانا . وليس عيباً أن يخرج الزجاجي عما وضعه سيبويه من منهج في التأليف قائم على الإيجاز والاختصار ، والتكثيف ،

(١) مقدمة وثي الحل .

(٢) إنباه الرواة ٢ : ١٦١

(٣) صرآة الجنان ٢ : ٣٣٢

(٤) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

والجمل بتوضيح المثال أو إتمامه ، حتى بات « الكتاب » لا يفهمه إلا فقهاء العلم والراسخون فيه .

ثم إن كتب النحو لا توضع كلها لطبقة واحدة من الناس . فلئن كانت كتاب سيويوه وأمثاله يصلح للشيخ الذين تعمقوا في العلم ، ووقفوا على دقائقه وأسراره ، فإن كتاب الزجاجي وأمثاله لينفع المبتدئين في النحو والمتعلمين إلى تعلمه ، وذلك لأنه : « كانت طريقته في النحو متوسطة ، وتصانيفه يقصد بها الإفادة »^(١) . ولقد شهد له بعض العلماء أنهم بتأليفه فتحوا أنظارهم على النحو ، قال ابن السيد البطلنيوسي : « وإنه - أي الزجاجي - من أئمة هذه الصناعة ، فإننا بكتابيه قد افتتحنا النظر في هذا العلم ، وهو الذي رشح بصائرنا لما منحناه من الفهم »^(٢) .

ويجدر بنا - ونحن بصدد الحديث عن صعوبة النحو ، وضرورة تبسيطه - أن نعود إلى مثل كتاب الجمل ، لنرى النحو فيه واضح العبارة ، قريب المتناول ، سخياً بالأمثلة ، بعيداً عن التعقيد . وتظهر رغبة الزجاجي في توضيح النحو وتقريبه حين يهجر بعض المصطلحات أو يفسرها ليكون كلامه أقرب إلى الفهم ، ويصرح بذلك فيقول : « ولبس هذا من ألفاظ البصريين ، ولكنه تقرب على المبتدئ »^(٣) . وكذلك ينقل أفكار الكوفيين بغير عباراتهم ، لأن ألفاظهم لا يفهمها إلا من تعود النظر في كتبهم »^(٤) . بل هو يشرح كتاب « الزاهر » ويختصره « لأنه كتاب مقصود به المبتدئون للنظر في علم اللغة . . . »^(٥) .

(١) إنباه الرواة ١ : ١٦٠

(٢) اصلاح الخلل : الورقة ١

(٣) الجمل : ٩٠

(٤) الايضاح

(٥) مختصر الزاهر : الورقة ١

والزجاجي - على عادة القدماء - 'بلحق بالنحو في كتاب الجمل بعض ما يتصل بالإملاء كباقي الهجاء ، وهما بحثان مفصّلان في رسم الحروف ، وباب أحكام الهززة في الخط ، وهو بحث في قواعد الهززة الإملائية وما دار حولها من خلاف بين البصريين والكوفيين ، الذين امتدّ اختلافهم في النحو حتى شمل قواعد الخط فكان لكل منهم رأي فيه ! وتعرض في كتابه أيضاً للضرورات الشعرية تفصيلاً يباب عنوانه « ما يجوز للشاعر أن يستعمله في ضرورة الشعر » ، ولكنه كان بحثاً موجزاً خالياً من الشواهد والأمثلة على خلاف العادة . وضمن الكتاب أيضاً بعض البحوث الصوتية كباب الإمالة وباب الإدغام وما يتصل بخصائص الحروف من مهجوسة ومجمورة .

ومن كتاب الجمل نسخ خطية كثيرة منشورة في أكثر مكاتب أوروبا^(١) . ومن نافلة القول أن نتحدث عن نسخة الخطية بعد أن طبع^(٢) . وكان طبعه سنة ١٩٢٦ بنفقة كلية الآداب في الجزائر وبحقيق الأستاذ الشيخ ابن أبي شنب . وجاء في هذه النسخة المطبوعة أن المستشرق الألماني « يوحانس ثولف » طبع في ليبسغ سنة ١٩٠٤ مقالة لخص فيها كتاب الجمل ، وترجم إلى اللغة الألمانية الأربعة والستين شاهداً الأولى^(٣) .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢ : ١٨٣
 (٢) من الواجب أن أشير هنا إلى وجود نسخة غير معروفة من كتاب الجمل ، فلمنّه ينتفع بها أحد المشتغلين بالعربية أو الطاعين إلى إعادة طبع « الجمل » بعد أن فقدت نسخته حتى من أشهر المكتبات المائة وهذه النسخة في دار الكتب بالقاهرة مجلدة مع مخطوطات أخرى ، ورقها / ٤٨٦ مجاميع / وهي لا تحمل اسم الجمل ، ولكنها تحمل اسم الزجاجي ، وقد تبين لي لدى قراءتها ومعارضتها بالنسخة المرووفة للجمل ذات الرقم / ٦٧ ش / أنها نسخة أخرى كاملة من الكتاب نفسه . وقد كتبت في حلب سنة ٨٩٥ هـ . وهي تبدأ من الورقة ٩٦ وتنتهي في الورقة ١٧٠ .

(٣) الجمل : ٣٨٣

وأما الكتب التي ألفت حول الجمل فكثيرة جداً ، منها الشروح ، ومنها شروح الشواهد ، ومنها في التعقيب عليه أو التعليق . . . وقد رأينا أن شروحه بلغت في المغرب وحده مئة وعشرين شرحاً . ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الجمل نستخنان : كبرى وصغرى ، وأن أكثر هذه الشروح كانت للكبرى . ومن شروح الصغرى شرح ابن بابشاذ الذي شرح الجمل وألف كتاباً في الزيادة التي بين الصغرى والكبرى ^(١) . على أن هذه الشروح جميعاً لم يُطبع منها شيء ، فيما أعلم ، وقد ضاع أكثرها ، ولم أستطع أن أعرف منها أكثر من ثمانية وثلاثين كتاباً اقتصر على ذكر أهمها فيما يلي :

أ - شرح الجمل لأبي القاسم الحسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف والمتوفى بطليطلة سنة ٣٩٠ ^(٢) .

ب - عون الجمل ، وهو شرح لشواهد الجمل ألفه أبو العلاء أحمد بن عبد الله المرعي المتوفى سنة ٤٤٩ لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم . وهو آخر كتاب أملاء أبو العلاء ^(٣) . وللمرعي كتابان آخران يتصلان بجمل الزجاجي ، كما ذكر باقوت ^(٤) ، وهما «تعليق الجلبس» ^(٥) و «إصعاف الصديق» .

ج - شرح أبيات الجمل لابن سيده ، علي بن اسماعيل المتوفى سنة ٤٥٨ ^(٦) .
د - شرح الجمل لأبي الحجاج ، يوسف بن سليمان ، المعروف بالأعلم الشنتحري ، المتوفى سنة ٤٢٦ . وله أيضاً شرح أبيات الجمل .

(١) مقدمة الجمل .

(٢) منه نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة . رقها / ٤٦٤ / نحو / وعدد أوراقها ١٥٥ ورقة .

(٣) معجم الأدباء ٣ : ١٦٠ .

(٤) المصدر السابق ٣ : ١٥٧ و ١٥٨ .

(٥) جاء في إنباه الرواة أنه «تعليق المجلس» ١ : ٦٤ .

(٦) منه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة . رقها ١٤٩٣ .

هـ - إصلاح الخلل الواقع في الجمل^(١) ، لأبي محمد عبد الله بن السيد البطلميرسي المتوفى سنة ٥٣١ هـ . قال عنه صاحب كشف الظنون « إنه أحسن شروح الجمل »^(٢) .

و - الخلل في شرح أبيات الجمل^(٣) ، للبطلميرسي أيضاً ، وهو يشرح فيه معاني الأبيات ويعزوها الى قائلها . وجدير بي أن أبه علي صهر القفطي حين عدّ الكتابين السابقين كتاباً واحداً^(٤) .

ز - شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد ، المعروف بابن خروف الأندلسي ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ^(٥) .

ح - شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن عصفور الاشبيلي ، المتوفى سنة ٦٦٩ هـ^(٦) .

ط - شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الاشبيلي ، المعروف بابن الضائع ، المتوفى سنة ٦٨٠ هـ^(٧) . وذكر السيوطي أن

(١) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، رقماً ١١١٠ نحو . وعدد أوراقها ٧٦ ورقة مكتوبة بخط مفرني . وذكر محقق الجمل أن منه نسخة أخرى في مكتبة ليدن

(٢) كشف الظنون ١ : ٦٠٣

(٣) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة ، مجلدة مع كتاب البطلميرسي السابق / رقم ١١١٠ نحو / مبتدئ من الورقة ٧٧ وتنتهي في الورقة ١٥٠ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامعة الزيتونة رقماً ١٤٩٤ . وقال ناشر الجمل ان منه نسخة في مكتبة برلين .

(٤) إنباه الرواة ٢ : ١٦٠

(٥) ذكره السيوطي في الأضواء والنظائر ٢ : ٣٠ . وأشار إليه بروكلمن . وقال ناشر الجمل إن منه نسخة في مكتبة برلين .

(٦) نقل السيوطي كثيراً منه في الأضواء والنظائر ١ : ٢٠ و ١٠٧ و ١٤٣ و ١٤٩ و ٢١٤ و ٢٩٨ و ٣٣٨ . ج ٢ : ٧٤ و ٨٠ و ٩٨ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامعة الزيتونة رقماً ١٤٩٢ . وقال ناشر الجمل إن منه نسخة في ليدن وأخرى في انبروزبانه .

(٧) قيل إنه في ثلاثة اجزاء . ورأيت منه جزأين في دار الكتب بالقاهرة . كتباً سنة ٧٣٥ الأول في ٩٨ ورقة والثاني في ٩٧ ورقة .

أبا الحسن هذا رداً اعتراضات البطلومي على الزجاجي .
 ي- شرح الجمل لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام النحوي ، المتوفى
 سنة ٧٦٢ .

وقد نقل السيوطي كثيراً من جمل الزجاجي ، وأقوال شارحيه في كتبه
 ولا سيما الأشباه والنظائر والافتراح .

٢ - كتاب الأمالي :

طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٣٢٤ هـ ، وحققه الأستاذ أحمد بن
 الأمين الشنقيطي ، إلا أنه لم يكف نفسه عناء التعريف بالكتاب أو بصاحبه ،
 بل اكتفى بأن ذكر موجزاً لما قاله ابن خلكان عن الزجاجي .
 وقد جاء ذكر الأمالي في كل الكتب التي تحدثت عن الزجاجي أو آثاره ،
 كما جاءت تقول عنه في الأشباه والنظائر^(١) وفي خزانة الأدب^(٢) . إلا أننا
 بمراجعة هذه النقول ومعارضتها بالنسخة المطبوعة نتبين أن للأمالي أكثر من
 نسخة واحدة ، فقد نقل البيرادي في خزانة الأدب عمماً أسماء بالأمالي الوسطى ،
 ونحن لا نجد ما نقله في « الأمالي » التي بين أيدينا . وكذلك نقل السيوطي في
 الأشباه والنظائر كثيراً من أخبار الأمالي مما لا نجد في النسخة المطبوعة إلا
 بعضه فقط ، كما نظرت أبي حاتم السجستاني والتوزي^(٣) ، ومناظرة ابن الأعرابي
 والأصمعي^(٤) . وقد يكون السبب في ذلك ، أن السيوطي كان ينقل عن
 نسخ الأمالي المختلفة دون أن يشير إلى ذلك . فما كان منقولاً عن الأمالي
 الصفري وجدناه في هذه المطبوعة وما كان عن غيرها لم نجده فيها . وهكذا

(١) خطبة الكتاب . ج ٢ : ٢ ، ج ٣ : ٢٢ و ٢٣

(٢) ج ٢ : ١٠٩

(٣) الأمالي : ٧٦ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٢

(٤) الأمالي : ٣٩ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٣

فما دنا لم نجد في نسختنا ما نقله البغدادي عن الوسطى ، ولا كثيراً مما نقله
السيوطي ، فالأرجح أن تكون النسخة الموجودة هي الأماي الصفري . وقد
أشار بروكين الى وجود الوسطى والصفري ، ولم أعثر على غير النسخة المطبوعة
التي رجحت أنها الصفري ، فلذلك سأقصر حديثي عليها وحدها .

كتاب الأماي عبارة عن مجموعة أخبار وقصص متتالية متنوعة ، لا نظام لها ،
ولا رابطة بينها . ينتقل القارئ فيها من تفسير آية من سورة الكهف مثلاً ،
وما قيل فيها من أقوال ، إلى خبر وقع بين معاوية بن أبي سفيان وعامله رَوْح
ابن زبناع^(١) ؛ ومن شعر لابن أبي ربيعة وجميل بثينة الى رثاء قيل في أحمد
ابن أبي دؤاد^(٢) .

ولست أدري ، لعل ذلك يعود إلى أن الشيخ كان يميل دروسه على طلابه ،
فإذا ما انتهى الخبر انتهى معه الدرس ، ثم يأتي الدرس الجديد فيأتي معه الخبر
الجديد على نحو ما كان بدور في الدروس القديمة التي تعرف بالمجالس .
على أن هذا النباين في الأخبار لا يعني أن الكتاب أشنات مجتم ، فقد
تكون الناحية اللغوية هي التي تنظم كل ما ورد في الكتاب من أخبار وحكايات
وأشعار . وعناية الزجاجي باللغة تظهر في هذه الأماي أكثر من أي ناحية
أخرى ، حتى كأنها هي وحدها الغرض من إملائه ؛ إنه يورد الخبر أحياناً
ولا شيء فيه غير اللغة . قال : « أخبرنا أبو عبد الله نفظويه ، عن أحمد بن
يحيى ، عن ابن الأعرابي ، قال : الصبر مصدر صبرت . والصبر لغة في الصبر
هذا المرء . والصبر الحبس ، يقال صبرت فلاناً على كذا وكذا أي حبسته عليه .
وفي الحديث أن رجلاً أمسك رجلاً فقتله آخر ، فقال : اقتلوا القاتل واصبروا
الصابر أي احبسوه . والصبر الاجترأ على الشيء ، ومنه قول الله عز وجل :

(١) الأماي : ٦

(٢) الأماي : ٥٥ و ٥٦

«فما أصبرهم على النار» أي ما أجرأهم عليها . وقال المبرد تأويله ما دعاهم إلى الصبر عليها (١) . وأشد ابن الأعرابي :

سقيناهمُ كأساً سقونا بثلمها ولكننا كذا على الموت أصبرا
أي كذا أجرأ منهم على الموت فاقحمناه (٢) . ومثل هذا كثير جداً في الأمالي .

وقد يتعرض لبعض المسائل النحوية فيورد أفعال النحاة فيها ثم يذكر رأيه ويملأه كما فعل حين أورد في بعض الأخبار قصيدة الأحوص التي يقول فيها :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فقال : «وأما قوله سلام الله يا مطر عليها فإنه منادى مفرد ونونه ضرورة . فأما الخليل وسيبويه والمازني فيختارون أن بنوته مرفوعاً ويقولون : لما اضطررنا إلى تنوينه نوناه على لفظه . وإلى هذا كان يذهب الفراء ويختاره . وأما أبو عمرو ابن العلاء وبونس بن حبيب وعيسى بن عمر وأبو عمر صالح بن اسحاق الجرمي فينشدونه سلام الله يا مطراً عليها بالنصب والتنوين ، ويقولون : رُدَّ التنوين إلى أصله ، وأصله النصب ، وهو مثل اسم لا ينصرف ، فإذا اضطر الشاعر إلى تنوينه نونه وصرفه وردّه إلى أصله . قال الشاعر :

ما إن رأيت ولا أرى في مدتي كجوارِيِ يلهين بالصحراء
ألا ترى كيف نونه وحفضه ؟

قال أبو القاسم الزجاجي رحمه الله : القول عندي قول الخليل وأصحابه ، وتلخيص ذلك أن الاسم المنادى المفرد العليم مبني على الضم لمضارعه عند الخليل وأبي عمرو وأصحابها للأصوات ، وعند غيرهما لوقوعه موقع المضمر ، فإذا لحقه التنوين في

(١) قال الفراء في هذه الآية وجهان : أحدهما ما الذي صبرهم على النار ؟ والوجه الآخر : ما أجرأهم على النار . « معاني القرآن ١ : ١٠٣ »
(٢) الأمالي : ٨

ضرورة الشهر فالعلة التي من أجلها بني قائمة بعد ، فينون على لفظه ، لا لنا قد رأينا من المبنيات ما هو منون نحو « ايه وغاق » وما أشبه ذلك ، وليس بمنزلة ما لا ينصرف أصله الصرف . وكثير من العرب لا يمتنع من صرف شيء في ضرورة شهر ولا غيره إلا « أفعل منك » وعلى هذه اللفظة قرئ قواريراً قواريراً من فضة بنموذجها جميعاً ، فإذا نون فإنما يرد إلى أصله ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منوناً منصوباً في غير ضرورة شهر وهذا بين واضح .^(١)

أما طريقة الزجاجي في هذا الكتاب فهي طريقة من بُني بالأسانيد عنابة جيدة حتى يكاد لا يخلو من السند خبر من أخبار الكتاب ، كأن يقول : « قال أبو القاسم أخبرنا أبو اسحاق الزجاج قال أخبرنا أبو العباس المبرد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال . . . » وهذا أسلوب من اعتقد أن اللفظة لا يعتد فيها بالرأي وإنما هي بنت النقل والرواية وللأسناد فيهما المكان الأول ، ولما كان الزجاجي في أماليه لغوياً فقد اتبع منهج اللغويين ، أما في غير هذا الكتاب فقد يكون للزجاجي موقف آخر كما هو في الإيضاح ، حيث يتحدث عن مشاكل النحو وعلاها مستفتياً عن السند ، وما ينفعك السند ما دام محدثك يعمل لك القول حتى ينفعك قوله أكثر مما ينفعك اسم صاحب الخبر ونافله وسلسلة سنده .

وبكتاب الأمالي نختتم الحديث عن آثار الزجاجي المطبوعة لننتقل إلى الحديث عن آثاره المخطوطة من موجودة ومفقودة .

٣ - الإيضاح في علل النحو :

وهو الكتاب الذي صنعه من عرض مادته ونخصه بالحديث بمد قليل .

(١) الأمالي : ٥٤ و ٥٥

٤ - شرح مقدمة أدب الكاتب^(١) :

وهو كتاب شرح الزجاجي فيه خطبة ابن قتيبة في كتابه المعروف بأدب الكاتب . وقد جاء في مقدمة هذا الشرح : « هذا كتاب فيه تفسير رسالة ابن قتيبة في أدب الكتاب ، تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي »
 واما قاله الزجاجي في المقدمة : « وقد رأيت أن أشرح رسالة الكتاب الموصوم بأدب الكتاب لابن قتيبة ، لأنه ذكر فيها جملاً من الآداب قريبة ، وأعرض عن شرحها صفحاً يسوغ المقال فيها ويتسع الكلام . ففسرت ما تضمنته من اللغة باشتقاقه وتصاريفه ، ومن النحو بملله ومقاييسه ، وأوضحت ما أوما إليه مما ذكر ، لحاجة الكتاب إليه من معرفة المصادر والأبنية ، واطلاق الياء عن الواو ، والواو عن الياء ، والالف عنهما ، وجملاً من التصريف نافعة لمن نظر فيها وتاملها بعين تدير واستبصار . وفسرت أخبار الرسول ﷺ التي ذكرها ولم يفسرها ووصلت بها ما جانسها . وذكرت معاني الكلام الذي حكاه عن المنطقيين والمهندسين ، وجملاً من المساحة تكفي من نظرها عما سواها . وجمعت جميع ذلك موجزاً غاية الإيجاز ، ليقل حشوه ، وتكثر فائدته . ولم أدخل كل فصل فيه من تضمنته خبراً طريفاً يشاكله ، وأحياناً نادرة ، وبنت معنى ، ليكون هذا الكتاب - باحتوائه على ما ذكرته للمتطلع الى المعرفة بهذه الأشياء - أحضر فائدة ، وأمرع نفعاً من الكتاب المقصود بالرسالة . وبالله التوفيق »^(٢) .
 (انظر صورة الأصل) . وبأخذ الزجاجي بمد ذلك بشرح كلام ابن قتيبة .

- (١) ورد ذكر هذا الكتاب في : إنباء الرواة (٢ : ١٦٠) وبغية الرعاة (٢٩٧) وإشارة التميمي (ورقة ٢٦) وكشف الظنون (١ : ٨) .
 وهرسة ابن خبير (٣٤٤) وبروكمان (١ : ١٧١) . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في دار الكتب بالنامرة ، رقمها / ٣٩ ش أدب / وهي في ٧٠ ورقة ، كتبت سنة ٥٥٨٦ هـ بخط عادي ، وعليها شهادة بأنها هرست بنسخة أخرى عليها خط ابن الحشاب النعري . وهي نسخة كاملة . صورها مهدي الخطوط تحت الرقم ٣٧٧ . ومنه نسخة أخرى في اسطنبول ، صورها المهدي أيضاً .
 (٢) شرح مقدمة أدب الكاتب . نسخة دار الكتب رقم ٣٩ ش أدب ، الورقة ٢

• — مختصر الزاهر :

« الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس » كتاب لأبي بكر محمد ابن أبي محمد القاسم الأنباري النحوي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وهو مجلد شرحه واختصره الشيخ الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي^(١) « ويحدثنا الزجاجي عن هذا المختصر فيقول : « هذا كتاب جمعت فيه جمل الألفاظ التي ذكرها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في كتابه الموسوم بالزاهر ، فشرحتها مختصرة موجزة ، وحذفت منها الشواهد وما يتعلق بها من كلامه المطول . وقد كان المفضل^(٢) ، صاحب الفراء ، أنشأ كتاباً في هذا المعنى سماه الفاخر^(٣) ، جمع فيه قطعة من اشتقاق ما يكثر ترداده في المحاورات والمخاطبات ، فعمد أبو بكر محمد بن القاسم لذلك الكتاب ، فنقله نقلاً ، وذلك صعبه وبسطه ، وكثره بالشواهد ، ولبس للكتاب ترصيف ولا نظم مستخرج يتعب فيه المؤلف ، وإنما هي حروف بأعيانها ، منقولة من كتب المتقدمين ، معروفة منها ، فها ومن تكلم في هذه الحروف غيرهما سواء . إلا أنني تدبرت الكتاب الزاهر ، فوجدت فيه من السهو والغلط شيئاً كثيراً ، فرأيت مع اختصاره وتهذيب ألفاظه

(١) كشف الظنون ٢ : ٩٤٧ . وورد ذكر الزاهر في الزهر (١ : ٨٧)
وتمرسة ابن خبير (٣٤١) وبروكمان (١٧١ : ١) وتاريخ آداب اللغة
العربية لزيدان (٢ : ١٨٣) .

ومن مختصر الزاهر للزجاجي نسخة خطية في دار الكتب بالهاهرة ، رقها / ٥٥٧
لغة عربية / كتبت سنة ٦٢٠ هـ بخط مقرئ أندلسي . وعدد أوراقها ١٧٩
ورقة ، متوسطة الحجم .

(٢) لعل الصواب هو « المفضل بن سلمة بن عاصم » ثم سقط ما بعد المفضل ،
وذلك لأن سلمة بن عاصم هو صاحب الفراء لا ابنه المفضل .

(٣) القاصر كتاب لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي ، ألفه فيما دار
واختبر بين الناس وسار كالأمثال . وقد طبه المستشرق الانكليزي شارلس
اتبروس ستوري (C. A. Story) في لندن سنة ١٩١٥ م .

إصلاح ما فيه من الفلظ ، وكشفه وشرحه ، لأنه كتاب مقصود به المبتدئون للنظر في علم اللغة ، فتمت تعلق المبتدئ بشيء من هذا الكتاب وصرحت عليه اعتقده ، ورأى أنه الحق دون سواه . فبينت للناظر فيه حقيقة الأشياء ليعرفها . ورأيت أنه قد حكي في مواضع كثيرة للفظ الواحد وجوهاً ، والمسألة أجوبة ، تكثيراً لذلك ، وإنما يرجع جميعه إلى أصل واحد وإن تباينت ألفاظ العلماء فيه ، فنبهت على ذلك ، وأربت كيف رجوعه إلى أصل واحد . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ذكرها من النحو وعمله ومن التصاريف على مذهب الكوفيين ، فذكرتها على مذهب البصريين ، ودلت على صحة مزاعمهم دون مذهب الكوفيين ، ووجدته قد ذكر في بعض الفصول شيئاً يسيراً من اشتقاق أسماء البلدان ، وترك عامة ما يحتاج إليه منها ، فأضفت إليه باباً ذكرت فيه جمهور اشتقاق أسماء البلدان ، وأسباب تسميتها . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ترك فيها للمسألة وجوهاً متباينة لفظاً ومعنى قد ذكرها العلماء مشهورة ، وزيادات في الباب من اللغة لم يأت بها ، فذكرت ذلك أجمع ، ليكون الناظر في هذا الكتاب مع إحاطة علمه بما تضمنه الزاهر ، عارفاً بمواقع السهو فيه ، وبهذه الأشياء التي ذكرتها ، مع اختصار هذا الكتاب ، وأنه دون الثالث من مقدار جملة الزاهر .

وقد وقع في شيء بسير من هذا الكتاب تقديم وتأخير ، على ما اتفق من اختصار ، إلا أنا قد أتينا عليه أجمع . «^(١)

ولم يترك لنا أبو القاسم ما تزيده على وصف مختصره القيم ، إلا أن السيوطي نقل لنا كلمة تبين قيمته إذ قال : قال أبو حنن الشاري في فهرسته : كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة ؛ مختصر العين

(١) مختصر الزاهر ، نسخة دار الكتب بالقاهرة رقم ٥٥٧ لفة . الورقة ١ .

للزيدي^(١) ، ومختصر الزاهر للزجاجي ، ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام ، ومختصر الواضحة للفضل بن سلمة^(٢) . « فتأيدت بهذا القول شهادة الزجاجي بنفسه حين جعل مختصره فوق الأصل .

٦ - كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل .

جاء في إشارة التعمين أن اسم هذا الكتاب هو « شرح أسماء الله الحسنى » وأكثر الذين تحدثوا عن الزجاجي لم يثيروا إلى هذا الكتاب ، وقد عدّ صاحب كشف الظنون واحداً وثلاثين عالماً ممن ألف تحت هذا العنوان ولم يشر إلى الزجاجي بينهم بل لم يذكر بينهم من مات قبل سنة ٣٨٨ ، وعلى هذا فإن الزجاجي قبلهم جميعاً في السبق إلى هذا النوع من التأليف^(٣) . ويمرّف الزجاجي بكتابه هذا فيقول في خطبته^(٤) : « هذا كتاب أفردته لشرح اشتقاق أسماء الله عز وجل وصفاته المذكورة في الأثران من أحصاها دخل الجنة حسب ما رواها أهل العلم واصتبطوها بمد الرواية بشواهد من كتاب الله عز وجل فاستخرجوها منه لئلا يعارض فيها شك ، ولا يختلج في الصدور زبغ

(١) كتاب الدين المشهور والذي ينسب لتخليل ، اختصره اختصاراً حسناً أبو بكر محمد بن الحسن الزيدي صاحب طبقات الفرقين والنحريين ، المتوفى سنة ٣٧٩ هـ .
(٢) الواضحة في تجريد الفاتحة ، فسيدة دالية في اثنين وعشرين بيتاً للشيخ برهان الدين بن ابراهيم الجميري المتوفى سنة ٧٣٢ . وقد اختصرها فضل بن سلمة .
(٣) يجب أن نشير إلى أن ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ قال في مقدمة كتابه « تفسير غريب القرآن » : « نفتتح كتابنا هذا بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته التي فنخر بناؤها واشتقاقها ... » وبذلك يكون سابقاً لغيره ولكنه لم يفرّد ذلك بالتأليف كما فعل الزجاجي .

(٤) من هذا الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية رقها/٣ ش لغة وهي في ١٤٩ ورقة وصورتها في معهد المخطوطات (فيلم /٣١٢) وهي من رواية أحمد بن محمد بن سلمة النسائي عن أستاذه الزجاجي . وصحها منه علي بن الحسين الراسبي .

في التصديق بها ، على مذاهب (أهل) العربية العلماء باللغة ، المارفين بأساليب كلام العرب واشتقاقه وتصاريفه ، غير عادل عن مذهب العرب في ذلك خاصة . وأختم الكتاب بالفرق بين الاسم والنعت ، ووجوه النعت في كلام العرب ، ومجاري صفات الله عز وجل وموقعها من ذلك ، وذكر من قال بالاشتقاق ومن أبى ذلك والرد عليه وبالله التوفيق « (انظر صورة الأصل) .

٧ - كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر :

وهو كتاب يبحث في تبادل الحروف بعضها مع بعض ومعاقبتها وتناظرها ^(١) .

٨ - كتاب اللامات :

ذكره كثير ممن ترجموا للزجاجي كالسيوطي ^(٢) وبروكمان ^(٣) وغيرهما ، وهو كتاب جيد يبحث في اللامات ومواقعها في كلام العرب . قال الزجاجي في خطبته : « هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عز وجل ومعانيها وتصريفها والاحتجاج لكل موقع من مواقعها ، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف . وبالله التوفيق ^(٤) . » (انظر صورة الأصل) .

٩ - شرح كتاب الألف واللام للمازني :

ذكر السيوطي ^(٢) هذا الكتاب في جملة كتب الزجاجي وأشار إليه صاحب عيون التواريخ ^(٥) كما أشار إليه صاحب كشف الظنون حين يتحدث عن كتاب

(١) منه نسخة في اسطنبول مصورة ضمن مشروع في جامعة القاهرة / ٢٢٩٦٧ وفي

معهد المخطوطات (فيلم ٣٥٦ / ٢ نحو) .

(٢) بنية الرعاة : ٢٩٧ والأشباه والنظائر ٢ : ٢٢٨

(٣) G. A. L . الدليل ١ : ١٧١

(٤) من « اللامات » نسخة في اسطنبول وصورتها في معهد المخطوطات (فيلم / ٧٩٢)

ونحن الآن بصدد تحقيقه لنشره قريباً ان شاء الله .

(٥) عيون التواريخ . المخطوط . ورقة : ٣١٧

الألف واللام للمازني^(١) . ولم أقم على نسخة منه ولا وجدت أحداً وصفه أو تحدث عنه .

١٠ - المخترع في القوافي :

ذكره السيوطي وقال انه وقف عليه^(٢) وذكره صاحبنا « عيون التواريخ » و « كشف الظنون »^(٣) . وأما ابن النديم فلم يذكر للزجاجي صوابه ولكنه اقتصر من عنوانه على « القوافي » فقط فقال « وله - للزجاجي - من الكتب كتاب القوافي »^(٤) وعدهما محقق الجمل كتابين ثم استدرك فقال عند ذكره كتاب القوافي : « ولعله هو المخترع »^(٥) وهذا هو الأرجح لأنه ما من أحد جمع بين ذكر الكتابين .

١١ - كتاب الهجاء :

لم يشر أحد إلى هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاجي سوى بروكلمان . إلا أن الزجاجي نفسه أشار إليه في كتاب الجمل ، فقال في باب الأفعال المهموزة : « وقد ذكرت عامتها في كتاب الهجاء » ونقل ذلك عنه ناشر الجمل ولم يزد عليه شيئاً .

١٢ - كتاب المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيه :

جاء اسم هذا الكتاب منسوباً إلى الزجاجي في فهرسة ابن خير^(٦) . ونقله عنه محمد بن أبي شنبه محقق الجمل . ولم يذكره أحد صواباً .

سازد المبارك

www.alukah.net

(يتبع)

(١) كشف الظنون ٢ : ١٣٩٦ .

(٢) بنية الرواة : ٢٩٧ والأصباة والفظائر ٤ : ٢٢٨ .

(٣) كشف الظنون ٢ : ١٦٢٥ .

(٤) الفهرست : ١١٨ .

(٥) مقدمة الجمل .

(٦) فهرسة ابن خير : ٣١٤ .

كتاب شرح الالفات

للابي بكر محمد بن القاسم بن بشار الاباري النجوي

- ٢ -

فان سأل سائل ، عن الف الوصل ، فقال همزة هي أم ألف ، قيل له ، قال قطرب (١) ، هي همزة ، كثر الكلام بها فدركت [الورقة الـ ١١ / ب] لأن الألف ، لا تتحمل الحركة ، وهي ، في قال ، وباع ، وعماد ، وحمار ، ألف لا [يشك] فيها ، فلو كانت في ، اضرب ، الفاء ، ما تحركت ، ورد أبو العباس (٢) ، أحمد بن يحيى ، هذا القول ، عليه وقال ، لو كانت همزة ، لثبتت في الابداء ، والوصل ، كما ثبتت ، همزة اصـ ، وإصرـ ، وأذنـ ، في كل حال . وقال الفراء (٣) ، وصيبويه (٤) ، ومن أخذ بقولها ، هي ألف ، إذا كانت

(١) هو مجاهد بن المنير ، المتوفى سنة ٢٠٦ / ٨٢١ م ، له ترجمة في الفهرست (ص : ٧٨) ، والوفيات (رقم ٦٤٦) وبغية الوعاة (ص : ١٠٤) وقاريخ ابى الفداء (ج ٢ ص ٢٨)

(٢) هو ثعلب بن مشاهير نحوي الكوفي ، ولد سنة ٢٠٠ / ٨١٥ م ، وتوفي سنة ٢٩١ /

٩٠٣ م ، روى عنه ابن الاباري . له ترجمة في الفهرست (ص : ١١٠) والوفيات (رقم

٤٢) ومجمع الادباء (ج ٢ ، ص ١٣٣) وغاية النهاية (ج ١ ، ص ١٤٨

رقم ٦٩٢) وبغية الوعاة (ص : ١٧٢) وقاريخ ابى الفداء (ج ٢ / ٦٠)

(٣) هو ابو زكريا ، يحيى بن زياد ، كان ابرع الكوفيين وأعلمهم ، توفي سنة

٨٢٢ / ٢٠٧ م ، له ترجمة في الفهرست (ص : ٩٨) والوفيات (رقم ٨٠٨)

ومجمع الادباء (ج ٢٠ . ص ٩) وبغية الوعاة (ص ٤١١) وقاريخ

ابى الفداء (ج ٢ ص ٢٨) وغاية النهاية (ج ٢ ص ٣٧١ رقم ٣٨٤٢) .

(٤) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، صاحب « الكتاب » ، توفي سنة ١٧٧ / ٧٩٣ م

(مع اختلاف) وله نيف واربعون سنة ، راجع الفهرست (ص : ٧٦)

والوفيات (٥١٥) ومجمع الادباء (ج ٦ ص ٨٠) والبنية (ص ٣٦٦)

وغاية النهاية (ج ١ ص ٦٠٢ رقم ٢٤٥٩)

صورتها ، صورتها ، وإنما دخلت الألف ، في اضرب ، واصنع ، وما أشبهها ،
من أجل أن الضاد والصاد ساكتان ^(١) ، لا يمكن الابتداء بها ، فدخلت الألف ،
ليقع الابتداء بها ، والاعتماد عليها .

وقال البصريون ، كسرت الألف ، في اضرب ، لسكونها ، وسكون ^(١)
الضاد ، وكذلك كل الف للوصل ، تبتدأ مكسورة ، علة كسرهما ،
أنها ساكنة في الوصل ، لقيتها حرف ساكن ، وضمت عندهم ، في أعبد ،
وأشكر ، لأن عين الفعل مضمومة ، فلما احتجج إلى حركة الألف ، للساكن
الذي لقيتها ، ضمها بضم ما بعدها ، وتنكبوا الكسرة ، كراهية الانتقال
من كسرة إلى ضم .

والف الاستفهام ، تعرف بجي أم بعدها ، أو يحسن هل في موضعها ،
وهي مفتوحة أبداً ، كقوله تعالى ، أفترى على ^(٢) الله كذبا ، ألف أفترى ،
ألف استفهام ، لقوله ، أم به جنسة ، فإتيان أم ، بعدها ، يدل على أنها
ألف استفهام ؟

وكذلك ، استغفرت [الورقة الـ ٥ / ظ] لحم أم لم تستغفر ^(٣) لحم ،
أطلع ^(٤) النيب ، أتخذ ، أصطفى البنات على ^(٥) البنين ، (لانه بعد ^(٦))

(١) في العبارة نوع تخطيط يجب الانتباه إليه وذلك ان الاصل في همزة الوصل عند
نحوي البصرة ان تكون متحركة مكسورة ، وإنما نغم في أنخل ونحوه
لاستقلال الخروج من كسر إلى ضم ؛ وعامة الكوفيين ذهبوا إلى أنها تتبع
عين الفعل وذهب بعضهم إلى أنها تكسر لالتقاء الساكنين (راجع الانصاف في
مسائل الخلاف ص ٣٠٩ - ٣١٢ ، طبعة لندن . سنة ١٩١٣ م) .

(٢) ص ٣٤ ، ع ١ ، الآية الـ ٨ .

(٣) ص ٦٣ ، ع ١ ، الآية الـ ٦ .

(٤) ص ١٩ ، ع ٥ ، الآية الـ ٧٨ .

(٥) ص ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٣ .

(٦) ورد فوقه - « صح » - .

أم لكم) سلطان مبين^(١) ؛
 وقرأ ، نافع^(٢) ، لكاذبون^(٣) اصطنى ، باسقاط الألف ، في الوصل ،
 وبكسرها في الابتداء ، يجعلها الف وصل ، ويوجه^(٤) ، اصطنى ، إلى أنه
 حكاية من أهل الكفر ، إلا^(٥) انهم من إفكهم ، ليقولون اصطنى النبات ؛
 والاستفهام من الله عن وجل ، تقرير^(٦) ، وتوبيخ ؛
 والأصل ، في هؤلاء الأفاعيل ، أو اصطنى^(٧) ، أو اقترى ، أو اشكر^(٨) ،
 أو أظلم ، فذهبت ألف الوصل ، لا تثبت في اللفظ ، إلا [عند الابتداء بها] .
 وقوله ، ألم أحسب^(٩) الناس أن يتركوا ، الألف في أحسب ، الف
 استفهام ، تحسن هل في موضعها ، وكذلك ما أشبه هذا .

وكل ألف ، تدخل على حرف عطف ، أو حرف جحد ، في كتاب الله
 عن وجل ، فهي ألف التقرير ، والف التقرير ، الف الاستفهام ، هي كقوله^(١٠)
 تعالى ، أو آباؤنا الأوتون^(١١) ، أو لو كان^(١٢) آباؤهم ، أو لم يسبروا^(١٣)

- (١) ص ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٦ .
- (٢) توفي سنة ١٦٩ (على اختلاف الأقوال) انظر غاية النهاية (ج ٢ ص ٣٣٠ ، رقم ٣٧١٨) .
- (٣) ص ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٢ .
- (٤) انظر تفسير الطبري (ج ٢٣ ص ٦١) والنيسابوري على هامش المرجع المذكور ، ومفاتيح التيب (ج ٧ ص ١٦١ ، طبعة الشرفية سنة ١٣٠٨)
- (٥) الأول ان يحذف .
- (٦) انظر التاج (ج ١٠ ص ٤٢٢) .
- (٧) الاصل - « اصطنى » - .
- (٨) كذا . ولم يرد في ما تقدم .
- (٩) ص ٢٩ ، ع ١ ، الآية الـ ١ - ٢ .
- (١٠) الاصل - « كقولك » - .
- (١١) ص ٣٧ ، ع ١ ، الآية الـ ١٧ .
- (١٢) ص ٢ ، ع ٢٠ ، الآية الـ ١٧٠ .
- (١٣) ص ٢٠ ، ع ١ ، الآية الـ ٩ .

في الأرض ، ألم بأنكم نذير (١) ، ألت (٢) يربكم ، هذا وما أشبهه .
 وألف المخبر عن نفسه ، وتعرف بأنا وغدا ، (تضم إذا) كان ماضي فعلها ،
 على أربعة أحرف وتفتح إذا كان الماضي على < أقل أو > أكثر من
 أربعة أحرف .

فتبتدي ، قوله عز وجل ، ولكن اعبد (٣) الله ، أعبد ، بالتفتح ، لأنها
 ألف المخبر عن نفسه ، فيقال في امتحانها ، أنا غداً ، وفتحت (لأن الماضي ،
 أقل من (٤)) ، [الورقة الـ ٥ / ب] أربعة ، وهو عجد ؟

وكذلك ، استخلصه لنفسه ، ألفه ، ألف المخبر عن نفسه ، يحسن أنا وغداً ،
 في امتحان فعلها ، إذا أنت ، كقول القائل ، استخلصه أنا غداً ، وابتدأت بالتفتح ،
 لأن الماضي ، استخلص ، وعدة حروفه أكثر من أربعة أحرف ؟

وتبتدي ، قوله تعالى ، أفرغ عليه (٥) قطرا ، بضم الألف ، لأنها ألف
 المخبر عن نفسه ، في فعل ماضيه ، أربعة أحرف ، وهي أفرغ ، فألف المخبر
 عن نفسه ، لا تكون أبداً ، إلا أول المستقبل ، لأنها إحدى دلائل [الاستقبال ،
 فحال (٦) ، أن تحل] ماضياً أو دائماً ؛

والف المخبر في فعل ما لم يسم فاعله ، لا تكون إلا مضمومة ، فالت حروف
 الماضي ، أو كثرت ، كقوله ، أكرم ، أو اضرب ، واستخلص ؛

وألف ما لم يسم فاعله ، تكون في أربعة أمثلة ، في الفعل ، وافتعل ،

(١) س ٦٧ ، ع ١ ، الآية الـ ٨ .

(٢) س ٧ ، ع ١٢ ، الآية الـ ١٧٢ .

(٣) س ١٠ ، ع ١١ ، الآية الـ ١٠٤ .

(٤) ورد فوقه « صح » .

(٥) س ١٨ ، ع ١١ ، الآية الـ ٩٦ .

(٦) ما بين القوسين محروم والواضح « ان يحل » .

واستفعل ، وانفعل ، وقد تكون في فعل ، غير لازمة له ؛
 فأما ألف أفعل ، فألف (١) أخرج ، وأكرم ، وأحسن ؛
 وألف افتعل ، ألف أكنسب ، وأصطنع ، واضطر (٢) ، وأجتث (٣) ،
 من أجل أن الأصل ، في اضطر ، اضطرر ، و < في اجتث > اجتثت ،
 فأبدلوا من التاء ، طاءً ، لأنها أشبه بالضاد ، من التاء (٤) فاستثقلوا [الجمع
 بين حرفين] متحركين ، من جنس واحد وأصكنت الراء الأولى ، وأدغموها
 في التي بعدها وكذلك سكنوا التاء (٥) الأولى ، وأدغموها ، في (٦) التاء ، الثانية ؛
 وألف استفعل ، الف استضعف ، واستخرج ، وما أشبهها [الورقة الـ ٤/ظ] ؛
 وألف انفعل ، الف انقطع بالرجل ، والف فعل ، ألف أخذ ، وأكل ،
 و (أمر ، وليست لازمة (٧) هذا المثال كله ، كلزوم أولئك الألفات ،
 مثلها ، من قبل انك تقول ، ضرب ، وشتيم ، وذعر ، فلا تجد فيهن ألفاً ؛
 وأعلم أن الف استفعل ، وانفعل ، وافتمل ، الف ما لم يسم فاعله ، من الف
 الوصل ، اذا كنت تقول ، في حال تسمية الفاعل ، استفعل ، وانفعل ،
 وانفعل ، فلا تحمل عليك أنها الف وصل ، مبنية على عين الفعل .
 والف أفعل ، الف ما لم يسم فاعله ، من الف القطع ، من قبل انك اذا
 سميت الفاعل قلت ، اخرج فلان الشيء ، فوضح لك الف قطع ؛
 والف فعمل ، الف ما لم يسم فاعله ، من ألف الأصل ، لأنك [تسمي]
 الفاعل ، فتقول ، أخذ ، وأمر ، فلا يفض عليك ، أنها ألف أصل ؛

(١) في الاصل « وائف » .

(٢) في الاصل « اصطبر » .

(٣) في الاصل « اجتث » بك الإدغام .

(٤) في الاصل « التاء » .

(٥ - ٦) في الاصل « التاء » .

(٧) ورد لوقه « صح » .

وانما ابتدئت : الف ما لم يسم فاعله ، بالضم ، لدلالة الفعل ، الذي هي ^(١) أوله ، على فاعل ^(٢) ومفعول ، اذ ضرب ، لا يخلو ^(٣) من دلالة على ضارب ومضروب ، فكان ضم أوله دلالة على تضمه ^(٤) معنيين ، كما قالوا ، زيد حيث ^(٥) عمرو ، فالزموا حيث ^(٦) ، الضمة لمقامها مقام محلين ، كقولك في مكان فيه عمرو ، وقالوا ، نحن [قمنا] فضموا نحن في جميع الأحوال ، لتضمنه معنى التثنية ، ومعنى الجمع ، إذ كان الرجلان يخبران ^(٧) عن أنفسهما ، فيقولان ، نحن قمنا ، ويقول الرجال (مثال ذلك ^(٨)) .

[الورقة الـ ٤ / ب] باب ^(٩) ذكر الألفات المبتدأة في الأسماء

اعلم أن ألفات الأسماء ، أربع ، ألف أصل ، وألف قطع ، وألف وصل ، وألف استفهام ؛

فألف الأصل ، تعرف بمثل حركاتها في الفعل ^(١٠) ، ان رفعا فرمعا ، وان نصبا فنصبا ، وان خفضا فخفضا ، كقوله عز وجل ، وأخذتم على ذلكم ^(١١) إصري ، ألف إصري ، الف أصل ، لأنها فاء من الفعل ثابتة في التصغير ، ووزن إصري من الفعل ، فعل فاعل ، ويقال في تصغيره أصيرا ، باصنيفانها بالقطع ؛

(١) هاشم الاصل « احبه ثني » ، قلت هذا التصويب ظاهر الخطأ .

(٢) في الاصل « او » .

(٣) في الاصل « لا يخلوا » .

(٤) حروف محرومة .

(٥) في الاصل « جئيت » .

(٦) في الاصل « جيت » .

(٧) في الاصل « على » .

(٨) ورد لونه « صح » .

(٩) نسخة برلين « ذكر الالفات النح »

(١٠) في الاصل - « الوصل » -

(١١) س ٣ ، ع ٩ ، الآية الـ ٨١ .

وكذلك ، قل اذن ^(١) خيرٌ لكم ، ألف اذن ، ألف أصلٌ بتبديءٍ بالضم على مثال فعلٍ ، والألف فاءٌ من الفعل ، ويقال في تصغيرها ، هذه أذينة ، فثبتت الألف فيها ، وكذلك ، وكان ^(٢) أمر الله ، الف أمر الله ، الف أصلٌ ، بتبديءٍ بالفتح ، لأنها كزازي في زيدٍ ، وزن أمرٍ ، من الفعل ، فعملٌ ، فالألف فاءٌ من الفعل ، وتصغير أمرٍ ، أميرٌ ، فالألف ثابتةٌ فيه ، ومثله ، أبٌ ، لأنّ وزنه فعلٌ ، وأصله أبو ^(٣) ، وتصغيره ، أبيٌّ ، وأمٌّ ، لأنّ وزنها فعلٌ ، وتصغيرها أميةٌ ؛

وألف القطع في الأسماء ، تكون أول الاسم المفرد ، وأول الجمع ^(٤) ، فالتالي يبتدأ بها في أول الاسم المفرد ، تعرف ببيئاتها في التصغير ، وبأنها [الورقة الـ ٣ / ظ] فاءٌ من الفعل ، كقولك ، هو أحسن من غيره ، الف أحسن ، الف قطع (في الاسم المفرد ، ^(٥) لأنّ) وزنه من الفعل ، أفل ، فألفه غير فاء من الفعل ، وتقول في تصغيره ، أحسين ، فتوجد الألف فيه ، ومثله ، أكبر ، وأعقل ، وأنبيل وأجمل ، وأحمد ، وأحزم ، وأصبغ ، وما أشبههن .
وألف القطع في الأسماء المجموعة ، تعرف بحسن دخول الألف واللام عليها ؛
وانها ليست فاءٌ من الفعل ، ولا عيناً ، ولا لاماً ، كقوله تعالى ، مختلف ^(٦)

(١) س ٩ ، ع ٨ ، الآية الـ ٦١ .

(٢) س ٤ ، ع ٧ ، الآية الـ ٤٧ .

(٣) في الاصل « الف » .

(٤) جاء في اللسان ما نصه ؛ وقال ابو بكر بن الالباري ، ألف القطع ، في اوائل الاسماء ، على وجهين ، احدهما ان تكون في اوائل الاسماء المنفردة ، والوجه الآخر ، ان تكون في اوائل الجمع ، فالتالي في اوائل الاسماء ، تعرفها ببيئاتها في التصغير ، بان تمنع الالف فلا تجدها فاءً ، ولا عيناً ولا لاماً ، وكذلك فعيروا باحسن منها الفخ (اللسان ؛ ج ٢٠ ص ٣١٣) .

(٥) ورد فوقه - « صح » - .

(٦) س ١٦ ، ع ٩ ، الآية الـ ٦٦ ، س ٣٥ ، ع ٤ ، الآية الـ ٢٨ .

ألوانه ، ألف ألوان ألف قطع في الجمع من الأسماء ، لأن وزن ألوان ، أفعال ، فالألف غير فاء ، ولا عين ، ولا لام ، وتدخّل عليها الألف واللام ، فنقول الأوزان (١) ، وكذلك ، السنة والألسنة (٢) ، وأبيات ، والأبيات ، وأثواب ، والأثواب .

وألف القطع في هذين النوعين ، مفتوحة ، ومتى وردت عليهم مكسورة أو مضمومة كانت بمنزلة المفتوحة ، فإذا كانت أول الاسم الأعجمي ، ألف فهي ألف قطع ، وتعرف الاسم الأعجمي [بامتناعه] من الاجراء (٣) ، وبأنه معدوم من عتيق كلام العرب ، إلا ان نخلوه عن المعجم ، كقولك ابراهيم ، واسماعيل ، واسحق ، وإدريس ، وهي مكسورة في الوصل والقطع ، كسر بناء ، لازم غير محكوم عليها ، بأنها ألف أصل ، إذ كان الأعجمي مجهول الاشتقاق ، والف استبرق (٤) أيضاً ، ألف قطع في الاسم الأعجمي ، وان كان مجرى (لأن العرب أخذته) (٥) [الورقة الـ ٣/ب] عن المعجم ، وأجرته لتكبيره ، ومنعت ابراهيم ودرنه الاجراء (٦) ، للتعريف والمعجمة ؛ فان أنت الألف في أول الأعجمي مفتوحة أو مضمومة فهي أيضاً بمنزلة المكسورة ، ألف القطع ؛

(١) كذا ولو كان «اللون» لكان اولق بالساق .

(٢) في اللسان - «السنة» - مصنفًا (ج ٢٠ ص ٣١٣) .

(٣) في الاصل : الاجزاء .

(٤) زعم بعضهم انه استعمل من البرق (انظر الملائكة : ص ٢٢ مع الحاشية)

ونبه المرعي الى الزجاج والذي حكى عنه صاحب اللسان ينفيه (انظر

اللسان ج ١١ ص ٢٨٥ .

(٥) ورد لونه - «صح» -

(٦) في الاصل : الاجزاء .

وألغات الوصل ، في الأسماء ، تسعة ^(١) ، الف ابن ، وابنة ، واثنين ،
واثنتين ^(٢) ، وامرئ ، وامرأة ، واسم ، وامت ، والرجل .
فثانية منها ، تعرف بسقوطها في التصغير ^(٣) ، وتكسر في الابتداء ،
فتقول في تصغير <ها> <بني> ، <وَبْنِيَّة> ، <وُثْنِيَّان> ، <وُثْنِيَّان> ، <وَمْرِيَّي> ،
<وَمْرِيَّة> ، <وَسْمِيَّي> ، <وَسْمِيَّة> .

والثامنة تعرف بدخولها مع اللام للتعريف ، وسقوطها عند ^(٤) التنكير ،
كقولك رجلٌ ، والرجل ، وطفلٌ ، والطفل ، وحمدٌ ، والحمد ^(٥) ؛

وأما ألف ابن ، فكسرت لأن أصله امرٌ من بنيت ، وألف اثنين
كسرت لأن أصله أمر من ثنيت ، انثي ^(٦) على مثال ، افض من قضيت ،
إرم من رميت ، وألف اسم كسرت ، لأن أصله أمرٌ من سميت ، وألف
امرئ لم يصلح بناؤها على الثالث إذ كان يضم في الرفع ، ويفتح في النصب ،
ويكسر في الخفض ، فيقال : قام امرؤ ، ورأيت امرأة ، وصرت بامرئ ،
فلما لم يصلح ذلك ، أُلحقت بأخواتها من ألف ابن ، وابنة ، واثنين ، واثنتين ،
وألف امت أيضاً ملحقة بأخواتها .

وألف الرجل تبتدأ بالفتح ، لأنها دخلت مع اللام للتعريف ، فشبهت أُل ،

(١) هذه العبارة حُذِّبها صاحب اللسان والتاج ، فيما حكياه عن ابن الأبياري

(راجع : اللسان ج ٢٠ ص ٣١٣ ، والتاج ، ج ١٠ ص ٤٢٣)

(٢) اللسان والتاج : ابنين وابنتين ، مصعماً .

(٣) اللسان والتاج : « ويجذف في الوصل » .

(٤) في المرجمين : وهي مفتوحة في الابتداء ، صائفة في الوصل .

(٥) من هذا الباب أم الله في اللحم قال ابن خالويه : وليس في كلام العرب ،
الف وصل مفتوحة الا في هذين ، يعني حرف اللام للتعريف وأم الله (راجع

كتاب ليس : ص ١٢ ، ٦٩ طبعة مهر سنة ١٣٢٧)

(٦) في الاصل - التي -

جَهْلٌ ، وِبَلٌ ، وَمَنْ ، وَكَمْ ، فَان قَالَ قَائِلٌ ، فِهَلَا ^(١) 'كَسْرَتْ وَوُصِّبَتْ
 بَيْنَ [الورقة الـ ٢ / ظ] وَإِن ^(٢) ، فَقَل كَرِهُوا أَنْ يَكْسُرُوهَا ، فَتَلْبَسَ بِالْف
 إِبْنِ ، وَإِثْنَيْنِ ، وَهِيَ مَحَالِفَةٌ (لَهَا مِنْ جِهَةِ ^(٣) احْتِجَانِهَا) فَأَثَرْنَا فِيهَا ^(٤) لِدَلَالَةِ
 ، وَأَلْفِ الاسْتِفْهَامِ ، تُتَمَنَّنُ فِي الْأَسْمَاءِ ، بِثَلِ الَّذِي تَعْرِفُ بِهِ فِي الْأَفْعَالِ ،
 فَان سَأَلَ سَائِلٌ ، عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قُلِ الْذَكَرَيْنِ حَرَمٌ أَمْ الْإِثْنَيْنِ ^(٥) ،
 قِيلَ لَهُ ، الْأَلْفُ فِي الْذَكَرَيْنِ ، أَلْفُ اسْتِفْهَامٍ [بِدَلِيلٍ] أَمْ بَعْدَهَا ، وَأَمَّا
 زِيدَتْ الْمُدَّةُ لِيَفْرُقَ بَيْنَهُمَا ، بَيْنَ الْاسْتِفْهَامِ وَالْخَبَرِ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا ، الْذَكَرَيْنِ
 حَرَمٌ ، بِغَيْرِ مَدٍّ ، لَمْ يَقَعْ بَيْنَ الْاسْتِفْهَامِ وَالْخَبَرِ فَرْقٌ ، وَكَذَلِكَ ، الْآلِفُ
 وَقَدْ عَصَبَتْ ^(٦) ، وَهُوَ اللَّهُ ^(٧) خَيْرٌ < أَمَا يَشْرَكُونَ > .

فان قال قائل ، فلم لم يزدوا ، مدة في قوله ، أفترى ، والله ، الف
 استفهام كالف الذكرين ، قيل له ، ألف الخبر أفترى ، مكسورة ، وألف
 الاستفهام مفتوحة ، فانفتح الألف فرقى بينهما في الاستفهام والخبر ، فأغنى
 عن المدّة ، وألف الذكرين ، مفتوحة في الاستفهام والخبر ، فمن أجل ذلك ،
 فرقوا بينهما في المدّة ؟

(١) في الاصل - لعل -

(٢) ترقيع

(٣) ورد فوقه - صح -

(٤) لفظ ابن خالويه : لاعت لانها خالفت بدخولها موضعها ، فعالفوا

بجركتها حركتها ، لان الف الوصل ، اذا تدخل على الافعال وعلى الاسماء ،

وهي فيها مكسورة أو مضمومة (كتاب ليس : ص ٦٩ ، ١٢)

(٥) ص ٦ ، ج ١٧ ، الآية الـ ١٤٤

(٦) ص ١٠ ، ج ٩ ، الآية الـ ٩١

(٧) ص ٢٧ ، ج ٥ ، الآية الـ ٥٩

واعلم أن ألف الدعاء^(١) ، كألف الاستفهام في اللفظ ، تعرف بان يحسن في موضعها ، يا ، كقولك ، أزيد أقبيل ، معناه ، يازيد أقبيل ، من ذلك ، قرأ نافع ، وغيره^(٢) ، أمن هو قات^(٣) بالتخفيف في الميم ، كأنه^(٤) يامن هو قات ؟

باب^(٥) الألفات المستأنفات في الأدوات وما تجري في مجراها

من المكاني وأسماء الاشارات

اعلم أن الألفات ، المبتدأة ، في الأدوات المحضة ، أصلية ، حظها الكسر ، كقولك (إن ، وإذا ، وإمّا ، وإلا ، وإذ) [الورقة الـ ٢٥ / ب] وإذن^(٦) وإلى . وقد تأتي ، مفتوحة كقولك ، أمّا ، وأمّا^(٧) ، وأنا ، وتعرف الأدوات ، بانتتاح الكلام بها ، وبأنها لا يصحبها خبرٌ لها يرفعها ، ولا يقع بها خبرٌ تخبر عنه ، فينصّبها ولا يدخل عليها حرف خفضٍ فيكسرهما .

وألف الاسم المحوّل ، من الأداة أصلية ، لا تكون إلا مفتوحة ، كقولك أن ، وأنا ، وأن ، وبذلك على أنهن أسماء ، دخول عوامل الرفع والخفض عليهن ، كقولك بهجتي أنك قائم ، وإن تقوم ، موضعها رفع بالاعجاب ،

(١) يعني ألف النداء .

(٢) منهم ابن كثير وحزمة (مفاتيح القيب ج ٧ ص ٢٢٨) وانظر تفسير الطبري (ج ٢٣ ، ص ١١٨ / ٧)

(٣) ص ٣٩ ، ع ١ ، الآية الـ ٥ .

(٤) هذا قول الدرّاه . وفي التخفيف أيضاً إن تكون الالف ، الف استفهام ، داخله على آمن (انظر مفاتيح القيب ج ٧ ص ٢٢٨)

(٥) هذا الباب أغفله امهوردوت في فهرسته

(٦) في الاصل : إذا

(٧) في الاصل : إما

واعلم أنك قائم ، وإن تقوم ، موضعها نصب بالعلم ، وتقول فكرت في أنك قائم ،
وفي أن تقوم فيخفها بني بكشف لك أنهم محولات عن الأدوات سقوط الإعراب
عنهم ، إذ العوامل لا تؤثر فيهن أثراً من ضم ولا كسر ولا فتح ؛

وَألف المكاني الأصلية المرفوعة ، تستأنف بالفتح ، كقولك أنا ، وأنت ،
وأنتا ، وأنتم ، وأنتن ، وقد تأتي في مواضع اخفض عند الضرورة ، كقولك
إياك أنت موضع أنت خفض بالكاف ، وكذلك أنت كأنا ^(١) ، الكاف خافضة
أنا ، وتأتي أيضاً في موضع النصب ، كقولك ضربتك أنت ، موضع أنت
نصب على التوكيد للكاف المنصوبة إلا أن الأكثر فيهن والأغلب عليهن ،
الوقوع في موضع إياك نصب ، ومثله إياك ، وإياك ، وإياكن ، وربما وقعت
في موضع اخفض كقولهم أنا كإياك ، وأنت كإياي ، قال الشاعر ^(٢) :

[الورقة الـ ٢٢ / ظ]

فأحسن ^(٣) وأجل في أسيرك انه ضيف ولم بأمر كإياك أسير ^(٤)
والأغلب عليهن التعرف ^(٥) بالنصب ؛

وَألف أسماء الإشارات ، أصلية تستأنف بالضم ، كقولهم أولياء ^(٦) ،
وأولئكم ، وأولئكن ، وألف وأولي مال ، أصلية تبدأ بالضم للبناء ، وكذلك

(١) الاصل : كانت

(٢) هذا الشاعر لم يصطلحوا عليه والبيت استشهد به المراد وهشام عن الكماني ،
وتلعب في أماليه وابن عصفور في كتاب الضرائر (راجع خزانة الادب :

ج ٤ ص ٢٧٤)

(٣) في رواية : فاجل وأحسن

(٤) في الاصل : أسير

(٥) ترقيع

(٦) يمدّ ويضم ، وهو تصغير أولي

ألف أولات ، وواحد أولي ، ذو^(١) ، وواحد أولات ، ذات^(٢) ، وهذان الحرفان ليسا من أسماء الإشارة ، إذ كان أولو مال بمعنى أصحاب مال وأولات بمعنى صاحبات يقاس^(٣) على هذا ما يرد من هذا الباب إن شاء الله تعالى ،^(٤) ثم كتاب شرح الألفات للأنباري التتوي ، رضي الله عنه ، بحمد الله وعونه

(عبارة من كتاب الوقف والابتداء)

هذا نص ماورد ، في حاشية الورقتين ال ١١ / ظ - ال ١٠ / ب ، من نسخة الأصل :

« من كتاب الوقف والابتداء ، لابن الأنباري ، أيضاً : كان الأصل في قولهم ، ايت يارجل ، ائت^(٥) يارجل ، ائتوا^(٦) يارجال ، فجعلوا المحزة الساكنة ياءً ، لسكونها وانكسار ما قبلها ، وذلك ان العرب ، تجعل المحزة ياءً ، اذا انكسر ما قبلها وكانت ساكنة ، ويجعلونها ألفاً اذا سكنت وانفتح ما قبلها ، ويجعلونها واداً اذا سكنت وانضم ما قبلها ، وأما المحزة التي سكنت وانكسر ما قبلها ، فتحو الذيب ، كان الأصل فيه الذئب ، فأبدلوا من المحزة ياءً^(٧) ، لسكونها وانكسار ما قبلها ، وأما حكنا على الذيب بالهمز ،

(١) في الاصل : ذووا ، وفي نسخة برلين : ذى

(٢) في الاصل : ذات

(٣) في نسخة برلين : يقاس على ما شرحنا ، ما يرد مما يشاكلة ان شاء الله تعالى

(٤) (راجع فهرس اهلوردت ، ج ٦ ص ٢٠٠)

(٥) ورد هنا ما نصه : بلفت المتألمة

(٥) في الاصل : ايت

(٦) في الاصل : ايتوا

(٧) خرق وتلفيف

لأنه مأخوذ من تذاب الرج و < هو > مجيئها من كل وجه ، قال ذو الرمة (١) :
 فبات يشتره (٢) نأد (٣) وسهده (٤) تذاوب (٥) الريح والوصواس والهضب (٦)
 فمضى يشتره (٧) ، يشخصه (٨) ويقلقه (٩) ، والنأد (١٠) ، الندى ، وتذاوب
 الريح مجيئها من كل وجه ، والهضب ، الدفعات من المطر ، وقال ذو الرمة (١١) أيضاً :
 غدا كأن له جناً تذاوبه (١٢) من كل أقطاره 'مخشي و'يرتقب'
 فمعناه كأن به جناً يأخذه من كل وجه ؟

وأما المحزة التي جمعت ألفاً ، لانفتاح ما قبلها ، فكقوله ، آمن الرسول ،
 كان الأصل فيه آمن الرسول ، فجعلوا المحزة الساكنة ألفاً ، لانفتاح ما قبلها ،
 وذلك أنها إذا سكنت ضعفت ، فنقلت الحركة عليها ، وكذلك ، يا بني آدم ،
 كان الأصل فيه آدم ، فجعلوا المحزة الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها .

- (١) ديوانه : ص ٢٢ ، ب ٨٤ ، واللسان : ج ٧ ص ٢٢٨ ، ج ٨ ، ص
 ١٤١ ، والتاج : ج ٢ ، ص ٣٠٩ ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ ، ج ٤ ص ٤٣
 (٢) في الاصل : ينره
 (٣) في الاصل : نأد ، ويخط الزبيدي في التاج : قه (ج ١ ص ٢٤٨)
 وكلاهما مصحف
 (٤) الرواية السائرة : يسره
 (٥) في رواية : تذوّب
 (٦) جمع هاضب مثل تبع وتبع عن الزعمر ، ويروي « الهضب » كمنب (التاج
 ج ١ ص ٥١٥)
 (٧) في الاصل : يشتره
 (٨) في الاصل : سهده ، بلا نقط
 (٩) في الاصل : يقلقه
 (١٠) في الاصل : الناد
 (١١) ديوانه : ص ٢٢ ب ٨٧
 (١٢) في الاصل : يدابه

وأما الهزرة التي سكنت ، وانضم ما قبلها فكذلك ، يؤمن كان الأصل فيه يؤمن فجعلت الهزرة الساكنة واداً ، لانضمام ما قبلها ، فان قال قائل ، اذا قلنا في الدرج ، لقائنا ائت ، فما هذه الهزرة ، قيل له ، هذه الهزرة ، هي الساكنة التي في ائت ، وهي فاء الفعل [الورقة الـ ١٠ / ب]
 > وألف^(١) الوصل < صافطة ، وقد أجاز الكسائي ، أن تثبت الهزرة في الابتداء ، فأجاز للمتدي أن يقرأ ، ائت بقرآن ، بهمزتين مخففتين ، قال ابن الأنباري : حدثنا بذلك إدريس^(٢) عن خلف^(٣) عن الكسائي ، قال أبو بكر ، وهذا فيصح ، لأن العرب لا تجمع بين همزتين ، الثانية منهما ساكنة ، ومع هذا ان أبا العباس حدثنا عن سلمة بن^(٤) عاصم عن الفراء ، أنه قال : العرب لا تنطق بهزرة ساكنة إلا بنو تميم ، فانهم يهزرون فيقولون ، الذئب ، والكأس ، والرأس ، من كتاب الوقف والابتداء لابن الأنباري .

أبو محفوظ الكريم معصومي



- (١) ما بين المكفين خرقه
 (٢) هو إدريس بن عبد الكريم الحداد ، المتوفى سنة ٢٦٢/٣ (٩٠٤/٥ م)
 راجع غايه النهاية (ج ١ ص ١٥٤ ، رقم ٧١٧)
 (٣) هو خلف بن هشام البزار الملقب بالذکر ، وهو من الملقين عن الكسائي (راجع غايه النهاية ج ١ ص ٥٣٦)
 (٤) في الاصل : سلمة عن عاصم - والصواب ما قدرته وهو صاحب الفراء ، المتوفى بعد الـ ٨٨٣/٢٧٠ م (راجع الفهرست : ص ١٠١ ، وهاييه النهاية ج ١ ص ٣١١)

نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

الدكتور ا. ل. كيرفيل

نقله الى العربية الأستاذة سرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكي
(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- ٣ -

رقم المصطلح	رقم المصطلح
561 Amasie	٥٦١ غيبة الشدي
	وأرجح اللانديسية (جمع اللغة) .
562 Amaurore, cécité	٥٦٢ كُمنة، عمى مُطبّق (بدون
(complète sans alté- -ration des milieux de l'œil)	تلف طبقات العين)

الكُمنة ثلثة تأخذ في البصر (اللسان) وقد أفرها جمع اللغة . والغالب
أن تطلق على ذهاب البصر من العين الواحدة . أما العمى المطبق وغير المطبق
فلا يطلق في اللغة العربية إلا على ذهاب البصر من العينين وإلا فهو عمور ،
ففي اللسان : العمى ذهاب البصر كله ، وفي الأزهرى من العينين كليهما الى
أن قال رجل أعمى وامرأة عمياء ولا يقع هذا اللفظ على العين الواحدة لأن
العمى يقع عليهما جميعاً فيقال عميت عيناه .

- ٤٦٢ -

- ٥٦٤ غَطَشَ Amblyopie 564
وأفر جمع اللفظة ككَمْشَ . ودرج كاتب هذه السطور على استعمال كلمة
غَمَشَ ، ففي اللسان : الأُكْمَشَ الذي لا يكاد يبصر ، والغَمَشَ ظلام البصر
من جوع أو عَطَشَ ، والغَمَشَ سوء البصر ، والغَمَشَ عارض ثم يذهب ؛
أما الغَطَشَ في العين تشبه العَمَشَ ، الغَطَشَ الضعف في البصر كما ينظر ببعض
بصره ، ويقال هو الذي لا يفتح عينيه في الشمس . واللفظة الأفرنجية تطلق على
الضعف العارض على البصر ولا سيما ما كان منه غير معات عن علة عضوية أو
عن زيغ في طبقات العين . لذا أفضل الغَمَشَ والكَمَشَ على الغَطَشَ .
- ٥٦٧ غيبة الأطراف الأربعة Amélie 567
والأفضل أن يقال اللاطرفية قياماً على ما تقدم في اللفظين المرقومين
بـ ٧ و ٥٦١ .
- ٥٧٤ تبه البصر Amétropie 574
وهو فقد انطباق بؤرة المرئي على الشبكية ، أرجح أن يقال فقد القياس
البصري أو اللاقياس البصري ؛ أما تبه البصر فقد جاء في اللسان تاه بصراً
الرجل وتاف إذا نظر إلى الشيء في دوام ، وتاف عني بصرك وتاه إذا تخلى
كما أن التبه يعني الصلِّف والكبِير (١) .
- ٥٧٨ متحول ، متحول Amibe 598
والأفضل تعريب الكلمة الفرنجية كما فعل جمع اللفظة فيقال آميبا أو أميبة
وج آميبات .
- ٥٩١ غولينات Aminoalcools 591
الأفضل أن يقال الأغوال الأمينية .

(١) وكذلك يمكن استعمال زيغ القياس . ففي اللسان الزيع الميل ، زاغت الأبصار
مالت عن مكانها كما يمرض للامان من الحروف .

592 Ammines 'نشادرينات' ٥٩٢

وقد عرفت اللفظة بأنه مركب يحوي ذرات الأومونيساك (النشادر) المرتبطة مع أحد المعادن . بينما قد يفهم من نشادرينات المواد أو المادة المستخرجة من النشادر على غرار الكافئين وما إليها . والأفضل أن تبذل بما يعني بهذا المعنى كالنشادر المعدني أو سواء .

600 Amnésie antéro- نسيان سابق أو نسيان التثبيت
-grade ou de fixation ٦٠٠

والأصح أن يقال نسيان لاحق ، لأنه يتعلق بالأمر المسجدة بعد الإصابة بالعملة . وقد انتهت اللجنة إلى ذلك في ترجمة (Antérograde) رقم ٨٣٢ بقولها نسيان ما بعد الحادث .

600 Amnésie rétrograde نسيان لاحق ٦٠٠

والصحيح نسيان سابق لأن الأمور المنسية هنا تتعلق بما سبق أن كان متذكراً قبل الإصابة بالعملة .

601 Amnios سايباء ٦٠١

ويطلق على الغشاء الباطن الذي يحوي سائلاً يحفظ الجنين ، وأقر مجمع اللغة السلي فقد جاء في اللسان السلي لفافة الولد من الدواب والابل وهو من الناس المشيمة مما يدل على تخصيص السلي بالحيوان . والسايباء الماء الكثير الذي يخرج على رأس الولد لأن الشيء قد يسمى بما يكون فيه على الجاز ، ولذلك يصح أن تدعى المشيمة (وهي الدارجة) كما أن السايباء صحبة وتعريب الكلمة بقولنا أمنيوس (عن الفرنسية) أو أمنيون (عن الانكليزية) ممكن وربما كان أقل عجمة وأخف على اللسان .

602 Amniotique (liquide) 'منظ' ٦٠٢

والمشهور عنه السخند . ففي اللسان : دم وماء في السايباء وهو السلي الذي

يكون فيه الولد . وفي اللسان أيضاً ويقال للسُّخْد وهو الماء الذي في المشيمة :

النُّخْط . وأرجح السُّخْد لأنها دارجة متعارفة وألطف من الثانية .

٦٢٧ نسيان اللّحن (أو الموسيقى) Amusie 627

الأفضل أن يقال اللاموسيقية لأن هذه الحالة المرضية تبدو تارة بنسيان اللّحن أو النغم وأخرى بفقد قراءة النوطة الموسيقية على غرار الخرس والاقراءة واللاكتابة (١) .

٦٤١ مُقَوِّمٌ ، منشط Analeptique 641

وقد عرف اللفظ الفرنجى بأنه الدواء الذي يُصلح التنفس وخوار الشعور بالضعف ، وفقد الوعي أو السبات . وأرجح أن يقال عنه الناعش ففي اللسان نَعَشَ الإنسان يَنْعِشُهُ نَعِشاً تداركه من هَلَكَةٍ . وفي الأساس نَعِشْتَهُ فانعش إذا تداركته من ورطة وانعش نعشك الله ونعشني نعشة كريم والريع ينعش الناس .

وأرى أن تخصص المقويات بـ (Toniques) والمنشطات بـ (Stimulants) وناعشات بـ (Analeptiques) .

٦٤٣ فقد الألم ، لا ألم Analgésie 643

وكذلك بطلان الألم .

٦٥٩ نأى Anaphylaxie 659

وأقر مجمع اللغة التحساس واللاوقاية . ودرج كاتب هذه السطور على استعمال كلمة الاستهداف اقتباساً من معجم شرف ، ومدلول الكلمة العلمي هو فقد الوقاية (اللاوقاية) وأن يصبح من به هذه الحال عرضة للإصابة بأحد المسببات المرضية ، وبالتالي مستهدفاً للإصابة .

(١) راجع الشرح الوارد في المقال السابق في رقم ٤٨٩ والصفحة ٣١٤

أما التآق فقد جاء في اللسان : التآق شدة الامتلاء تَتَّقُ السقاء يتآق تآقاً فهو تَتَّقُ امتلاً وتآق إنآقاً ، إلى أن قال ورجل تَتَّقُ ملآن غيظاً أو حزناً أو سروراً وقيل هو الضيق الخلق ، وقيل تتق إذا امتلاً حزناً وكاد يبكي وانخ . وعلى ذلك فإن لكلمة تآق معناها اللغوي الصريح والأفضل أن لا نقحمها في المعنى الطبي البعيد عنها كل البعد ، مما يرجح أن يقال في ترجمة (Anaphylaxie) الاستهداف واللاوقاية دون غيرهما .

661 Anaplasie ترقيع ٦٦١

وأقر مجمع اللغة ارتكاس - ارتداد ، وعرف هذه اللفظة بمعجم (M. Garnier^(١)) الفرنسي بما يلي : (لفظ استعمله بقراط للدلالة على رد كسر أو خلع) يرادفه (Cataplasie) ، الحدّث الذي بمقتضاه تفقد بعض الخلايا مميزاتا خاصة دون أن ترد إلى حالة الخلايا البدئية . وعرفها معجم (Blakiston's)^(٢) بتراجع الشكل في الخلية أو في الخلايا إلى الحالة الجنينية مع ازدياد خاصتها على التكرار ، ويغلب أن تطلق هذه اللفظة على تراجع الشكل وحده دون النظر إلى خاصة التكرار . كما ان معجم كليرفيل نفسه ذكر في ترجمة اللفظة إلى الانكيزية بـ (anaplasia و reversionary atrophy) أي الضمور التراجعي ، وإلى الألمانية بـ (Rückschlag) ومعناه التراجع . وعلى ذلك أرى أن تترجم لفظه (Anaplasie) بالحوول أو التحول الراجع أو التراجعي أو الارتداد ، ولا أرى لاستعمال ترقيع مسوغاً .

678 Anelectrode قُطب ايجابي (بطارية غلوانية) ٦٧٨

والصحيح منفذ ايجابي ، لأن القطب الايجابي ترجمة لـ (Anode) كما فعلت

(١) M. Garnier & V. Delamare, Dictionnaire des termes techniques de médecine

Blakiston's new Gould medical Dictionary

(٢)

اللجنة في ترجمة هذه اللفظة برقم ٨٠٩ ، والقطب الايجابي غير المنفذ الايجابي ،
وبنفي التمييز بينهما .

٦٨١ فاقة دم بالانقراض بعد النزف - Anémie de déperdi-
-tion après hémorragie

وهي فاقة الدم المتأتية عن نزف الدم ، وأرجح أن يقال في الترجمة فاقة دم
نزفية أو بالنزف ؛ ففي اللسان نزفه الدم اذا خرج منه كثيراً حتى يضمف ،
والنزف الضعف الحادث عن ذلك ، وانقرض القوم درجوا ولم يبق منهم أحد .

٦٩٠ تصام ، عدم التجاوب Anergie

وأرجح أن تعرب هذه اللفظة بـ أنيرجيا على غرار لفظة أليرجيا^(١) .
في اللسان أصمه الداء ، وتصام عنه أراه أنه أصم وليس به تصام عن الحديث
وتصامه أرى صاحبه الصم .

٦٩١ فقدان الحس ، خدر Anesthésie, narcose

وتطلق لفظة (Anesthésie) على فقد حاسة الحس فقداً تاماً أو جزئياً ،
منه ما يتأتى عن حالة مرضيه ويدعى بطلان الحس (شأن ما يكون في بعض
طل الجملة العصبية المركزية والمحيطية) ومنه ما يكون محدثاً بأحد الأدوية سواء
أثر هذا موضعياً أو عاماً ، وهذا ما يدعى بالتخدير (التخدير الموضعي والتخدير العام) .
ولعلّ القصد من إثبات كلمة (Anesthésie) وبجانبها (Narcose) يقصد منه
التخدير . أما الخدر فالأفضل أن تخصص لكلمة (engourdissement)^(٢) .

٧١٤ أمدم Anévrisme

وأقر مجمع اللغة كلمة انورسما تعريباً . وهي الكلمة ذاتها المستعملة في كتب

(١) الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من هذه المجلة في الرقم ٥٢٨

(٢) جاء في اللسان والخدر امذلال يفتى الأعضاء : الرجل واليد والجسد ، وقد خدرت

الرجل فخرّ والخدر من الشراب والدواء فنور يهتري الثارب وضف .

الطب القديمة^(١) . ودرجنا على استعمال كلمة أم الدم التي استعملها الأقدمون أيضاً
ولا أرى حاجة الى هذا البحث .

٧٢٢ ذات العروق الشعرية، التهاب العروق الدقاق Angéite 722
والصحيح ذات العروق أو ذات الأوعية أو التهاب العرق أو التهاب الوعاء
دون تخصيص بالعروق الشعرية أو الدقاق .

فقد جاء في معجمي غارنيه (M. Garnier) وبلاكستون (Blakiston's)^(٢)
في شرح لفظه (Angéite) ان قال الأول اسم عام يشمل جميع التهابات
العروق (التهابات الشريان والتهاب الوريد والتهاب العروق اللنفافية وغيره)
وذكر الثاني في مادة (Angitis) أنه التهاب عرق الدم أو اللنفا .

٧٢٤ توسع الأوعية الشعرية Angéectasie 724
والأصح توسع العرق أو الوعاء

٧٢٥ خناق Angine 725
وأقر جمع اللمة كلمتي ذبحة وذباح .

٧٣١ خناق الصدر، انقباض القلب Angine de poitrine, 731
Angor, Sténocardie

اللفظة ذات الرقم ٧٢٥ تطلق على التهاب البلعوم وكلمة الخناق تفيد هذا المعنى
وكذلك الذبحة والذباح أيضاً، والكلمات الثلاث قد وردت في كتب الأقدمين
ولا ما يميز بينها فيها . وحبذا لو خصصت كلمة خناق وجمعه خناقات بالتهاب البلعوم

(١) كاهل الصناعة الصفحة ٣١٢ من الجزء الأول وقد جاءت في جملة مواضع
مصنعة ب (أبورصا) وعرفت بأنها ورم يحدث من دم وريح وحدوده يكون
من الخراق الشريان مفتوحاً لا يلتئم ولا ينبت عليه اللحم وعلامه هذا الورم
أن يكون موضعه يبيض واذا غمز عليه باليد ذهب أكثر الورم ويسمع له في
بعض الأوقات الصرير ويكون لون الورم على مثال لون الباذنجان أو البنديج .
(٢) وهما المذكور اسمها في الصفحة (٤٦٦)

العادي ، والخانوق بالتهاب البلعوم الدفتريائي (Angine diphthérique) .
 وجمعه خوانيق (كذا وردت في كتب الطب القديمة ، وهي كلمة دارجة على
 السنة الناس أيضاً)^(١) ، وخناق الصدر على الألم الشديد البادي في
 مقدّم الصدر ، وأن تخصص الذبحة والذباح بالتهاب الحنجرة الدفتريائي
 (Laryngite diphtérique ou croup) . أما ترجمة اللجئة لـ (Sténocardie)
 بانتباض القلب فلا أراه في موضعه لأن انتباض القلب ينبغي له أن يدل على
 (Systole cardiaque) كما جاء في ترجمة لفظه (Systole) في الرقم ١٣١٠٠
 والمصحيح أن تترجم بضيق القلب وهو ما ينطبق على اشتقاق الكلمة ذاتها .

٧٣٤ خناق غشائي موهم غمائي - Angine pseudo - mem -
 - raneuse

والمشهور عنه خناق غشائي كاذب ، لأن وصفه بالموهم قد يعدي الكذب
 ويستدعي الوهم والايهام (بينما الإصابة به سليمة في الغالب) وكثيراً ما استعمل
 العرب الكذب بالمعنى المجازي كقولهم الفجر الصادق والفجر الكاذب وفي
 الكتاب العزيز « وجاءوا على قبيصه بدم كذب » (سورة يوصف) .

٧٣٥ خناق أحمر ، حمائي ، نزلي Angine rouge
 érythémateuse, catarrhale

لقد ضبطت صفة حمائي بالفتح والصواب بالضم حمائي وهو غلط . طبعي .

٧٣٩ ميث الأوعية Angiologie, angéiologie

٧٤٠ ورم وعائي Angiome

أرجع أن يستعمل العرق مكان الوعاء لأنه أخص .

(١) لقد جاء ذكر سنة الخوانيق (ولولا أن عندي بقية من موسم سنة الخوانيق
 أتروق بها وإلا كنت من المهلكين) في دعوة الأطباء لابن بطالان سنة ٤٥٥ هـ
 (الصفحة ١٥ من كتاب دعوة الأطباء على مذهب كلية ودمنة تحايق الدكتور
 بشارة ززل وطبع المطبعة الحديبية بالاسكندرية سنة ١٩٠١)

- 754 Angoisse, anxiété ضيق ، مَلَل ، ضيق ٧٥٤
وكذلك القلق .
- 759 Anhidrose, anidrose صَدَد ، انحباس العرق ٧٥٩
والصحيح أن يقال احبباس العرق لأن مطاوع حبس احتبس لا انحبس .
- 769 Anhydride carbonique, gaz carbonique بلاءاء الفحم ، غاز الفحم ٧٦٩
سبق أن رجعت كربون على الفحم في هذه الترجمة وأضربها .
- 782 Anion شارسيبية (آيون) ٧٨٢
والأفضل أن يقال شاردة صلبية أو آيون .
- 784 Ankylose, raideur articulaire 'جسأة ، يبوسة المفصل ٧٨٤
وأقر بجمع اللفظة القسَط وهي الكلمة الدارجة على ألسنة الأطباء ولا أرى حاجة الى تبديلها بأخرى قاموسية .
- 885 Ankylostome duodéнал مَلَقْوَةٌ عَقَجِيَّة ٧٨٥
- 789 Ankylostomiase داء الملقوات ، فاقة الدم المايدنية الخ ٧٨٦
وأقر بجمع اللفظة تعريب الكلمة بأنكيلوسنوما ولا أراها إلا أقل عجمة والطف من الملقوات .
- 819 Anox (h) émie, anoxyémie, anoxie عدم تأكسد الدم ٨١٩
- والأفضل نقص أو كسيجين الدم ونقص الأوكسيجين ، فقد عرفت أنوكسيبيا^(١)
فقد الأوكسيجين من الدم بقصور التهوية الناجم عن الارتفاع الزائد ،
أو نقص الضغط في الأوكسيجين في التخدير أو في قصور القلب أو في الخنق ،

وعرفت الآنوكسيا بأنها فقد الأوكسجين وهي حالة لا يمكن للحياة أن تدوم معها ، أو قصور النسيج عن ضبط الأوكسجين أو استعمال ما يكفي منه .
ويقول صاحب المعجم المذكور أن الأفضل أن تحل الآن كلمة نقص الأوكسجين (Hypoxie) محل (Anoxie) .

أقول : ولا صلة بين نقص الأوكسجين أو فقده ، بحدوث التأكد أو عدم حدوثه .

832 Antérograde نسيان ما بعد الحادث ٨٣٢

وهو النسيان اللاحق (انظر الرقم ٦٠٠) .

833 Antéversion خنث ٨٣٣

884 Antéversion de l'utérus خنث الرحم ٨٣٤

اللفظة الأولى تعني الميل أو الانثناء الى الأمام والثانية الانقلاب الأمامي
تشمعل الأولى في بعض العلل العصبية التي تمتاز بانعطاف جذع البدن الى
الأمام أثناء المشي أو الانتصاب ، والثانية انقلاب جدار الرحم وميله الى الأمام .
فالكليتان اذن ليستا مترادفتين ولا يصح أن يطلق عليهما اسم واحد وهو الخنث .
وإني لم أتوصل بمراجعة المماجم التي بين يدي الى ما يشير فيها الى الميل والانقلاب .
فقد جاء في اللسان : الخنث الذي لا يخلص لذكر أو أنثى ، وخنث الرجل
خنثاً فهو خنث وخنث وخنث ثنثي وتكسر وخنث الشيء فخنث ان عطفته
فتمطف (ولعلّ اللجنة أخذت بهذا المعنى) والخنث من ذلك للينه وتكسره .
أقول ما أغنانا عن استعمال هذه الكلمة التي تفيد المعنى غير المطلوب من
اللفظين الآتقين .

835 Anthélix ونيرة ، وترة (الأذن) ٨٣٥

عرفت اللفظة الفرنجية بأنه الجزء المنحني من عمود الأذن والكائن أمام

الكِفاف (Hélix) والذي يماثيه في معظم أجزائه . وجاء في المخصص الوترية
تُغْضِرِف في أعلى الأذن بأخذ من أعلى الصماخ ، والصماخ هذا الخرق الذي ينفذي
الى الرأس . كما أن الوترية والوترية الحاجز بين المنخرين (وهو المشهور المتعارف) .
أفضل أن تترجم الكلمة بصَحْن الأذن فقد جاء في المخصص هو جوف الأذن
الظاهر المتقعر فينبعد الالتباس بين الأذن ووترية الأنف .

844 Antibiotiques صادات عن الحياة ، مُرَدِيَات ٨٤٤

ومانعات التعايش (Symbiose) لأن تماسها لأحد الجراثيم يجعل هذا
يتوقف عن نشاطه الحيوي . و مُرَدِيَات تعني مُهْلِكَات الجرثوم أو الجراثيم ،
وأرجح تخصيص هذه اللفظة لمضادات العفونة .

845 Anticathode ذبل القطب السليبي ٨٤٥

وأفضل أن تترجم اللفظة بنظير القطب السليبي .
فقد عرفت بأنها الصفحة الممدنية أو الهدَف في مصباح كروكس (Crookes)
الشماعي ، ومقرها مقابل القطب السليبي ، وتتلقى صدمة الأشعة السلبية مولدة
الأشعة السينية .

847 Anticoagulants ضد التخثرات ٨٤٧

والأفضل مضادات التخثر ، لأن استعمالها الطبي إنما يكون لتخفيف وطأة
حدَث التخثر لا لكبح جراح مواد مخثرة غير طبيعية .

851 Antidote, contre - poison بادزهر ، ضد السم ٨٥١

وأقر بجمع اللفظة كلمة تريباق ولا شك أنها تفضل على بادزهر التي سبق
واستعملت في هذا المعنى ولا أرى داعياً الى تبشها .

858 Antiinfectieux ضد الخمج ٨٥٨

وأرجح ضد العفونة أو ضد الانثان (١) .

(١) لقد تقدم رأني في الخمج (الصفحة ٩٥ من الجزء الأول من هذه الملة) .

873	Antiputride	ضِدَّ التَّدَاعُصِ	٨٧٣
		وأرجح ضد التفسخ باعتبارها دارجة ومعروفة .	
875	Antisepsie	تَطْهِير	٨٧٥
876	Antiseptique	مُطَهِّر	٨٧٦
877	Antiseptiques désinfectants	مضادات الفساد ، مُطَهِّرات	٨٧٧

وأقر جمع اللفظة مانع العفونة لـ (Antiseptique) ومطهر لـ (désinfectant) بينما أطلقت اللجنة على اللفظتين الأفرنجيتين كتيهما مطهر .
وعليه أرجح أن يقال للأولى منع الفساد وللثانية مانع العفونة أو الاتان ومانعات العفونة أو الاتان ومُطَهِّرات تبعاً .

882	Antitoxique	ضد السم	٨٨٢
		وكذلك الترياق .	

883	Antitragus	مقابل الوتدة (الأذن)	٨٨٣
		وهي الترجمة الحرفية للفظنة الفرنجية . ولعلها المحارة والصدفة كما جاء في المخصص . فالوتدة كما جاء في الأخير النامز في مقدمة الأذن مثل الثؤلول بلي العارض من اللحية ، والمحارة والصدفة هي ماتحت الإطار .	

888	Anurie	زُرَام	٨٨٨
		وهو انقطاع البول . ففي اللسان وزرِم دمه و بولُه وحِلْفَتُه وكلامه وازرَامٌ انقطع ، وكل ما انقطع فقد زَرِم . فالزرام اذن لبس خاصاً بانقطاع البول . ألا تفضل الكيتان البيتان على الكلمة الواحدة القاموسية والغامضة ؟	

910	Aphasie	حُبْسَة	٩١٠
-----	---------	---------	-----

وأقر جمع اللفظة هذه اللفظة ، ودرج كاتب هذه السطور على استعمال

أخرس^(١) . فأخرس فقد النطق من جراء إصابة في مركز التكلم الكائن في الدماغ ، والمصاب بهذه العاهة العصبية لا يستطيع الإفصاح عما يجول في خاطره لفظاً ، ويشقى صاحب العلة إذا كان حدثاً ، وعلى ذلك بلازمه فقد النطق دون انقطاع . بينما الحُبسة بخلاف ذلك فقد جاء في اللسان : الحُبسة والاحتباس في الكلام التوقف وتحبُّس في الكلام توقّف قال المبرد في باب عل اللسان الحُبسة تعذر الكلام عند ارادته . وعليه فإن الحُبسة تنطبق على ما نسميه بأخرس المؤقت والعارض (Aphasie transitoire) وهو أن يتوقف المتكلم في أثناء الكلام مدة من الزمن ويستطيع الكلام بعد ذلك شأنه في السابق .

وكلمة آخرس سبق للمجموعي أن استعملها في كامل الصناعة^(٢) في عل اللسان .

916 Aphrodisiaques منغظات 917

ولعلّ اللبنة استعملت هذه اللفظة قياساً ، والمشهور عنها معلّنة . ففي اللسان

- (١) الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٥
- (٢) الصفحة ٣٤٨ من الجزء الأول من كامل الصناعة الطبية . بقوله : وأما ما يمرض للمصّب الذي في اللسان من العلل فمنها ما يمرض للمصّب الذي يكون به حس المذاق وهي نقصان المذاق وعدمه وهذا يكون إذا لم يحس الانسان بشيء من الطعم في فمه البتة . ومنها ما يمرض للمصّب الذي يكون به الكلام والحركة وهي ثقل اللسان وعدم الكلام الذي يقال له الخرس وهذه الأضياء تمرض : إمّا لسوء المزاج الغالب على المصّب ، وإمّا لسدة تمرض فيه إمّا من ورم ، وإمّا من ضعف ، وإمّا من خلط بلغمي غليظ ينصب الى الأعصاب ، وإمّا أن يكون من تفرق الاتصال يمرض للمصّب بمنزلة الهتك ، أو يكون ذلك من خلط حار ، أو من ضربة أو من صدمة تقع على الدماغ ؛ والعلامات الدالة على كل واحد من هذه الأسباب كالعلامات الدالة على علل الخواس التي ذكرنا قبل وقد يمرض ثقل اللسان وعدم الكلام لعله تكون في الجزء المدم من الدماغ الذي يبعث منه المصّب الذي يأتي اللسان وفي الدماغ نفسه ا هـ .

الفأحة بالضم شهوة الضراب غلِم الرجل وغيره بالكسر بقلَم غلَمًا وَاغْتَلَمَ اغْتَلَامًا
إذا هاج إلى أن قال وقد أظلمه الشيء وقالوا أظلمُ الألبان ابن الخليفة يريدون
أظلمُ الألبان من شربه وقالوا شرب ابن الأبل مغلَمَة أي انه تشد عنه العُلْمَة .

٩١٩ حكمة Aphantosie 019

عرفت اللفظة الفرنجية بأنها ضرب من اضطراب النطق يمتاز بتشنج العضلات
الموكلة باللفظ والمصبة بعصب تحب اللسان كما أنه جاء في الترجمة الانكليزية
للمعجم نفسه ما يفيد المعنى المذكور نفسه ؛ أما الحكمة فقد جاء في اللسان :
الحكمة كالعُجْمَة لا يبين صاحبها الكلام ، والحكمة والحكمة الشئفة .
ابن الأعرابي في لسانه حكمة أي عجمة لا يبين الكلام .

لذا أرجح في ترجمة هذه اللفظة كلمة العقلة ففي اللسان واعتقل لسانه
امسك ، صرّض فاعتقل لسانه اذا لم يقدر على الكلام ، أقول : والاعتقال
أكثر انطباقاً على التشنج في عضل اللسان من سواء .

٩٢٣ غشاء عضلي ، لفافة Aponévrose, fascia 023

وأقر بجمع اللفظة كلمة الصفاق وهي الدارجة على أسنة الأطباء . بينما اللجنة
خصت كلمة الصفاق بالشاء المعروف بالبريطون ، وسأعود إلى النظر في صحة
هذه الكلمة عند الكلام على لفظة البريطون . وقد جاء في اللسان الصفاق
جلدة رقيقة تحت الجلد الأعلى وفوق اللحم ، وهو ما ينطبق على معنى اللفظ
الافرنججي تماماً .

٩٩٦ عمى البصيرة Apyroxie 997

وفي الأصل من المعجم (Apyrexie) ومعناها لأحمى ، وهو لا شك
غلط مطبعي في اللفظة الفرنجية وغلط ترجمة في اللفظ العربي ، إذ لا محل لمعى
البصيرة هنا . ولم تنبه اللجنة إلى تصويب هذا الخطأ .

- 997 Aquatique ذوماء ، مائي ٩٩٧
واللفظة تفيد ما هو منسوب الى المستنقع . وتستخدم في الغالب للحيوانات
أو النبات الذي يعيش في المنافع أو الجداول مما ينبغي أن تميز عن (Aqueux)
كأن يقال مستنقي أو مناعي .
- 1030 Aréole du mamelon لُفوة ١٠٣٠
والمشهور عنها السمدانة ، فقد جاء في المخصص : السمدانة ما اسود من الثدي
حول الحلمة ، وفي اللسان : والسمدانة الشُدْوَة ، وهو ما استدار من السواد
حول الحلمة ، وقال بعضهم : سمدانة الثدي ما أطاف به كالفلكة . ولم أجد
الى مصدر لُفوة .
- 1042 Ariboflavinose داء لاجيمين ب ، داء اللاجيمين ١٠٤٢
الناجم عن تقص الريبوفلافين
وأدعوه عَوَز الريبوفلافين .
- 1043 Arithmomanie جنون حسابي ١٠٤٣
وأرجح وتلع المد ، لأن المصاب بهذا الخلل لا يفتأ بعد الأشياء ،
ويشتغل في الأرقام دوماً .
- 1056 Arsenal thérapeutique دار صناعة الأدوية ١٠٥٦
مصنع الأدوية
جاء في تعريف كلمة (Arsenal) مصنع الأسلحة ومدخرها ، على حين
أن المراد بـ (Arsenal thérapeutique) ليس مصنع الأدوية كما ذهب اليه
اللجنة ، ولو كان ذلك هو المقصود لجاء بالفرنسية (Usine) أو (Fabrique) .
والمراد هو جَعَبَة المداواة أو خزانتها^(١) . وعلى ذلك فري الترجمة الانكليزية

(١) كهوك ليس في جيبه أدويتنا أو مداراتنا أو خزانتها أفضل من القطار اللدلي

في معالجة الداء الذي نحن بصدده (Il est le meilleur médicament dans)

(notre arsenal thérapeutique) .

لهذا المصطلح في المعجم الأصلي هي (Therapeutique Armement) ومعناه السلاح الدوائي ، والترجمة الألمانية (Heilschatz) ومعناها خزانة الشفاء .

١١٢٤ عَصَابُ الْمَفْصِلِ ، ظِلَاعُ Arthralgie, arthydie 1124

وبمى باللفظة الفرنسية ألم المَفْصِلِ ووجهه . وأقر جمع اللفظة البدل (ألم المفاصل) فقد جاء في اللسان : والبَدَلُ وجع في اليدين والرجلين ، بَدِيلُ بالكسر يَبْدِلُ بَدَلًا فهو بَدِيلٌ إذا وُجِعَ بديه ورجليه .

أما استعمال اللجنة كلمة عَصَابُ فقد ذكرت اللجنة في الأصول الذي اتبعته في وضع المصطلحات " وزن فُعال للداء في حشَى أو عضو لكباد وعُصَابُ وقلاب ، مما ينبغي معه تخصيص عَصَابُ بالألم العصبي (Névralgie) وألم المَفْصِلِ لا صلة له بإبلام العصب ؛ وأما ظِلَاعُ فقد جاء في اللسان : الظَّلْعُ كَالعَمَزِ ، ظَلَعَ الرجل والدابة في مشيه يَظْلَعُ ظَلْعًا عَرَجَ وغمز في مشيه ثم قال : والظَّلَاعُ داء يأخذ في قوائم الدواب والابل من غير سير ولا تمب فتَظْلَعُ منه ، وطبيعي أن ألم المَفْصِلِ أو المفاصل لا يشترط فيه أن يكون في الرجلين فكثيراً ما يبدو في اليدين .

١١٢٥ التهاب المَفْصِلِ Arthritis 1125

أقر المجمع الرئية لهذا المصطلح ، والأفضل تخصيص الرئية للروماتيزما ، شأن ما فعلته اللجنة .

١١٢٧ حَرَضٌ ، تَاهَبٌ حَرَضِيٌّ Arthritisme, diathèse 1127

اغْتِذَائِيٌّ أَوْ حَشِّيٌّ arthritique, bradytro-

-phique ou dystrophique

وبقصد من المصطلح الفرنسي (Arthritisme) التَاهَبُ المرضي الناجم عن الإبطاء في التطور الاغذائي والبادي مررباً بجملة حالات مرضية كالبدانة

(١) الصفحة ٩٣ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة انما تستعمل .

والداء السكري والرمال البولية والنترس وغيره ، فهو إذن تأهب للإصابة ببعض الملل لآلة معينة وخيمة . أما الحَرَضُ فقد جاء في اللسان أحرَضَه الحرض فهو حَرَضٌ وحارَضٌ إذا فسَدَ بدنه وأشرف على الهلاك وحَرَضٌ يَحْرِضُ ويَحْرِضُ حَرَضًا وحَرُوضًا هلك . ويقال كَتَبَ كِذْبًا فأحرَضَ نفسه أي أهلكها وجاء بقول حَرَضٌ هالك إلى أن قال : وقال الفراء في قوله تعالى : « حتى تكون حَرَضًا أو تكون من الهالكين » . أقول مما يدل على أن الحَرَضُ هي حالة الهلاك أو الاشراف عليها ، وليس الأمر كذلك في اللفظة الافرنجية . لذا أرجح في ترجمة هذا المصطلح : تأهب مفصلي (لأن الآراء الحديثة تكاد تحصر التأهب في الإصابة المفصلية دون سواها وهكذا استبعد الداء السكري منه) إبطاء التغذية (bradytrophie) أو فساد التغذية (dystrophie) . وبعد كتابة ما تقدم اطاعت على تصحيح ورد لهذه اللفظة لم أنتبه إليه ، وهو تصحيح اللجنة حَرَضٌ واستبدالها بـ قُفَاصٌ الذي لا يفيد المعنى المطلوب فقد جاء في اللسان والقفاص داء يصيب الدواب فتببس قوائمها .

1131 Arthropathie مَرَضٌ مفصلي 1131

ودرج كاتب هذه السطور على ترجمة اللاحقة (pathie) باعتلال تمييزاً لها عن العلة (Affection) ، والمرض أو الداء (Maladie) فأقول اعتلال المفصل أو الاعتلال المفصلي ، ومن المعلوم أن العلة إحدى ظاهرات المَرَضِ .

الدكتور حسني سبيع

(للبحث صلة)

مختارات مما لم يُنشر من شعر البحتري

- ٤ -

قال البحتري^(١) يمدح الفتح بن خاقان^(٢) ، واقترح عليه هذا الوزن لأنه قيل له
إنه ينتحل أشعار العرب :
أُصْدُوهُ غَلا بِهَا أُم دَلا لُ يَوْمَ زُمْتُ^(٣) بِرَامَةٍ^(٤) الأَجْمَالُ

- (١) القصيدة من الخفيف ، عدد أبياتها ٣٧ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربي) الورقة : ٣٣٤ ظ - ٣٣٥ ظ ؛ وما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن عبد القاهر الجرجاني أثبت أحد أبياتها - البيت ١٩ - فيما اختاره من ديوان البحتري (المختار من دواوين المتنبّي والبحتري وأبي تمام بتحقيق السيد عبد العزيز الأيميني : الطرائف الأدبية مصر ١٩٣٧ : ص ٢٧٠) .
- (٢) الفتح بن خاقان صاحب المتوكل وأمين سره وقد قتل معه عام ٢٤٧ هـ ، وهو أديب شاعر من كبار مثقفي القرن الثالث ؛ كان يملك خزانة كتب حافلة ، وله ألف البحتري (كتاب الحماسة) على نهج حماسة أبي تمام ، ومدحه بما يقرب من ثلاثين قصيدة (راجع ترجمته في الفهرست ، مصر ١٣٤٨ هـ ص ١٦٩ - ١٧٠ ؛ ومعجم الأدباء لياقوت ، المأمون ١٩٣٦ م ج ١٦ / ١٧٤ - ١٨٦ ؛ وفوات الوفيات ، مصر ١٩٥١ ج ٢ / ٢٤٦ - ٢٤٧ ؛ وانظر الفصل الرابع من كتاب أخبار البحتري : ٨٣ - ٩٩) .
- (٣) زَمَّ البعيرَ : خَطَّمَه بالزمام .
- (٤) موضع بالبادية ، قيل بالمعيق ، وقيل وراء القرية في طريق البصرة إلى مكة ، وقيل إنه من ديار بني عامر . (راجع المحيط وما على الهامش من تعليقات) .

أَعْرَضَتْ عَطْفَةَ الْقَضِيبِ وَحَادَتْ^(١) من قريب كما يجيدُ الغزالُ
عَهْدَتَنِي وَلِلشَّبِيبَةِ سِرْبًا لَ جَدِيدًا فَأَنْهَجَ^(٢) السَّرْبَالَ
وَرَأَتَنِي تَدَارِكُ الْحِلْمُ مِنِّي وَتَنَاهَى عَنِ عَذْلِي الْعُدَالَ
إِنْ يَمُدُّ هَجْرُهَا جَدِيدًا فَقَدْ كَا نَ جَدِيدًا مِنْهَا وَمِنَّا الْوِصَالَ
إِذْ حَوَانِي الزَّمَانِ خُضِرَ رِقَاقُ^٣ وَقَنَاقَةُ الْأَيَامِ فِيهَا اعْتِدَالَ
وَلَمَّا بِالكَثِيبِ مِنْ جَنْبِ حَزْرَى^(٣) أَنَسُ^(٤) قَاطِنٌ وَحَيٌّ حِلَالَ
ذَكَرْتَنِي الرِّسُومُ وَالْأَطْلَالَ صَبَوَاتِ ذِكْرِي لَهْنٌ ضَلَالَ
قَلَفُ الْحِلْمِ أَنْ يُطَاعَ التَّصَابِي وَرَدَى اللَّهْوِ أَنْ يَشِيبَ الْقَدَالُ^(٥)
أَبْرَحَ^(٦) لِلعَيْشِ فَمَلِشِبُ قَدَى فِي أَعْيُنِ الْبَيْضِ^(٧) وَالشَّبَابُ جَمَالَ
نَوَلِينَا وَأَيْنَ مِنْكَ النَّوَالُ وَعَدِينَا وَوَعْدُ مِنْكَ آلُ^(٨)

(١) حاد عن الشيء يجيد : صد عنه وعدل .

(٢) أنهج الثوب : إذا أخذ في البلي ولم يتشقق .

(٣) حزرى : موضع ببجد في ديار تميم ، وقيل هو جبل من جبال الدهناء (معجم البلدان ،

بيروت : ٢ / ٢٥٥) .

(٤) الأَنَسُ : الناسُ والحَيُّ المقيمون ، والأَنَسُ ضدُّ الوحشة .

(٥) القَدَالُ : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

(٦) أَبْرَحَ : آذَى وَالْمُ وَعَذَبَ .

(٧) كناية عن النماء .

(٨) سرابٌ خادع .

أنا راضٍ بأن تجودي بقولٍ كاذبٍ أو يُطيفَ منك خيالُ
 أيتها المبتغي مساجلةً الفتحَ حَتَاوَلْتَ نَيْلَ ما لا يُنالُ
 أين تلك الأخلاقُ منك إذا رُمِّتَ مداها وأين تلك الحلالُ
 لن تجاري البحارَ حينَ يجيشُ السَّمَدُ فيها ولن تُوازي الجبالُ
 بِنَمْدِ البائسِ^(١) المُبرِّزِ قوتاً وتَدانى^(٢) الضُّرُوبُ والأشكالُ
 لم تُسأَمِ له المقاداة حتى عرفت فضله عليها الرجالُ
 رفعت مجدها^(٣) عليه تنوخٌ فله فوق غيره إطلالُ
 قائلٌ فاعلٌ وليس يكون القولُ مجداً حتى يكون الفعال^(٤)
 وصحيحُ السَّامِحِ بينَ أناسٍ في سجاياهم علينا اعتلالُ
 ثابتٌ في المَكْرِّ إن زاح^(٥) لافر سانٍ من جانب الصريعِ مجالُ
 ملكٌ يستقلُّ في رأيه المُلْكُ ويحييا في فضله الإفضالُ
 وإذا ما حلت ربيعَ أبي الفضلِ نتمَّ السَّامِحُ والإبلالُ
 مُتعلِّ على الخطوبِ إذ^(٦) العا ثرُ كابٍ في صرفها ما يُقال

(١) الغالب في الفضل والمزبة .

(٢) بجذف التاء : تتدانى = تتقارب .

(٣) في الأصل : مجده .

(٤) اختار الجرجاني هذا البيت في مختاره .

(٥) تباعد ، وفي الأصل : راح للفرسان عن جانب الصريع محال .

(٦) في الأصل : إذا .

ومقيم صفاً (١) الأمور وفيها حيدٌ (٢) عن جهاتها وانقتال
 متحرراً (٣) على الخلافة ما ينقص في حظها ولا يقتال
 شاهرٌ دون حَقِّها عزَمات تتحامي مكرورها الأبطال
 وسيوفاً إيتاضها أوجالٌ للأعادي ووقمها آجالٌ
 مرهفات لها ، إذا أظلم النقمُ عليها ، توَقَّدُ واشتعالُ
 أبداً يستجدُّ منها حديثاً ن : دمٌ من عدوِّه وصقالُ
 كلما جتته تعرَّفَتْ مجداً مُستفاداً للطرف فيه مُخالٌ (٤)
 حيث لا تدفعُ الحقوقَ المعاذيرُ ولا يسبقُ العطاءُ السؤالُ
 أعوزت من سواك عارفةُ الجوِّ دِ وخابت في غيرك الآمالُ
 أنا من بله نذاك وأهلت منه آلاؤك العراضُ الطوالُ
 وتولتُه أنعمُ منك يُحمَلنَ خفافاً وهنَّ وقرٌ (٥) يقالُ
 مائتاتٌ بذكرك الأرضَ شكرياً وثناءً وسيرها أرسالٌ (٦)
 طالها ت تلك النجادَ ففي كُلِّ مقامٍ لهنَّ فيك مقالُ

* * *

- (١) الصفا : الميل .
 (٢) جمع حيد : اعوجاج والتواء .
 (٣) تحرى الأمر : قصده وتوخاه واجتهد في طلبه وفي الأصل : منح .
 (٤) في الأصل : محال ، ومخال من أخال فيه : تفرس وتوسم .
 (٥) الوراق : الحمل الثقيل .
 (٦) أفواج بمد أفواج .

ملاحظات ونظرات

١- للبحثري في الفتح بن خافان شعر كثير ، أكثره في ديوانه المطبوع ، والذي لا يزال مخطوطاً منه قليل لا يزيد على ثلاث قصائد ، منها هذه القصيدة التي نشر لأول مرة .

٢- أول اتصال للبحثري بالفتح كان في سنة ٢٣٣ هـ - كما يذكر الصولي في أخبار البحتري ص ٨٣ - وقد لقي الشاعر من ممدوحه تشجيعاً أثار عليه تقمة حساده الكذابين ، فراحوا بكيدون له عنده ، وبتهمونته بانتحال أسماء العرب ، وقد كانت هذه القصيدة امتحاناً لشاعرية البحتري ، ذلك أن الفتح اقترح عليه وزنها ، وقد دأب الشاعر بنجاحه فيها على أصالة موهبته وامتلاكه لتأصية فنه ، وحقاً له أن يقول في قصيدة أخرى يمدح بها الفتح ، ولا تزال مخطوطة أيضاً :

إذا كساني الفتح أثواب الفتي فكسوتني إياه مدحٌ منتخبٌ
قصائد تطرب من تهدي له ولذة النفس من العيش الطرب
لم أستمع حليتها يوماً ولا أغرت حين فلتها على الكتب

(مخطوطة باريس : الورقة ٣٩ و - ظ) .

٣- ولهذا نرجح أن يكون تاريخ نظم القصيدة في الفترة الأولى من اتصال البحتري بالفتح ، عام ٢٣٣ هـ ، وقبل أن يتيقن الفتح من أصالة موهبة البحتري وغنى طاقته الشعرية .

٤- تقع القصيدة في قسمين متميزين : نسب ومدح .

أما النسب فيشغل الأبيات (١ - ١٢) وهو غزل تقليدي يتحدث في رشاقة وبراعة عن صد المحبوبة ودلالها وهجرها وإعراضها عن الشاعر منذ ولي شبابه ، وأصبحت الصبوات من بعد ذلك ذكريات حلوة تهبجها الأطلال والرسوم ، وأمسى الشاعر يقنع بالوعد الكاذب والخيال الزائر .

وأما المدح فيشغل بقية الأبيات (١٣ - ٣٧) وقد أغناه البحتري بكثرة الصور

وتنوعها ، وفيها يمجّد أخلاق الفتح وسجاياه ، فهو فرد لا نظير له ، عرف الجميع فضله فأسلموا له المقادة ، وهو قوَال فعَال ، صمّح شجاع صائب الرأي ، كريم مضياف ، لا تنال منه الخطوب ، مصلح يقوّم اعوجاج الأمور ، ويحمي أجداد الخلافة بعزماته وجهاده وحروبه ، وهو سخيّ يسبق عطاؤه سؤاله ، والشاعر غارق في فيض من آلائه وعطاياه ، شاكر حامد ، لا يفتر عن الحمد والثناء .

٥ - الانتقال من النسب إلى المدح انتقال مفاجئ ، وتلك عادة من البحتري ألفناها منه ، وقد أهمل في المدح تمجيد شرف نسب ممدوحه ، ووفى المنصرين الآخرين (الكرم والشجاعة) تصويراً وتلويناً ، وأبرز دور الفتح في دعم الخلافة وإسهامه في تدبير أمورها ، ولم يكن الشاعر في كل ذلك مقالياً ، فالفتح بن خاقان كان دون ريب من أخطر شخصيات عهد المتوكل وأشدّها وعياً وأحكامها سياسة وتديباً .

٦ - تمتاز القصيدة بالصنعة الكثيرة المتأقفة ، ففيها فيضٌ من التشبيه والاستعارات والمحسنات البديعية ، وذلك تأثير أبي تمام في تليذه البحتري لا يزال غصاً شديداً الوضوح ، ولما تمض على وفاة (الأستاذ) - كما كان البحتري يسمي أبا تمام - سنةً وبعض السنة ، وصبتحل الشاعر كما امتد به العمر من طوابع مدرسة أبي تمام ومياسمها حتى يصبح الطبع غلاباً على الصنعة في فنه .

٧ - تظهرنا القصيدة على مقدار الجهد الفني الذي بذله البحتري في نظمها ، ففي النسب وحده ثلاثة أبيات مصرّعة (الأول والثامن والحادي عشر) وأكثر القوافي فيه مرشحة ، والصور تزدهم في القصيدة كلها في إحكام متين ، وإيجازٍ خاطف ، وعرضٍ حيٍ مشير ، وليس هذا عجيباً فهذه القصيدة التي يختبر بها الفتح شاعرية مدّاحه هي أجود ما نستطيع عبقرية البحتري أن تتخض عنه آنذاك ، وما كان للشاعر إلا أن يفجر كل طاقته وإمكاناته التي يمتلكها إلى ذلك اليوم ، وهو يثبت للتحدي ، ويخوض معركة الحاصمة مع حسّاده ، مناضلاً في سبيل مستقبله ومجده الأدبي في بغداد .

٨ - القصيدة إذاً من جيد شعر البحتري ومختاره ، وكفى البحتري فخراً أن يقول

مثل هذا الشعر وهو شابٌ لما يبلغ الثلاثين !

- ٥ -

قال الجعدي^(١) يرثي أم المتوكل^(٢) :

غروب^(٣) دمع من الأجنان تنهبلُ وحرقةً بمليل الحزن تشتعلُ
وليس يُطفئ نار الحزن إذ وقَدتْ على الجوانح إلا الواكف^(٤) الخضيل^(٥)
إن لَجَّ حُزْنُهُ فلا بدَّعٍ ولا عَجَبٍ وفلَّ صبرٌ فلا لومٌ ولا عدلُ

(١) القصيدة من البسيط ، عدد أبياتها عشرون ، نقلناها من مخطوطة ديوان الجعدي بالمكتبة الوطنية بباريس ، الورقة : ٣٤٩ ظ — ٣٥٠ و ؛ وما يؤكد صحة نسبتها إلى الجعدي أن المعري يذكر الشطر الأول من المطلع والبيت ١٦ منها في عبث الوليد (مطبعة الترقى بدمشق ١٩٣٦ : ص ١٦٩ — ١٧٠) .

(٢) أم المتوكل خوارزمية اسمها شجاع ، كانت أم ولد ، وكانت تدعى السيدة ، وبذكر ابن تفردي بردي أنها « كانت صالحة كثيرة الصدقات والمعروف » وقد حزن المتوكل لوفاتها حزناً شديداً ، وكانت وفاتها لست خلون من ربيع الآخر سنة ٢٤٧ هـ ، وقتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر (راجع النجوم الزاهرة : مصر ج ٢ / ٣٢٣ ومروج الذهب للمسعودي مصر البهية ١٣٤٦ هـ ج ٢ / ٣٦٨ ، ٣٩١ وتاريخ الطبري في حوادث سنة ٢٤٧ هـ) .

(٣) جمع غروب : الدلو العظيم ، والدمع وميله أو انهلاله من العين أو الفيضة منه .

(٤) الدمع السائل .

(٥) الندي المتبل .

عَمْرِي لَقَدْ نَدَحَ الحُطْبُ الَّذِي طَرَقَتْ
 لِي أَيُّ يَدٍ بَانَ الحِمَامُ بِهَا
 سَيِّدَةَ النَّاسِ (١) حَقًّا بَعْدَ سَيِّدِهِمُ
 جَرَى لَهَا قَدْرٌ حَتَمَ فَعَلَ بِهَا
 فَكُلُّ هَيْنٍ لَهَا مِنْ عَابِرَةٍ دَرَّرَ (٢)
 عَمَّ البِكَاءُ لَهَا مِنْ (٣) المُنْصَابِ بِهَا
 فَالْشَرْقُ وَالْغَرْبُ مَهْمُورَانِ مِنْ أَسْفٍ
 مَنُوبَةٌ اللهُ مِمَّا فَارَقَتْ عِوَضُ
 قَلِّ لِلإِمَامِ الَّذِي آلاؤُهُ جُمَلُ
 لَكَ البَقَاءُ عَلَى الأَيَّامِ يُنْتَبَلُ (٤)
 وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ
 إِذَا بَقِيَتْ لِدِينِ اللهِ تَكَلُّوهُ

بِهِ الأَيْسَالِي وَجَلَّ الحَادِثُ الجَلِيلُ
 مِمَّا وَأَيُّهُ نَفْسٍ غَالَهَا الأَجَلُ
 وَمِنْ لَهَا المَأْثُرَاتُ الشَّبِيقُ الأَوَّلُ
 مَكْرُوهُهُ وَقَضَائِهِ مُوشِكٌ عَجِلُ
 وَكُلُّ قَابٍ لَهُ مِنْ حَسْرَةٍ سُفُلُ
 كَمَا يَعُمُّ سَحَابُ الذِّيمَةِ التَّهْطِيلُ
 بَاقٍ لِفَقْدَانِهَا وَالسَّهْلُ وَالجَبَلُ
 وَجَنَّةُ الخُلْدِ مِمَّا خَلَفَتْ بَدَلُ
 وَبِشْرُهُ أَمَلٌ وَسُخْطُهُ وَجَلُ
 وَالعُنُورُ يَمْتَدُّ بِالنِّعْمِ وَيَتَّصِلُ
 فِدَاءُ نَفْسِكَ أَنْ يَفْتَالِكَ الرُّكُلُ
 فَكُلُّ رُزْءٍ صَغِيرٍ القَدْرِ مُحْتَمَلُ

(١) فِي النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ أَنَّ أُمَّ المُنْتَوَكِلِ كَانَتْ مُنَدَعِي السَّيِّدَةِ ، كَمَا قَدَّمْنَا ، وَإِلَى هَذَا

يُشِيرُ البَحْرِيُّ هُنَا .

(٢) فِي أَسَاسِ البَلَاغَةِ : سَحَابَةٌ مِدْرَارٌ وَلَهَا دِرَّةٌ وَدِرَّرٌ .

(٣) فِي الأَصْلِ : وَالْمُنْصَابُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الوِزْنُ .

(٤) يُسْتَأْنَفُ ، اقْتَبِلَ البَقَاءُ : اسْتَأْنَفَهُ .

لئن رُزيتَ التي ما سنامها امرأة^(١) لقد أتيتَ الذي لم يُؤتَهُ^(٢) رجُلٌ
 صبراً ومعرفةً باللهِ صادقةً والصبرُ أجملُ ثوبٍ حين يُبتذلُ^(٣)
 عزيتَ نفسَكَ^(٤) عنها بالنبيِّ وما في الخُلدِ بعد النبيِّ المصطفى أملُ
 وكيف نرجو خلوداً لم يُخصَّ به من قبلنا أنبياءُ اللهِ والرُّسلُ
 عمركَ اللهُ في النِّعماءِ مُبتهجاً بها وأعطاكَ منها فوق ما تسَلُّ

* * *

(١) كذا في المخطوطة الباريسية ، وفي عبث الوليد (مرّة) وتعليق للمعري بقول فيه : (قد جمع أبو عبادة في قوله « مرّة » بين شبتين ، تخفيف الهمزة التي في قولك « امرأة » ، وحذف الهمزة الأولى التي هي همزة الوصل ، وهذا جائز على قائلته ، ومنه قول بعض اللصوص : ولستُ أرى مرءاً تطول حياته فتبني له الأيامُ خلاً ولا عمّاً) ومنه أيضاً قول دعبل الخزاعي معاصر البحتري وصديقه :

فاحفظ عشيرتك الأدين إن لهم حقاً يفرق بين الزوج والمرّة

(الكامل للمبرد ، طبعة المبارك وشاكر ١٣٥٥ هـ : ج ١ / ٣٥٤) .

(٢) في الأصل : بأنه ، وأثبتنا ما جاء في عبث الوليد ، وقد علّق المعري على قول البحتري (أتيتَ) بمعنى (أتيت) فهي كلمة لم تستعمل لذلك ، وخيرٌ للبحتري أن يقول (فقدُ حبيتَ) .

(٣) ابتذل الثوب : لبسه .

(٤) يشير البحتري هنا إلى قول المتوكل عند وفاة أمه ، فقد ذكروا أنه قال في موتها يتنا من الشعر ، وهو :

تذكرتُ لما فرَّق الدهرُ بيننا فمزيتُ نفسي بالنبيِّ محمد

وقد أجاز له بعض من حضر فقال :

فقلت لها إن المنايا صيلنا فن لم يميت في يومه مات في غدٍ

(الظر النجوم الزاهرة : ٢ / ٣٢٣) .

ملاحظات ونظرات

١ - لم يرد لأُم المتوكل في شعر البحري ذكرٌ في غير هذه المرثية التي بكاها بها في حياة ولدها ، فأدى بذلك واجب الشاعر الرسمي للخليفة ، وإن لم يكن للحدث الحزن صلة بقلبه ووجدانه ، على أن أم المتوكل كانت - فيما يحكيه المؤرخون عنها - سيدةً جليلةً صالحةً ، تبسط بعدها في الإحسان إلى الفقراء من مالها ، وكانت أحزان المتوكل لوفاتها عميقةً ، أنطقته بالشعر الحزين بكاءً عليها ، ولهذا كان المأمول من شاعر الخليفة أن يعمق إحساسه بألام سيده وأن يتشبهها وأن يجد السبيل إلى قولٍ مغموس بدم القلب ، لولا أن البحري من طبيعة نفسية مرحة ، تنفر من الكتابة ، وتستعصي على المشاركة الوجدانية الصادقة في مآمي الآخرين .

٢ - تاريخ نظم القصيدة سهل التحديد ، فقد توفيت أم المتوكل سنة ٢٤٧ هـ ، ولحق المتوكل بها بعد ستة أشهر من وفاتها ، وفي خلال هذه الفترة دون رب نظم البحري هذه المرثية .

٣ - إذا استثنينا من مرثي البحري قصيدتين هما رثيته في المتوكل ومييته في أبناء حميد الطوسي (الديوان : الجواب : ١ / ٢٨ ، ٢ / ٥٥) لم نجد للبحري إبداعاً في الرثاء ، ذلك أن الشاعر كان يبكي في هاتين المرثيتين نفسه ويندب أفول مجده بمصرع المتوكل والقادة الطائيين من آل حميد ، فجاء رثاؤه هنا صادق اللوعة ، بفيض وفاء وبتدفق إخلاصاً وجدّةً وأصالةً ؛ أما مرثيه الأخرى فهي قصائد يابسة لا تخرج على النهج التقليدي للمرثية ، والبحري يستعملها غالباً بتمظيم الرزء ، وذم الدهر الخوان ، والتوجع من صروفه قبل أن يصل إلى الفقيده فيعدد مناقبه ويصور الفراغ الكبير الذي خلفه بوفاته ويصف الحزن الطاعني لفقده ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى أهل الفقيده فيعزيهم ويمدحهم ، وبذلك يصبح الرثاء جسراً إلى المدح ، ويخلص الشاعر من كآبة جو الموت ، باحثاً بعينيه النهمتين أبدأً إلى المال عن ممدوح جديدٍ سخّي ، من أهل الراحل ، يحل محله ، ويجزي الحمد بالثمن الربيع .

٤ - ورثاء البحري لأم المتوكل يجمع هذه الخطوط العامة التقليدية ، ذلك أننا نلاحظ في القصيدة الأقسام الثلاثة التالية :

أ - تصوير الحزن وتمظيم المصاب : ويشغل الأبيات (١ - ٤) فالدمع سكوب ، والحزن مشتمل الحرقه ، والصبر مفلول عند هذا الحادث الجلال .

ب - تمجيد الفقيده : ويشغل الأبيات (٥ - ١١) فقد كانت ذات بد كريمة ونفس طيبة ، وكانت سيده الناس بما أثرها ، فأرداها الموت ، فبكتها العيون والقلوب ، وعم الحزن الناس في الشرق والغرب ، والسهل والجبل ، ودعوا أن يثيبها الله الجنة .

ج - تمزية الخليفة ومدحه : ويشغل الأبيات الباقية (١٢ - ٢٠) والبحري يصف

هنا آلاء الخليفة وبشره وهيبته ، ويدعو له بطول العمر ، ذلك أن بقاءه بقاءً للدين ،

وكل خطب هينٌ بدمه ، والمتوكل قد أوتي الصبر والإيمان فعزى نفسه عن

أمه بالنبي ، وكيف يرجو لها خلوداً لم ينله قبلها الأنبياء ! ويسأل الشاعر الله

أخيراً أن يمد في حياة الخليفة ويزيده نعمة وبهجة ، وأن يعطيه فوق ما يسأل .

٥ - في القسمين الأول والثاني وصف للحزن بلهجة تقريرية جافة ومبالغات يأنسه

تجعل الحداد شاملاً للشرق والغرب ، والسهل والجبل ! ولم يوفق البحري إلى أن يخفي

بهذا الطلاء فقر انفعاله وقصور عاطفته ونفور وجدانه من الانفاس في الجوالحزين القائم

الذي يرسم خطوطه ؛ أما القسم الأخير فيكاد يكون مديحاً خالصاً للخليفة ، مقطوع

الصلة بالإطار الأسود الذي تقدمه ، ذلك أننا نرى الشاعر فيه وقد برقت أصاريره ،

فذكر البشر والنعماء والبهجة ، وكأنه نسي ما كان يسكبه من (غروب الدمع)

وما كان يشمله من (غليل الحزن) .

٦ - هذه القصيدة لا تقع دون الحسن من شعر البحري وإن لم تلتحق بالجميل المختار منه ،

ولو لم تكن صريحة ، والرثاء الحق نبعة تفور من أعماق القلب ، لنجت من أكثر المساوي

التي أشرنا إليها .

الدكتور صالح الأشر

www.alukah.net

(يتبع)

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٧ -

الفصل السادس

القول في الشم

والشم هو إدراك معنى المشموم كما قلناه قبل ، وهو مرتب في الأنف . وقد يجب أن نسلك ذلك السن فنفحص عن القابل الأول للمشموم ما هو ؟ فبذلك يتبين لنا ما هو الشم بالذات ، وما هو له بالمرض ، كما تبين ذلك في البصر . فإن اللون هو المرئي ، والقابل الأول هو البسيط . ويشبه أن تكون الحواس الثلاثة الباقية جنساً آخر من الوجود ، كما تبين ذلك ، وإن هذه الحاسة (١) أشد ضرورة في سلامة المفندي من الأوتلين . وبحق (٢) كانت ذلك ، لأنها أحوال من أحوال الممتزج . فإن اللون والقرع يوجبان تغير الممتزج ، لما يوجدان (٣) للممتزج لا بالمرض < و > لا بالذات . وإن اللون لا يتبع المزاج كما تبين ذلك في مواضع آخر . وقد نلخص ذلك الإسكندر الأفروديسي (٤) .

(١) المخطوطة : الحواس .

(٢) المخطوطة : عر .

(٣) المخطوطة : كما يوجد .

(٤) ترجمة ابو عثمان الدهشقي ، نسخة جيدة لهذا الكتاب موجودة بجزارة اسكوريال ،

ميسرد ، رقم ٧٩٤ (راجع : Casiri : Bibliotheca Arabic-Hispana)

(Escorialensis, vol. I, p 242, Foll. 69 b-17 a) . ولقد جتدت لحصول نسخته

الشمية ولكنهم رفضوا الطاب وقالوا إن الأب «مرآتا يريد ان ينشر هذا الكتاب

بتعليقه . ولكن ابن باجة يشير هنا الى تصنيفه المسمى « بحالة الاسكندر في

الرن وأي شيء هو على رأي أرسطو » ، وكان في محتويات نسخة برلين

المفقودة الآن : Ahlwardt : Die Handschriften... vol IV. No. 5060 .

والمشحوم الاثول هو الرائحة . فنقل ما الرائحة . فأما أن كل ذي رائحة فهو متمزج فكذلك تبين عند تصفح الأجسام . فالامتزاج^(١) يتقدم الرائحة في الجسم بالطبع . فأما أنه ، مع أنه مقدم بالطبع ، ذاتي فيبين أيضاً عند تصفح الرائحة وتولدتها ، كما عرض ذلك في (ورقة ١٥٨ ب) الألوان ، فإن التصفح إنما وقع لبعضها ووقع اليقين في الكل . والأمثلة في أمثال هذه ، على ما يقوله أبو نصر ، إنما تصير يقينية في زمان وهي مباحنة للأزمان في الكثرة والقلة ، فإننا نشاهد في الصيف في بعض البلاد تراباً ليس له رائحة فاذا حدث عليه قطر المطر حدثت له الرائحة عند ملاقاته المطر له ، ولا سيما متى كان المطر من سحب قريب فإنه عند ذلك يكون حاراً وربما كان ثلجاً . وكذلك أيضاً يتقدم بالطبع وجود الطعم في ذي الرائحة الرائحة فتكاد الرائحة أن تكون هي طعاماً ، ولذلك تعرف طعوم أشياء كثيرة من روائحها . وأكثر الحيوان غير الناطق إنما يستعمل هذه الحاسة في معاشه^(٢) كما يوجد ذلك في النسر وفي الكلاب وفي الدواب . فإن الخيل تنصرف عن أعذبتها إذا اقتربت بها^(٣) رائحة غير رائحتها الطبيعية . ولذلك كانت هذه الحاسة في غير الإنسان قوية وكانت في الإنسان ضعيفة^(٤) لأن الحيوان إليها أحوج . ومن شأن هذه في كثير من الحيوان أن لا يحس^(٥) حتى يستنشق^(٦) وهو

(١) هذا الرأي أيده ابن رشد كما يظهر من تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ،

ص ٣٩ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٢) راجع أرسطو : ٤٥٥ ا + ٣٠ - ١٤ : ٤٤٤ ب ١ - ١٤ : ٤٤٣ ب ٢٤ sq : ٤٤٣ ب ٢٤ sq : ٤٤٤ ب ١ - ١٤ : ٤٥٥ ا + ٣٠ - ١٤ .

(٣) لعل الصواب : اذا اقتربت بها ، او اذا اقتربت منها . (لجزء الجمل)

(٤) راجع أرسطو : ٤٢١ ا ٩ : ٤٢١ ا ٩ .

(٥) المنطوقة : لا يحس .

(٦) راجع أرسطو : ٤١٩ ب ١ : ٤١٩ ب ١ .

ما كان له رئة^(١) . فإنه لو وضع ذا^(٢) الرائحة على الأنف لما أحس^(٣) حتى يستنشق . والرائحة قد يتحرك بها الهواء على بُعد من المستنشق بقدر لا يتحركه^(٤) هواء النفس وذلك مشاهد .

وهذه الحاسة عليها حجاب^(٥) لا يفتح . فإذا وقع الاستنشاق انفتح ذلك الحجاب فوصل ذو الرائحة إلى الحاسة . ولذلك متى أراد الذي يشم إيصال وجود الرائحة لم يتنفس دفعة بل يتنفس في زمان طويل أو جهل التنفس متلبثاً . وما يظهر أن القابل للرائحة هو بالجملة مجانس للهواء وليس هذا فقط بل هو

(١) أيضا : De An. ii. 8. 420 b 23; De Sensu. 5. 444 b 1 sq.

(٢) المخطوطة : ذي .

(٣) هذه هي حال مائر الحواس فانما لا تتحرك كل ما يلاصقها ، راجع ارسطو : De An. ii. 9. 421 b 14 — 19 ، أيضا تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ، ص ١٥١ س ١١ . وايضا المخطوطة الفارسية ، بودليانا ، Ous. 95 ورقة ٤٧ الف س ٢٠ : « وابن حواس ديگر واکه وصف کردیم نه چنین باشد که آن حواس قادره وادرمیان نباشد محوسات خرد در انباید ، چون حس بینائی وشنوائی و بویائی که اگر مردم چیز دیدنی را بر حدقه چشم نهاده بید ، و اگر چیز آواز دهنده بر پوست درون گوش نهاد آواز آن نتواند شنید و اگر چیز بویارا ظاهر بجرای بین نه بوی آن نیابد .

(٤) بقدر لا يتحرك . (لجنة المحلة)

(٥) لم يصرح أرسطو أنه هناك غشاء على المناخر يزول وقت الاستنشاق ، ولكنه زعم ان حاسة الشم لها شيء مثل الغشاء كما ان البصر له غشاء في العين يحفظها . (De An. ii. 9. 421 b 29 — 422 a 4) ، ولكن ابن باجة يقن به ، له أخذ مما كتبه أرسطو في كتاب الحواس والمحسوس (5. 444 b 21 — 25) ان الحيوانات التي تنفس يزول فيهم شيء شبيه بالغشاء من آلة الشم وقت التنفس ، والحيوانات التي لا تنفس لا يزال هذا المانع فيها مرفعا ، راجع تلخيص كتاب النفس ، الأخواني ص ١٥٠ . والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ الف : « واما ديگر جانوران که راه گذر بینی دارند بالای گذرگاه حجاب بود شان که هوارا باز دارد از رسیدن بدان منافذ مگر آنکه بر کنند و بجایا نندوه چنین نتواند بید مگر که چشم بکشاید . »

إنما دخان أو بخار ما يعرض للبخورات ولكثير من المطبوعات . وقد فصلت هذه كلها في كتاب الحاس والمحسوس^(١) . ولذلك يبقى في كثير من الأجسام الصلدة روائح الأجسام بعد ذهابها ، مثل ما يبقى في أواني النحاس رائحة الخمر والعسل بعد غسلها زماناً طويلاً . فتبقى في الأوعية روائح الأجسام المودعة فيها ، ولذلك قد تشبه على الشم الأجسام التي لها تلك الروائح كما عرض ذلك في السمع^(٢) . فإن هاتين الحاستين تفارق محسوساتها^(٣) وقوابلها^(٤) ما هي منه . وليس كذلك البصر ولا اللمس . فلذلك تدرك^(٥) تلك الحاستان الأطوال والأشكال أكثر من هذه .

وأما الذوق فسنبين أمره كيف هو . ولما كان الممتزج على ما تبين في مواضع آخر ، وقلناه نحن قبل . إما أن يكون بنضج أو دون نضج ، كما يعرض ذلك في الذهب والنضة ، وما هو بنضج . والنضج يقال (ورقة ١٥٩ الف) بمحوم وخصوص ، فإذا قيل بمحوم كان كالجنس للشيء والطبخ ؛ وإذا قيل بخصيص كان مرادفاً للطبخ .

وتبين أن النضج إنما يكون في المختلط من رطوبة وييس . فإذا أنضجته الحرارة نوعاً من النضج حدث عند ذلك في ذلك الجسم المعنى الذي يقال له الطعم . ولذلك كل ذي طعم فهو ذو رطوبة ما . فإذا اتفق لهذا امتزاج آخر من رطوبة ويبرسة اختلطت بهذه ، ونضجت نضجاً ، فما حدث عن ذلك الرائحة ، وقد تلخص أمرها في الحاس والمحسوس^(٦) .

(١) راجع أرسطو : 30 - 21 a 43 5. De Sensu .

(٢) راجع النص آخر ورقة ١٥٧ ب .

(٣) المخطوطة : محسوساتها .

(٤) المخطوطة : قوابلها .

(٥) المخطوطة : قابل .

(٦) يبين ابن باجة غاية الشم في كتاب الحاس : 7 a 443 5. De Sensu .

وتبين أن الرائحة تكون عندما تفسل^(١) الرطوبة اليبوسة ذات الكيفية وتنضج بالحرارة نوعاً من النضج ، ولذلك توجد هذه في النباتات أكثر مما توجد في الحيوانات وفي الأشجار .

فذلك الحاصل في تلك الرطوبة المتزجة باليبوسة التي قد أنضجت بالحرارة - ما كان منها شجراً كان ظاهر الرائحة بنفسه . وما لم يكن ظاهر الرائحة بل كان ذا رائحة للقوة فلذلك يحتاج إلى النار وإلى حرارة . ولذلك متى ذلك ذو الرائحة أو فرك^(٢) وبالجملة إذا استخر^(٣) ظهرت رائحته^(٤) . فان الرائحة تحتاج إلى حرارة منضجة أولاً فقد تكفي بذلك مثل المسك والأبني السائلة^(٥) ، وقد لا تكفي فتحتاج إلى حرارة أخرى كعود الطيب^(٥) والسندروس وما شاكل ذلك .

ولما كان الشم هو إدراك معنى المشوم ، وكان وجود المشوم هو الوجود ، لم يدرك الشم شيئاً من لواحق المشوم من غير الطعم . ولذلك لا [يدرك] الشم إلا بالمرض . وذلك إذا اتفق أن يكون ورود المشوم من جهة واحدة تميزت له جهة الشم^(٦) بالمرض . فتميزت له جهة الشم^(٧) بالقصد الثاني .

- (١) راجع أرسطو : De Sensu. 5. 443 a 1; b 3; 445 a 14; 4. 441 b 18 .
 (٢) أيضاً : 4. 441 b 18; 5. 443 b 16 .
 (٣) وابن رشد تبع ابن باجة في البيان ، تلخيص كتاب النفس ، الالهواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .
 (٤) راجع ابن رشد ، تلخيص ، الالهواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ ، وراجع كتاب النفس ، الالهواني ، ص ١٥٠ ، والمخطوطة الفارسية ورقة ٤٧ ، ص ٦ وحس بوياني همان شناسد كه موافق وخوش بود ويا مخالف وناخوش ، وتواند كه بوي گل را از بوي ميه جدا كندونه بوي صبرا از بوي مزبل كه ميهن دايم كد بويهاي ناخوشت يا بويهاي ناخوش .
 (٥) مشهور بالعود الهندي ، راجع ابن رشد ، تلخيص كتاب النفس ، الالهواني ص ٤٠ .
 (٦) المخطوطة : المشوم .
 (٧) المخطوطة : المشوم .

الفصل السابع القول في الطعم

وقد تبين وجود الطعم أي وجود وجوده^(١) ، وإن الطعم لا يمكن أن يكون لا في رطب ، ولا في يابس ، ولذلك لا يوجد للرماد ولا للماء الصرف ولا للهواء . ولذلك يوجد لماء البحر طعم^(٢) وماء الآجام لليبوسة التي تخالط تلك المياه .

فيمولي الطعم الرطوبة^(٣) ، ولذلك متى ينبت آلة الطعم لم تجد طعم الأشياء الغالب عليها^(٤) اليبس ، وتجد لذلك طعم الرطب . فإن الطعم يحرك رطوبة الفم فيقبلها على نحو ما يقبل الهواء اللون . وتحرك الرطوبة حاسة الذوق^(٥) . ولذلك متى كان رطباً قامت الرطوبة الحاملة مقام الرطوبة الطبيعية . فالرطوبة يفقر إليها الطعم أما أولاً^(٦) ففي^(٥) أن يكون موجوداً ، وثانياً لأن يكون محسوساً .

ولذلك جعلت الذوائغ^(٦) لتضع الرطوبة الطبيعية التي بها يكون الذوق .

(١) راجع النس نفسه ، ورقة ١٥٩ الف ، ... فا حدث عن ذلك الرائحة الخ .

(٢) قال أرسطو إن الجسم المشموم والمطموم يتلقى بشيء سائل :

• De An. ii. 10. 422 a 10

(٣) المخطوطة : عليه .

(٤) راجع أرسطو .

(٥) المخطوطة : هي .

(٦) خالف ابن رشد رأي الاسكندر الافروديسي الذي كان يرى « ان هذه

القوة ليست تحتاج الى متوسط » ، واستدل قائلاً « فن هذه الاشياء كلها قد

يظهر ايضا ان هذه الحاسة انما تدرك محوسها بمتوسط هو هذه الرطوبة ،

وقد صرح بذلك ابو بكر بن الصائغ في كتابه في النفس وقامطيروس » ،

الاهرائي ، ص ٤١ .

وهي مختزجة من بيس ورطوبة نحواً من الامتزاج ، ولذلك هي لزجة . وهذه الرطوبة (ورقة ١٥٩ ب) هي غير ^(١) ذات طعم لئلا يعوّق طعمها قبول طعم المتضادة لها ^(٢) . فلذلك يجد المحموم الطعم كلها مرة ^(٣) ، لأن الرطوبة التي في فمه مرة لمخالطة الدخان اياها ، وقد تلخص ذلك في غير هذا الموضع . والطعم ضروري في الحيوان ^(٤) ، ولذلك لا يوجد منه ما لا يطعم الا قليل مثل جنس ذوات الأصداف واصفنج البحر . ويشبه أن تكون هذه تكتفي باللمس في اغتذائها لبعدها عن الاعتدال ، ولأنها تجري مجرى النبات . ولذلك لا يحس الذوق بشيء من لواحق ذي الطعم غير الطعم ، ولذلك يصير الطعم ألدّ وأكره بكونه أرطب وأبيض وأحرّ وأبرد ، وذلك بين نفسه .

* * *

الفصل الثامن

القول في اللمس

واللمس هي القوة على إدراك اللموس . واللموس قد يظن به أنه أصناف كثيرة ^(٥) ، فتكون قوة اللمس أصنافاً كثيرة ، إلا أنها في موضوع واحد .

(١) المضبوطة : تكرر « هي غير » .

(٢) لعل صحيح التمييز : الطعم المتضادة لها . (لجنة المجلة)

(٣) راجع ارسطو : De An. ii. 422 b 8 .

(٤) ايضاً : De An. iii. 12. 434 b 10 — 24; De Sensu. I. 436 b 13 .

(٥) وابن باجة أوضح قوله في كتاب الحيوان (ورقة ٩٥ ب) واللمس فقد يظن به انه اصناف كثيرة ، فان اللمس هو الحار والبارد والرطب واليابس والصلب واللين ، وهذه القوة واحدة كانت او اكثر من واحدة فهي اللمس وما جرى (ورقة ٩٦ الف) مجراه . وهذا اللمس يحتاج اللمس اكثر مما يحتاج اليه غيره . ولذلك كان الانسان احسن لما من صائر الحيوان لان اللمس فيه كثير وليس له شعر ولا ريش ولا فلوس ولا خزف بل الجلد . وقد أشار الى هذا ارسطو حينما قال (De An. ii. 422 b 18) : « إن لم يكن اللمس حاسة بل كان مجموعاً لحواس فلا بد من أن يكون اللموس اكثر من واحد » .

وهذه الحاسة هي شايمة^(١) في بدن الإنسان ، وليس لها عضو مخصوص كما لسائر الحواس . بل لها قابل محدود النوع في كل حيوان ، وهو اللحم أو ما يقوم مقامه فيما لا لحم له^(٢) . فإن الجلد ليس فيه الحاس الأول^(٣) لأنه اذا كشط أحسن اللحم ليس بأنقص من إحساس الجلد ، بل هو أحرى أن يظن به أنه أشد حساً .

وهذه الحاسة على ما تقدم ؛ هي التي لا يتخلو^(٤) منها حيوان وبها يكون الحيوان حيواناً . ولذلك متى فقدت هذه الحاسة ارتفع معنى الحيوان عن ذلك الشخص . ولا يتخلو^(٥) من < أن يكون لها لمس .

ولما كانت الملموصات ، على ما تبين في الثانية من الكون والفساد^(٦) ،

(١) وبين ابن باجة ايضاً ، (ورقة ٩٥ الف) . وهذه القوة (أي قوة اللس) ليس لها موضوع منفرد كالمين للبصر والمخبر للشم ونب الأذن لسمع بل تجدهما شايمة في الجسد كله وبخطة به .

(٢) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : والحس منه ما هو شامل الأعضاء كاللس وآلته اللحم أو ما يقوم مقامه فيوجد في كل عضو له شركة في الحس لحم . وأما ان يكون منفرداً كالحواس الأربعة . وانظر أرسطو :
De An. II. 422 b 20; 423 a 13

(٣) استدلل ابن باجة قائلاً : ورقة ٩٦ الف : فجلد الانسان فقد يظن به أنه الحاس الأول وأما انه ليس الحاس الأول فذلك يبين لأن اللحم يحس دون الجلد أكثر مما يحس والجلد عليه .

(٤) المخطوطة : لا يتخلوا .

(٥) المخطوطة : ولا يتخلوا .

(٦) ايضاً ابن باجة ورقة ٨٧ الف : : ان كل واحد من هذه (اجسام اربعة) لهو جسم ملوس وذلك معروف بنفسه ، ولما كانت الأجسام المشاهدة ليست البسائط بل ما كانت اقرب الى البسائط ظن بأن المعرفة بما نشاهد ليست مكتملة بنفسها على ان تردف بالقول . فنقول ان الحار والبارد والرطب واليابس امور عسوة فهي موجودة . وهذا علم اول مكتمل بنفسه فظاهر قريباً من ذلك انها في موضع واحد وان قوام جسم وصورته من حيث هو ما هو است واحدة منها . وانواع الأجسام المشاهدة فكل واحد منها فيه ضرورة اثنان من هذا الأربعة لا يتخلو جسم منها ؛ ارسطو : 423. 27 .

يرجع كلها إلى الحار والبارد والرطب واليابس ، وكان هذا < ن > التضادان ليس يرجع أحدهما إلى الآخر فإن كل حس فإنه لمتضادين ^(١) . وقد يعرض للمتضادين أن يكونا موضوعين لتضاد آخر . مثال ذلك اللون : أطرافه الأبيض والأسود ، والأبيض موضوع البراق والائراق ^(٢) ، والضوء طرفاه النقل والحدة وهذه موضوعة الأملس والخشن والخفي والجهير .

وكذا أن تلك حاسة واحدة تنبها قوى كثيرة كذلك يشبه اللمس ^(٣) . وبالجملة فإن القوى تنبع الموجودات في ترتيب وجودها . لكن الرطب واليابس والحار والبارد لا تتابع بينها على ذلك الوجه فإنه لا واحد منها ^(٤) موضوع الآخر لكن بينها تتابع آخر بالذات وتلازم ، وقد تلخص ذلك في غير هذا القول .

[ورقة ١٦٠ الف] فلما كانت هذه لا تنفصل في وجودها في الموضوع فلذلك كانت القوى اللامسة لا تنفصل وكانت في حاسة واحدة .

ولما كان كل جسم كائن فاصداً فهو ملموس . ولا يخلو ^(٥) الموضوع من هذه المتضادات كما يوجد الموضوع خالياً من سايرها ، فإنه قد يوجد جسم لا لون له ^(٦) ويوجد جسم لا صوت له وذلك في الرائحة والطعم ، فلذلك اتخذت

(١) راجع ارسطو : De An. II. 424 a 7 .

(٢) انظر ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ص ٤٦ ، حيدرآباد ص ٤٠ .

(٣) وصف ابن سينا قوة اللمس في الشفا ورقة ١٦٦ الف : ويشبه ان يكون قوى اللمس قوى كثيرة كل واحد منها يختص بمضادة فيكون ما يدرك به المضادة التي بين الثقيل والخفيف غير التي يدرك به المضادة التي بين الحار والبارد ، فان هذه افعال اولية للحس يجب ان يكون لكل جنس منها قوة خاصة الا ان هذه القوى لما انتشرت في جميع الآلات بالسوية ظنت قوة واحدة .

(٤) المخطوطة : فان ما لا واحد منها .

(٥) المخطوطة : لا يخلو .

(٦) هذا يخالف لما قال ارسطو في De Sensu. 6. 445 b 12 ، وانظر ايضاً :

De An. II. 7. 418 b 27 - 30 .

آلات تلك من أمثال هذه الأجسام . فاما هذه فلا لم يمكن ذلك كانت من المعتدل لأن المعتدل هو بوجه ما ولا واحد من الطرفين بالقوة . فلذلك كانت آلة اللمس معتدلة من الحار والبارد والرطب واليابس . ولذلك لما ظن جالينوس أن اليد هي آلة اللمس حكم بأن جلدة اليد هي المعتدلة بين الأطراف . فنقل ما للجسم الذي فيه القوة اللاصقة إلى بعض آلات اللمس . وهذا الجسم هو الحار الفريزي . ولما لم يكن فيه الاعتدال لذلك وصلته الأجسام التي يسميها أرسطو ميلا ويسميها جالينوس عصباً لأنها تأتي بالبرودة النفسانية من الدماغ . ولذلك أي عضو لم يتصل به سيل من الدماغ لم يكن فيه لمس ، ولذلك لا يمس الكبد ولا الكلى ولا العروق الضواري وهي مملوءة من الروح الفريزي . فاما كيف تكون برودة نفسانية ؟ وذلك قد تبين خلافه . فإن آلة النفس هي الحار الفريزي . فإن البرودة تقال على الأطراف وعلى الأوساط ، والتي في الدماغ لا يمكن أن تكون طرفاً ، فإنما هي وسط وهو ما بين المعتدل والطرف . وإنما يكون الوسط وسطاً يخالطه الضد ، فتلك البرودة تخالطها حرارة نفسانية . ولذلك تصير الحرارة إلى الدماغ من القلب في الشرايين وتصير عليه الشبكة المشيحية لتسكنه هذه الحرارة المعتدلة لبرودتها ، وبها تكون في تلك الرتبة . فهي نفسانية من جهة ما هي حرارة لا من جهة أنها هي بالرتبة تلقب بالطرف .

وقد يتشكك على حاسة اللمس . منها أن كل حاسة فإنها متحركة عن المحسوس حسب ما تلخص القول المجمل في الحس^(١) . والمحرك منه قريب ومنه بعيد ، ومنه بالذات ومنه بالعرض . والبعيد الذي هو المحسوس ، والقريب

(١) راجع أرسطو : De Sensu. VI. 140 a. 21

الذي هو الخادم كالهواء للبصر والسمع والشم ، والرطوبة للذوق . فقد ينبغي أن نطلب ^(١) هنا مثل ذلك .

وثامسطيوس يعلم أن الهواء تخدم مثل ذلك كله . فانه شيء لا يمكن أن يتناس السمك ^(٢) في الماء < بغير الماء > ، لأن الرطوبة لا يمكن أن تنسلخ جملة عن الأجسام التي في الماء . فإن الهوائي أحس ^(٣) بذلك .

واللمس قد يكون بتوسط أكثر من واحد وإن كان غير طبيعي ، كما يمرض ذلك إذا غشي بعينه ، فإنه قد يدرك الصلب واللين (ورقة ١٦٠ ب) والحر والبارد ، وكما يحس بتوسط المكاز ^(٤) مثلاً ، غير أنه وإن كان يحس بذلك فلننا نحس كل أنواع اللموس ، فإننا لانحس بتوسط المكاز لا الحار ولا البارد .

بل إنما نحس بالصلب واللين . ونحس الحار والبارد عندما يفتش الجلد ، وليس إنما يكون الفشاء يخدم بل بفعل من ذلك ويكون هو الخسوس أدلاً . وأما هل حاسة اللمس هو اللحم أو في اللحم ؟ فإن ذلك ليس يتبين ^(٥) ،

(١) والتفت ارسطو الى هذه المسألة في : De An. II. 11. 422 b 23

(٢) راجع كتاب النفس لاسحاق ، الاهواني ، ص ١٥٣ ؛ والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ ب ١٩ : « جواب گفتم حاسه لمس ملوس را بيايحي هو ادريابد ليكن هوا پوشيده بودودرين مثل زدگفت : اگر کسی دست آب فرورد و برون آورد دست سنگی را بر گیرد چارميان سنگ دست آب بود ليكن پنهان از غایت لطافتش پس چون آب بتوسط ميتواند بودميان دست وآنچه بدست گيردني آنکه نتوان دیداز لطافت هوا سزوارتر که در توسط پوشيده مانند که هوا از آب بسی لطيفتر است . » وابن رشد اقرب الى ابن باجة واطهر في البيان ، تلخيص : الاهواني ص ٥٥ ، وحيدر آباد ص ٤٥ .

(٣) المخطوطة : احس ، وبالهامش : « احس » .

(٤) المخطوطة : الحار ، وبالهامش : « المكاز » .

(٥) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ ألف : على ما نشاهد ان الحس في اللحم ، ولا يبالي ... هل اللحم هو الحاس ام الروح الفريزي ؟ واللحم له آلة . ايضاً

ارسطو : Hist. An. I. 489 a 24

لكنه كيف كان فهو متصل باللحم وهو أحد ما به قوام اللحم .
والمحسوسات ، فقد تلخص أمرها في مواضع كثيرة . فإن لها قوى شائعة
في الجسم ^(١) ، قوامها في الجسم من حيث هو جسم . فلذلك تدرك الالامة
الأطوال والأشكال كما يدرك ذلك البصر .

فأما انه لا توجد حاسة غير اللمس ، فذلك قد يبين ما نقوله : وذلك أنه
وإن وجدت فسيكون لها محسوس خاص ، وذلك المحسوس يجب ضرورة أن
يكون محركاً جسمانياً . ولا محرك جسماني إلا هذه الخمس ^(٢) ولذلك لا يمكن
أن تكون حاسة مفردة للمحسوسات المشتركة تحرك ^(٣) أشياء . فأما الحواس
الذي يدركها فسنبين أمره بعد . وأيضاً فإنه إن كان لها هنا حاسة سادسة ^(٤)
وجب ضرورة أن تكون لحيوان ما ، وذلك الحيوان يكون ضرورة غير
الإنسان ، فإنما للإنسان هذه الخمس بالطبع ، فيكون ذلك الحيوان حيواناً
نافصاً ^(٥) . ومحال أن يوجد للنافص ما لا يوجد للتام . وقد تلخص في أول

(١) ايضاً ارسطو : Hist An. : 489 a 18 ; ابن رشد الاهواني ص ٤٧ وحيدرآباد ص ٤١ .
DeAn. III. 13. 435 a 20 ;

(٢) ايضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٦ ، حيدرآباد ص ٥١ .
(٣) المخطوطة : لا تحرك .

(٤) راجع ارسطو : De An. III. I. 424 b 22 ; وابن رشد : تلخيص ، الاهواني
ص ٥٨ ، حيدرآباد ص ٥٣ .

(٥) وفي المخطوطة زيادة : « تخريجه كانت في الأصل المنقول منه هذه النسخة ،
إن هذا القول زيادة ، مثله أتذكرها هنا القول الذي التفت من الحيوان
لأن البصر من ماء والسمع من هواة وكيف ينزم عنه ان لا تكون حاسة
سادسة ؟ ، هذا مفي . »

الحيوان^(١) كيف يشبه ما يوجد للحيوان الناقص ما لا يوجد من نوعه للحيوان الكامل وهو الإنسان كالجحفة للحمار والخرطوم للفيل ، وصائر الأعضاء التي يختص بها حيوان حيوان ، وإن كان ذلك موجوداً^(٢) للإنسان بوجه أكمل ، فإن الجحفة والخرطوم هي بد نافصة . وإذا كانت الأعضاء إنما تحد بغاياتها وبقومها استمدادها لحصول تلك الغايات ، وكان ذلك موجوداً للإنسان أو ما يكون أفضل منها ، فيجب أن توجد للإنسان هذه الخاصة ضرورةً^(٣) لئلا يكون هنا ما هو أفضل . وذلك بين مما تلخص من كتاب الحيوان .

* * *

(١) راجع ابن باجة : ورقة ١١٠ ب : « والاكمل هو الذي يوجد له جميع الاعضاء الافضل ، فان العظام فيما اعدت افضل من الشوك وكذلك جميع القوى ، والانسان افضل الحيوان لانه يوجد له جميع اجزاء النفس ولما كانت اجزاء الجسد انما هي آلات فسانية كالمروني والمضل ، ومنها ما يتم به قوام جميع جسده كالعظام فضرورة يجب حيث كانت اجزاء النفس اكثر ان يكون هناك عدد انواع الاعضاء اكثر ، وحيث كملت اجزاء النفس فهناك يكمل عدد انواع الاجزاء بالجملة ما كان منها عضواً وما كان منها ضمياً حيوانياً . والانسان ففيه قوى النفس المشتركة ، وفيه قوى يختص بها هو وحده ، فلو كانت نفساً كما يجب ضرورة ان يستعمل آلة فكان يجب ضرورة أن يكون في الانسان نوع من الاعضاء لا يوجد في حيوان اصلاً .

والنظر ارسطو : Hist. An. L. 2. 488 b 30; 486 b 18 ؛ وابن رشد : تلخيص

كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٨ ، حيدر اباد ص ٥٣ .

(٢) المخطوطة : موجود .

(٣) المخطوطة : الإ .

الفصل التاسع

في الحسن المشترك^(١)

فأما أن هذه الحواس كلها قوى خاصة واحد^(٢) هو الأول وهو الذي يسمى الحسن المشترك . فبين ما نقوله : أما وجود هذه القوة فقد تلخص فيما كتبناه في الحسن مجملًا ، وهو الطيولي الذي تصير به المعاني محسوسة^(٣) .
 (ورقة ١٦١ الف) ولذلك متى التبت باحدى الحواس تحركت مثل حركة هيولى تلك الخاصة ، فهي بالموضوع واحدة^(٤) وبالقول كثيرة^(٥) ، كما يمرض ذلك لمركز الدائرة^(٦) فإنه بالموضوع واحد وبالقول كثير .
 ولما كانت ها هنا محسوسات مشتركة فهنا ضرورة قوة مشتركة^(٧) تقبل تلك^(٨) .
 ففي الحسن والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل ذلك المعنى .
 وهذه الخاصة التي كان البحث عنها أي شيء هي ؟ وأيضا فإن هنا محسوسات مشتركة للحواس الخمس . فبين أن هناك قوة مشتركة لها . وتلك القوة تقضي

(١) عنوان مستقل في نسخة برلين .

(٢) راجع ارسطو : De An. III. 2. 425 b 11-22 ابن رشد تلخيص كتاب النفس ،

الاهواني ، ص ٥٤ ، حيدر اباد ، ص ٤٨ ، ابن سينا أيضا يصف الحسن المشترك

فيقول : (الشفا . ورقة ١٨٢ الف) بل الحسن المشترك هو القوة التي تتأدى اليها

المحسوسات كلها .

(٣) المخطوطة : المحسوسة .

(٤) المخطوطة : واحد .

(٥) راجع ايضا ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٥ ، حيدر اباد ص ٤٩ .

(٦) يقول ابن رشد : هذا المثال كثيرا ما يستعمله الفلاسفة ، خصوصا ارسطو وشراحه :

المصدر السابق .

(٧) ايضا ، الاهواني ، ص ٥٤ .

(٨) المخطوطة ، هنا زيادة : 'هي' المحسوسة والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل تلك.

على تغاير أحوال المحسوس (١) وتحسّ له أحوالاً (٢) كثيرة . فتدرك لكل جزء من الشفاعة (٣) مثلاً أن له طمأً ورايحاً ولوناً وحرارة أو برودة ، وتقضي أن كل واحد من هذه غير الآخر . فإنه لو كان في قوابل مضادة لها لما كان ممكناً أن تقضي أن هذا غير ذلك (٤) . فإنه يجب عندما تؤمّلت المقايير ، كيف وجودها .

وفي هذه القوة تبتى الآثار المحسوسات (٥) عند انصراف المحسوس ، كما يمرض ذلك في الألوان ، فإن شان هذه القوة الاستمساك بالاحساسات وهي آثار المحسوسات فيها (٦) ، فإذا اتفق أن يؤثر المحسوس أدرك هذا إدراك الأثر . فالقوى الست التي هي الغاية والخمس التي هي الحواس ، بين من أمرها أنها أنفس ، إذ هي استكالات للأجسام ، والسابعة هي القوة المحركة وصفين أمرها فيما بعد .

فأما أن وجدت قوة لا تستعمل آلة فتلك ليست نفساً إلاً باشتراك . فالحس المشترك لما كان ضرورة صورة للحواس الفريزي وجب ضرورة أن يكون نفساً . وليس بهذا النحو من النسبة قيل له نفس بل بكونه استكمالاً لا لجملة الجسد المؤلف لكن وجوده في الجسد إنما هو بوجوده في هيولاه الخاصة به وبه يصير

(١) قارن ارسطو : De An. III. 2. 426 b 10 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ،

الاهواني ، ص ٥٤ .

(٢) المخطوطة : أحوال .

(٣) ابن رشد : المصدر نفسه . ويُنظن أن أول من ذكر المثال المذكور الاسكندر الإفروديسي .

(٤) وابن سينا أيضاً ذكر هذا الدليل فقال : (الشفا ، ورقة ١٨٢ ، ص ٣) فإنه لو لم تكن قوة واحدة تدرك المتون والمهوس لما كان لنا ان يميز بينهما فالتين انه ليس هذا ذلك .

(٥) المخطوطة : المحسوسات القوة .

(٦) ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٦٣ ، حيدر اباد ص ٥٨ .

بالجملة^(١) جزءاً من الجسد ، وبوجوده في ذلك أمكن اتصاله بالحواس وتحرّكها عن تحريكها ما لبس بذئ جسم . ولبس يتصل بما هو خارج عنه .
 وإنما يصير الحس المشترك صورة للجسم ذي الآلات بالتباصه للآلات .
 كالتباصه بالعين مثلاً . ولذلك لا يسمع النائم ولا يبصر . وذلك بين في الحيوان الذي لا يطبق عينيه عند النوم لأن تلك الصورة لبست في الجسم . لأن تلك الصورة لا تفارق هيولاها ، فإذا لم يوجد ذلك الجسم الذي له تلك الصورة في الحاسة لا تحس . ووجود ذلك في الحاسة هو كالصورة لها على مثال ما يكون الرّبان^(٢) ضرورة (ورقة ١٦١ ب) في السفينة . وقد تلخص أمر هذه الصورة في غير هذا الموضع .
 وأما إذا انفرد^(٣) الحس المشترك فإنما هو نفس بوجه أنه صورة لجسم ما . ولذلك لا يوجد النوم في جميع الحيوان لأن الحار الفريزي لها موجود إنما في الحاسة لأن التقدم^(٤) والتأخر^(٥) فيها واحد أو كواحد ، وقد تلخص أمر هذا في كتاب الحيوان .

(١) المخطوطة : الجملة .

(٢) وانظر ابن باجة نفسه ، ورقة ١٠ الف ، « فان النفس في البدن كالرّبان في السفينة فان الرّبان في السفينة صورة الا انها مفارقة » ، وراجع ارسطو :
 . De An. I. 3. 406 a 6: II. 1. 413 a 9

(٣) قارن ابن باجة : النص نفسه : ورقة ١٥٥ الف : فان القوة اذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحس المشترك . وقد قال ابن باجة في كتاب الحيوان : ورقة ٩٥ ب : فالحس ينفرد عن الحركة بالقول كما ينفرد الهيولى من الصورة بالقول الذي يلخص به ما هي بالاسباب المقومة لها وهي فيها .

(٤) المخطوطة : المتقدم .

(٥) المخطوطة : المتأخر .

فإن وجد حيوان (١) له قوة أخرى ليست صورة لجسم أصلاً . فتلك ليست نفساً إلا ينحو من اشتراك الاسم . مثل أن تكون قوة لحضوره (٢) للحس المشترك ويكون الحس المشترك كالميتولي فيها فتكون تلك (٣) صورة لميتولي الحس المشترك لكن ليست أولى . فذلك تكون هذه القوة قوة واسطة بين النفس وبين القوى التي ليست بأنفس يأخذ كل واحد منها بقسط ، وصنيتين ذلك فيما بعد . وهذه القوة هي قوة التخيل .

محمد صغير حسن المعصومي

(يتبع)

(١) المخطوطة : الحيوان .

(٢) يعني ان الجسم عندما وجد في الحس المشترك ينتاج الى قوة مادتها الحس المشترك وصارت القوة صورة للحس المشترك . راجع ابن سينا ، (الشفا) ورقة ١٨٠ الف ١٨ : « فان الحس المشترك قابل للصورة لا حافظ ، والقوة الجبالية حافظة لما قبلت ذلك ، والسبب في ذلك ان الروح التي فيها الحس المشترك انما تثبت فيها الصورة المأخوذة من خارج منطبعة مادامت النسبة المذكور بينها وبين البصر محفوظة أو قريبة المهد . فاذا غاب البصر انصمت الصورة عنها ، ولم تثبت زماناً . يمتد به » .

(٣) المخطوطة : ذلك .

التعريف والنقد

قضايا الفكر في الأدب المعاصر

للأستاذ وديع فلسطين

د أصدره المكتب الفني للنشر في القاهرة ،

نجاه في ١٣٢ صفحة »

في الأدب العربي الحديث قضايا مهمة كثيراً ما خاض فيها الأدباء والمثادبون في الجرائد والمجلات ، وكثيراً ما اختلفت فيها آراؤهم ، وتشعبت مذاهبهم . وقد تناول الأستاذ وديع فلسطين هذه القضايا في كتابه ، فمحصها تمحيصاً دقيقاً ؛ ووازن بين السمين والغث من آراء الكتاب فيها ، وذكر لكل قضية رأياً شخصياً هو في نظرنا من أرجح الآراء عنيًا ومنطقياً .

ومن القضايا المذكورة قضية الفصحى والعامية ، والشعر الصحيح وما يسمى الشعر الحر ، والمصطلحات العلمية ، وتفسير القواعد والكتابة العربية ، وتقليدنا الغربيين في مدارسهم « مذاهبهم » الأديبة الحديثة ، سواء في ذلك ما كان منها معقولاً « كالمدرسة السلفية والرومنسية والواقعية والطبيعية » ، أو كان غير معقول ولا مفهوم « كالمدرسة الرضوية وما فوق الواقعية » .

وقد بحث المؤلف في هذه القضايا ، وفي موضوع الالتزام في الأدب أي ما يسميه بعضهم الأدب الهادف ، ثم بحث في الأسلوب العلمي وأسلوب الإثارة في الأدب ؛ وقايس بين الكتاب في القديم والكتاب في أيامنا هذه ؛ وانتقل الى ذكر النقد وانحراف رسالته ، والى المسرحية وضيق مجالها عندنا ، والى الترجمة وشروطها ، والى أزمة الكتاب العربي ، والى محنة الأدب في هذا الزمن . وأنهى كتابه بكلام طلي على الفكر بين الأرستقراطية والفوغائية .

وبعد إن قيمة الكتب لا تقاس بعدد صفحاتها ، بل تقاس بما فيها من فائدة للقارئين . وهذا الكتاب ، على صفحه ، قد عالج المواضيع المذكورة بأسلوب علمي متزن ، فأحاط بأطرافها ، وجلاها على المطلعين في أفكار نيرة ، ولغة صحيحة ، وبيان مشرق ، وغيره على لغة النضاد وعلى الأدب العربي .

مصطفى السرابي

١٩٤٥

« وجوب التعاون بين المسلمين ، وموضوع الجهاد الديني

وبيان كليات من براهين الدين »

تأليف الأستاذ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى

هذا الأستاذ أشهر من أن يعرف ، فهو علامة القصيم من نجد لهذا العهد ، وهو صاحب التأليف الجامعة النافمة ، وأوقاته كلها معمورة بالاشتغال بالعالم تعليماً وتدريباً وتأليفاً ، ورسالاته هذه (وجوب التعاون) يدعو فيها هذه الأمة المسلمة في عامة أقطارها وأمصارها الى التضامن والتعاون على ما فيه مصلحتها ، والى دفع عوادي الشر عنها ، فكل عمل تقوم به للمصالح العامة ومساعدة المجتمع ابتغاءاً لرضا الله فهو (في سبيل الله) في نظر الإسلام ، وما قيد الشارع « الجهاد » بهذا الشرط (في سبيل الله) ، إلا للدلالة على هذا المعنى . وقد أنشأ فصولاً كثيرة فيه ، بين فيها أقسام (الجهاد) وأنواعه كجمع الكلمة ، ووجوب المشاورة ، والاستعداد للأعداء ، وأخذ الحذر منهم ، وإعداد وسائل الجهاد ، والوقوف التام على أحوال الأمم والشعوب ، والقيام بالقسط والوفاء بالمهود ، وربط الصداقات وعقد المعاهدات بين الحكومات الإسلامية ، وتخفيف الأكل من الرجال في الولايات والأعمال . ثم شذرة من سيرة النبي (ﷺ) وصدقه وصحة دينه ، وما أخبر به من الغيوب المنوعة ، ومن هذه الفصول : التحدثي بالقرآن ،

وما علّمه الله اللاؤسان من أصناف المخترعات ، الكهرياء ، وأعمالها ونتائجها ودلائلها على البعث ، منة الله في خلقته جارية على مقتضى حكيمته ، هداية البشر بالإسلام ، جمعه بين الأمم المتباينة ، حفظ العقلاء مند على قدر عقولهم ، تفسير آيات من القرآن ، أسره بالإيمان بجميع الرسل وما جاءوا به من عند الله ، تفسير شواهد منه ، الشريعة جاءت بالعدل ، وحثت على الإحسان والفضل ، سيرة الرسول من آياته ، وأمنه من آياته ، (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماته) .

وهذه الفصول مملوءة بالأدلة القرآنية ، ومنها يتبين أن الإسلام خير من هذه السباصات المنصرية والمحلية والحزبية ، وكلها صفائن وأحقاد ، وشروور وفساد ، كما تقرؤه عنها في الصحف المنشورة ، وهذا الكتاب من خير ما يهتدي به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

١ - توضيح الكافية الشافية

٢ - الحق الواضح المبين ، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين ، من الكافية الشافية .

كلاهما للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (المطبعة السلفية)

(الكافية الشافية ، في الانتصار للفرقة الناجية) للإمام الرباني شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق الشهير ، وقصيدته هذه قد بلغت مئات الأبيات من السهل الممتنع ، وموضوعها التوحيد وأصول الدين ، والرد على الجهمية والمعطلة والملاحدين ، وإثبات ما أثبتته تعالى لنفسه من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، والرد على الجبرية من الجهمية ، والقدرية من المعتزلة ، وإثبات الكسب للعبد والاختيار ، وفوقها جريان الأقدار ، وكانت طبعت هذه القصيدة منذ سنين ، ولكن بلا شرح

ولا تعليق ، فقام العالم السلفي الشيخ عبد الرحمن آل سعدي بشرحها شرحاً مطوّلاً ، سماه (توضيح الكافية الشافية) ولكنه لم يورد القصيدة ولا استشهاد بشيء منها ، فهو شرح مستقل عن الأصل ، وإن كان مبنياً عليه ، وعناوين فصوله تدلّ على المراد منها ، وهذا الشرح يبلغ (١٢٤) صفحة ، وفي آخره فهرس مفصّل .

في ص ٤٤ ص ٦ : و « زحمتي وسعت كل شيء » صوابها : « وزحمتي » .
في ص ٤٦ ص ٨ : « هذا من » صوابها : « هذا ومن » .

* * *

وأما الكتاب الثاني ، وهو (الحق الواضح المبين) فقد خُصّ فيه شرحه الأول ، وطبعه بعده فبلغ نصف حجمه ، مع أنه أورد فيه مائتين وخمسين بيتاً من القصيدة ، وشرحها شرحاً وجيزاً بيناً ظاهراً ، وبدأه بقول ابن القيم :
فاسمع إذا توحيد رسل الله ثمّ اجعله داخل كفة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر أيها أولى لدى الميزان بالرجحان
قال الشارح : « وذلك أنّ الشيء يعرف بضده ، والحق يتضح ويظهر نوره بمعرفته ، ومعرفة ما يضافه من الباطل ، فإنك إذا وزنت - بميزان العقل الحقيقي - والفطر السليمة التي لم تتغير ، والبراهين الدالة على الحقائق - توحيد الأنبياء والمرسلين وتوحيد المعظّمين ، وجدت بينهما من الفروق ما لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل » .

أقول : لا يخفى أن هذه الكتب السلفية تبحث في توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله ، على الوجه الذي أثبتته الله لنفسه في كتابه ، أو ورد عن المصوم الذي لا ينطق عن الهوى في بيانه ، وإذا نظرنا إلى كتب التوحيد الدراسية التي تداولتها أيدي الخواصّ والعوام ، في معظم الأمصار الإسلامية ،

وصارت عمدة الدارسين والمدرسين في المدارس الرسمية الحكومية والأهلية نجدها نوعين : (أحدهما) كتب العقائد التي وضعت على طريقة الخلف ، وأولت فيها نصوص الكتاب والسنة تأويلاً صرفها عن مدلولاتها اللغوية والشرعية ، ونفى معانيها الوجودية الثابتة بتأويلات جاءت على خلاف الوضع والشرع . (الثاني) كتب الدفاع عن الإسلام وتوحيده ، وأثبت أنه دين العقل والفطرة ، وحاجة البشر في كل زمان ومكان ، فهذه الكتب التي تضمنت فلسفة التوحيد وحكمة التشريع هي سلاح علي يحمله المسلمون في صدورهم لحراسة عقائدهم والدعوة إليها والنضال عنها ، لا لتلقى علم التوحيد وعقائده منها ، فهي على نفاستها وضرورة مدارستها ، ليست كتباً موضوعية في فن التوحيد ، ولا هي قواعد لعقائده المستمدة من نصوصه المبنية هي عليها ، بل هي فلسفة تقوم حول علم التوحيد ، وإيضاح لمحاسن الدين ومزاياه .

وهناك نوع ثالث وهي الكتب التوحيدية السلفية ، التي أثبتت معاني النصوص وحقايقها الشرعية من طريق العقول ، وردت كلام المؤولة ردّاً لم يبق حاجة في النفوس ، وهي الطريقة التي جرى عليها شيخنا الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية في كتبها ، ومن هذا حظهما من أئمة الإسلام وحماته ، ولكن كتب هؤلاء الأعلام الواسعة ، إما كتب مناظرة وحجاج ، وتأييد لمدلولات النصوص وردت لشبهات الخصوم ، وإما كتب علمية غير تعليمية .

فترى أن تنشر فصول في التوحيد السلفي ، ملخصة بما كتبه الأئمة الثقات فيه ، وتكون تمهيداً لوضع سلسلة توحيدية تعليمية ، مفرغة حلقاتها بأسلوب مدرسي عصري ، يشرب القلوب حب السلف الصالح وآثارهم ، ويطبعم النفوس بطابع عقائدهم وأخلاقهم ، ويفندي عقول النشء الإسلامي بلبان التوحيد الخالص ، المطهر من كل ما يخالطه من أدران الشوائب ، فتصح العقائد وتزكو الأخلاق ، وتوحد المبادئ والغايات ، والله هو الموفق والمعين .

كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأماص

تأليف : الإمام المحدث المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى الملقب سنة ٨٤٠ هـ

ويليه : كتاب جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار

للعامة محمد بن يحيى بهران الصعدي الملقب سنة ٩٥٢

ولتام الفائدة ألحقت به تعليقات من مراجع مختلفة ، لمصححه :

القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي البجلي الصنعاني

تقوم إلى جانب هذه النهضة المباركة في البلدان العربية نهضة دينية اجتماعية تنفجر بنايها من سلسيل الإسلام الصافي ، وتسقى أصولها من معينه الذي لا ينضب ماؤه ، ولا تبلى جدته ، وإن إمام اليمن الراحل يحيى حميد الدين الملقب بأمر المؤمنين تفضده المولى برضوانه ، قد صام بقسط كبير في هذه النهضة ، فقد جاء في المقدمة ذكر طائفة من الكتب العربية والدينية النافعة النادرة ، التي أسر بطبعها ، وبمث بأصولها من مكتبته العامرة ، ومنها هذا (البحر الزخار) .

يقع هذا الكتاب الضخم الذي طبع بمصر - بإشراف الأستاذين عبد الله محمد الصديق ، وعبد الحفيظ أصعد عطية - في خمسة أجزاء ، وهي تبلغ نحو مائة والتي صفحة بالقطع الكامل ، عدا مقدمته والفهارس ، وهذا المصنف الكبير «الجامع لمذاهب علماء الأماص» يذكر المسألة وينبه على ما فيها من إجماع أو اختلاف ، ثم يحيى أقوال العلماء من الصحابة والتابعين ، وأئمة أهل البيت وصائر الفقهاء ، ويذكر دليل كل قول وتعليقه ، مع الإشارة إلى ترجيح الراجح وتضميف غيره . وفي أول «البحر» ترجمة لمؤلفه ، وتليها ترجمة لمخرج أحاديثه ، وقد جرى صاحب البحر على الإشارة لمن يتردد ذكرهم من الفقهاء بحرف أو حرفين ،

وهم طبقات أربع ، الصحابة والتابعون وأهل البيت وسائر الفقهاء ، وهم الأئمة الأربعة ، وإسحاق بن راهويه ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، والزهري ، وربيعة ، والحسن بن صالح الكوفي ، وأبو ثور ، وداود ، والمزني ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وزفر ، والكرخي من فقهاء الحنفية ، وقد ترجم في المقدمة لكل واحد من أهل الطبقات الثلاث الذين ورد ذكرهم ، ولم يترجم لطبقة الصحابة لشهرتهم .

والعلامة بهران الصمدي مخرّج أحاديث الكتاب . ومورد أدلة أحكامه على كثرتها واختلافها ، قد بذل في هذه السبيل جهداً عظيماً ، وإنما بقدره قدره من خاص في بحر السنة نظراً واستدلالاً ، وأمن في كتبها بحثاً واستقراء ، فعاد كليل البصر ، قليل الظفر بمطالوبه ، وهذا الكتاب هو عمدة المتأخرين من أهل اليمن فيما يحكونه من المذاهب - خصوصاً مذهب أهل البيت - كالسيد محمد بن اسماعيل الأمير صاحب سبل السلام ، والشوكاني صاحب نيل الأوطار ، وغيرهما .

وجملة القول : ان هذا البحر الزخار دائرة معارف فقهية إسلامية ، كلفني للموفق القلمي ، مع الشرح الكبير ، واللمحلي لابن حزم وغيرهما من الأمامات التي لم تقيد بمذهب واحد ، ومن هذه المراجع الكبرى تبين صمة الفقه الإسلامي ، وأن اختلاف علمائنا رحمة ، والأخذ من متنوع مذاهبيهم نعمة ، وإنما يختار منها في كل عصر ما كانت أقوى دليلاً ، وأكثر مناسبة لحاجة العصر ، وطبيعة الأمة . وإنك لتجد في الأحاديث الواردة في إقطاع الأراضي ، واستئثاره دفائنها ، واستخراج ركازها ومعادنها ، ما يدل دلالة واضحة على أن ما يقوم به علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا Geologie) وعلماء الآثار والمعاديات من الحفر والتنقيب عن المعادن في بطن الأرض والجبال والتلال ، هو داخل في عموم

م (٩)

ما أرشد الإسلام إليه ، وحث أهله عليه ، ومثله ما ورد في إحياء موات الأرض (من أحياء أرضاً ميتة فهي له) رواه أحمد والترمذي وصححه ، فإنشاء المزارع والمصانع ، وبناء المستشفيات والمدارس ، وتشبيد القلاع والحصون ، هو من باب : إحياء الأرض ، وأما ما يستخرج من البحار كالجواهر واليواقيت واللؤلؤ والمرجان ، فتراه وترى معه ما تقدم من الأحاديث وأقوال العلماء ، في الفصول التي عقدها (البحر الزخار) في المعادن ، والر كاز ، والكنوز ، وغنائم البحر (٢/٣٠٨ - ٢١٨) وفي كتاب السبق والرمي (ج ٥ / ١٠١) الترغيب في السبق بالخلف أو الخافر (الأبل والخيول) وانزمي بالنصل (السهام) أما فقهاء عصرنا فيجب أن يستمدوا من قوى هذا الزمن وحقايقه وعلومه وممارفه ، وأن يدعوا إلى السبق مثلاً بصنع السيارات والمصنعات والمدركات والقواصات والمناطيد والطائرات ، وإلى الرمي بالقنابل والقذائف ، وصائر ما أعدت من وسائل الكفاح عملاً بالآية الكريمة «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وبآية «وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه» واستنباطاً من هذه الأحاديث الشريفة ، واهتداءً بهدي السلف الصالح ، ومجارة للأمم الحديثة .

وقد أحسن الأمير الجليل سيف الإسلام عبد الله كل الإحسان ، فأهدى الكتاب إلى والده الإمام الذي كان الباعث على طبعه ، الحريص على نشره ، جزاء الله خير الجزاء .

ومن سهو القلم أو غلط الطبع جاء لفظ : حليها وعورها ، مكان جلستها وعورتها (بتقديم السين في الأولى على الياء وبالعين المعجمة في الثانية لا بالعين المهملة) .

وعزاه (في ٢/٣٠٩) من «البحر» إلى صنن أبي داود ، قلت : والحديث بروايته في (ج ٣ / ١٣٨ و ١٣٩) من عون المعبود شرح صنن أبي داود طبع

الهند ، وفي (ج ٣ / ٤١) من معالم السنن للخطابي طبع حلب ، ففيها أن الرسول (ﷺ) أقطع بلال بن الحارث معادن التبتلية جلسيها وغوريها ، وفي رواية « جالسيًا وغورها » وهو ما ارتفع من الأرض وما انخفض منها ، يريد أنه أقطعه وهادها ورباها ، والقبيلة ناحية من ساحل البحر ، بينها وبين المدينة خمسة أيام .

هذا والمجمع العلي يهدي إلى من تفضل بالاهداء ، أعطر الشكر والثناء .

فتح الغفار ، المشتمل على أحكام سنة نبينا المختار

للقاضي العلامة شرف الدين الحسن بن أحمد الرُّباعي اليمني المتوفى سنة (١٢٧٦)

أمر بطبعه الإمام احمد بن يحيى حميد الدين ملك المملكة المتوكلية اليمنية

أشرف على تصحيحه عند الطبع القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني ،
مندوب وزارة المعارف اليمنية

إن كتب السنة الصحيحة ليست إلا مفسرة للقرآن الكريم ، مبينة له ، فهي تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ، وهل يستطيع مسلم أن يفهم أركان الإسلام البدنية أو المالية كالصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه الصحيح من دون أن يدرس سنة الرسول (ﷺ) في العبادة وسيرته العملية ؟ وهذا هو موضوع هذا الجزء الأول من كتاب (فتح الغفار) الذي بلغ ستائة وستين صفحة بفهرسه المفصل ، وهو من أجمع الكتب وأنفعها في أبواب العبادات ؛ وقد استمد المؤلف هذه الأحاديث في الأحكام من كتاب (منتقى الأخبار) للإمام محمد الدين أبي البركات عبد السلام بن نبيبة الحراني المتوفى (سنة ٦٥٢) وهو جد شيخ الإسلام أحمد بن نبيمة (م ٥٢٨ هـ) وجعل كتاب (المنتقى) أصلاً لكتابه (الفتح) . ولكنه زاد عليه الشيء الكثير من أخبار الأحكام ،

وضم إليه الجَمَّ الفقير من جامع الأصول ، وبلوغ المرام ، وجمع الزوائد ، والترغيب والترهيب ، ومن الجامع الصغير ، وجامع المسانيد ، والمستدرک للحاکم ، وتلخيص الحافظ ابن حجر ، وفتح الباري وغيرها . وقد طبعت هذه الأصول الجوامع في الأمصار الإسلامية ، وهي مشهورة متداولة ، يقرؤها محبو السنة ويتدارسونها رواية ودراسة .

ومن مزايا هذا الكتاب الجامع أنه نسب كل حديث إلى أصله المنقول عنه ، وأنبه بما عليه من الكلام من تصحيح وتحسين ، أو تضعيف وتوهين ، وعزا كل قول إلى قائله ؛ وفسر ما تضمنته الأحاديث من غريب اللغة ، وضبط بعض أسماء الرجال ، أخذاً من شروح الحديث ، وغريب جامع الأصول ، ومختصر نهابة ابن الأثير ، وصحاح الجوهرى ، والقاموس ، وجمع البحار وغيرها . والمؤلف من أجلة تلاميذ الإمام محمد بن علي الشوكاني مجدد السنة في القرن الثاني عشر .

ولا يستكثر هذا الجزء الضخم على العبادات فقد أورد ما ورد فيها من الأحاديث وذكر مخزجها من الكتب الستة وغيرها ، وهذه العبادات عدا ما ورد فيها من الترغيب والترهيب ، فيها مصالح قومية ومنافع اجتماعية ، (فالصلاة) الروحية البدنية التي هي فرض عام على كل مكلف تنهى عن الفحشاء والمنكر (ما يفعل سرّاً وعلانية) وأشد الفواحش والمنكرات فتكاً وهتكاً هي تلك الجيوش المنضوية التي غزت بلاد الشرق وهن المسكر والميسر والخنا والربا والانتحار ، فكثير من المستهترين وقع في هذا التيار الذي أسلمه إلى الجنون أو المنون ، فكان ذلك من أشد المصائب القومية . (والصيام) الذي يدعو إلى إمساك المعدة عن الطعام ، وضائر الأعضاء عن الآثام ، وصرف جميع القوى والمواهب فيما خلقت له ، يعلم الثبات على خلق قويم لا يعبد غيره . (والزكاة) إعطاء

نصيب من المال للفقراء والمساكين وباقي الأصناف الثمانية ، دون الكسالى
والمسولين ؛ فاذا حرمتنا الفقراء الأقبوية ، واضطررناهم الى العمل ، كثرت
الأبدي العاملة في الصناعة والزراعة والتجارة وهي مواد الثروة الأصلية ، وحفظت
الزكوات والمعونات لمستحقها ، تنفق على إطعامهم وإيوائهم وتعليم بناتهم وأبنائهم .
و (الحج) أكبر مؤتمر إسلامي حر يبحث في شؤون المسلمين ومصالحهم ،
ويوازن بين ماضيهم وحاضرهم ، ويدافع عن حقوقهم وحررياتهم ، ويؤلف بين
شعوبهم وقبائلهم ، فيصبحون بنعمة الله إخوانا .

ومن أفضل خصائص هذا الكتاب أن المؤلف لما رأى ما وقع من الخلاف
بين الأئمة ، وأخذ كل طائفة بجانب من السنة ، جمع أحاديث الأحكام
القاطمة للخلاف ، والداعية الى الائتلاف ، فأحسن بذلك كل الإحسان .
فندعو الأمة الى العمل بما اتفق عليه الأئمة ، والى ترك الخلاف جانبا ،
فان الوقت والسر يضيقان عن استيعابه .

وقد وقع في هذا الجزء هنات مطبعية لم ننقصها لتدريتها ، فمنها في
(ص ٥ ص ٢) وتهوين ، صوابها : وتهوين . ومنها (ص ٤٣ ص ١٨)
الجند ، صوابها : الجنة .

جزى الله المؤلف ، والآمر بالطبع ، والمشرع على التصحيح خير الجزاء ،
وإنا لبقية أجزاء الكتاب لمنتظرون .

محمد بهجة البيطار

نظرة في أعماق الإنسان

(الجزء الأول)

للدكتور محمد صبحي أبو غنيمه

قل من العلماء الأدباء في بلادنا العربية من يقدم على التأليف والفسر في الموضوعات العلمية لكساد سوق هذه البضاعة بين القراء ورغبة صواد الناس في مطالعة ما عداها من كتب والاكتفاء في الغالب بقراءة المجلات والصحف التي تمنى بما يروي غليل جمهرة القراء ويسرّي عن أنفسهم ، أما الخوض في البحوث العلمية المحضة فليس لها غير المضطر إما في إبان سني الدراسة وإما في ما يليها من متابعة في بعض الأحيان .

وموضوع تعريفني في هذا الباب يتناول كتاباً ولا كالكتب التي جرت العادة على التعريف بها ، إذ ليس من يقع بين يديه من عامة الناس (ولا أستثنى إلا بعض خاصتهم) إلا الاكتفاء بتقليب صفحاته والتحديث في عناوين بحوثه الجذابة متجاوزاً عن الاسترسال في قراءة ما يجوبه من آراء تسحو على مستوى فهمه وإدراكه ، بالرغم عن البساطة البالغة التي صيغت بها لغة الكتاب وما بذله المؤلف من جهد لتذليل العقبات في سبيل حرك موضوعاته ليستضيفها غير الأطباء ، وجعلها في متناول الكثيرين ، إلا بعض الشذرات الأديبة والشعرية التي تخللتها فكانت بمثابة الأفاويه والمشهيات التي تضاف الى الطعام لا من أجل تحسين طعمه فحسب بل لكي تزيد من الشهوة اليه أيضاً . وذلك لأن ما حواه الكتاب قد صهر في بودقة واحدة الطب وعلوم الأحياء والفلسفة صهراً كان نتاجه ما يستغلق فهمه إلا على الراغبين في تلك العلوم .

وطبيعي أن لا يخوض غمار هذا النوع الخاص من التأليف إلا ذو بسطة في

علوم الطب والأحياء والفلسفة والأدب ، وهذا لصر الحق ما تحلى به زميلنا
 الفاضل الدكتور محمد صبحي أبو غنيمه مؤلف (نظرة في أعماق الإنسان) .
 وإني لأكبر عمله هذا أعظم الأكرام لتجسسه الكثير من الصواب في سبيل
 تأليف هذا الكتاب الذي يعد حقاً نسيجاً وحده ، وقد خلت من أمثاله المكتبات
 العربية ونصب معين مصادر ما كان على شاكته من المؤلفات ، بين أبناء لغة
 الضاد . وعلى ذلك رأينا المؤلف الفاضل مضطراً في جمع شتات مباحثه الى أن
 يولي وجهه شطر المؤلفات الأجنبية وقد أرى عددها على المائة والعشرين معظمها
 من الألمانية وبعضها من الانكليزية والفرنسية في جانب التزر اليسير من المراجع
 العربية ، فضلاً عما دعتهم ذاكرته من آراء ومساجلات لأساتيده في جامعة برلين
 إبان دراسته الطب فيها . والى جانب هذا الجهد الأدبي الذي لا يقوّم ،
 فقد بذل الزميل جهداً آخر مادياً ليس بالقليل للإلباس مؤلفه ما يستحقه من حلة
 قشبية بدا فيها بجودة طبعه وكثرة الأشكال والرواسم التي زين بها ناهيك
 بحسن تبويب بحوثه وتنسيقها وعنايته البادية في اللغة العربية وانتقاء الألفاظ
 والمصطلحات فيها .

وعندما طلب إلي أن أعرف بهذا الكتاب خلتني في بادئ الأمر أسنطيع
 أن أفيه حقه من التعريف بأهون سبيل ، بأن أكتفي بتصفحه وسرد ما فيه من
 عناوين ، وما إن حادت ذلك حتى رأيتني ملزماً بقراءة الكتاب لا قراءة
 معرفّ وناقداً بل قراءة مستطلع ومستلم ومستزيد من ألفه إلى يائه حينما أجد
 الى ذلك سبيلاً ، مما أدى الى التأخر في التعريف في الوقت المضروب تحت
 المهدرة وأفدت من مطالعة الكتاب فتمت الفائدة .

يقدم المؤلف كتابه بقوله (يحاول أن يستعرض أمامك قصة الإنسان ،
 وقصة الإنسان كانت ولم تنزل ومتظل أعجب وأغرب قصة في هذا الوجود)

ويقتنع بحوث الكتاب بسرد مشاكل الطب في العصر الحاضر ، وإخفاق العلاج في كثير من الأدوية سارداً أقوال أساطين الطب المعاصرين في ما لا يزال إدراك حقيقته من العلال مستغلقاً ، باحثاً بحثاً مستفيضاً في خوارق الطب وأعاجيبه التي يصعب تعليلها تعليلاً عالياً مقنعاً مولياً وجهه شطر أثر العوامل النفسية في الأمراض والشفاء ثم البحث في أسباب الأمراض من داخلية وخارجية ، واضطراب تطور مواد الغذاء الرئيسية (الأحيات وماءات الكربون والأدهان وأشباهاها والمعدنيات) وبلي ذلك البحث في النفس وما قيل عنها في القديم وما يقال في العصر الحالي مع البحث المدقق في آلية ظهور الأمراض والعلل ، والتحقق في جهاز الإثارة أو جهاز الطاقة الحياتية وقبول الإثارة وتطوراتها وأهدافها ثم المنبوزة (النوم المحلوب) منتهياً الى ذكر النكتة وعملها الطبي . ويختتم المؤلف هذا الجزء الأول من هذه التحفة الفريدة بحكمة يقول فيها :
بهذه النظرة أردت أن أوذي قسطاً من واجبي العلمي والإنساني فأنتقل إلى قراء العربية أقوال العلماء المجددين في الطب عما يرونه في أعماق الإنسان من غرائب و « الفكر » التي تحظر لهم فيها كما سجلت ما أوحته هذه الفكر من مفاهيم تصح في رأبي أن نتخذ كقواعد علمية فتعرف بها أسرار تلك الغرائب في أعماق الانسان . أما أقوال العلماء فقد أشرت الى مصادرها بالتفصيل وأما ما أستوحى منها فمعروض للبحث والتحجيص ورحم الله امرءاً أهدي إلي عيوبي . ومن الحق أن أؤكد بأن كل ما جاء في هذه النظرة سيظل جزءاً صغيراً من الكون الذي هو الانسان وبكفني وبكفي القارئ في مثل هذه الحالة أن تمثل بصادق قول حكيمنا العربي :

دواؤك فيك وما تبصر ودواؤك منك وما تشر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

هذا ولا بد من الاشارة الى لفة الكتاب التي قلت عنها في مطلع هذه الكلمة إنها سهلة وهي صحيحة درج المؤلف في اختيار المصطلحات والألفاظ على ما هو مألوف في كلية الطب من جامعة دمشق ، وجنح في بعضها الى التعريب ولكن عن طريق اللفظ في الألمانية حيث بغلب التعقيد والخروج عما هو شائع في اللغات الأجنبية الأخرى بينما المستحسن في هذا المضمار اختيار اللفظ الأهلون من إحدى اللغات ، كما ان بعض الألفاظ جاءت غير موحدة في بحوث الكتاب فتراه يستعمل تارة الرئية وأخرى الروماتيزما وروماتيزما عن الة الواحدة مما يوجب الالتباس على القارىء ، وكذلك لفظة انتتاني فجاءت في بعض المواضع (الكزاز) وأخرى التكرز وترجم كلمة (Stress) تارة بجادث نسبي وأخرى بانفعال وقد جاءت هذه الكلمة بـ (Effect) في موضع آخر ، وذكر الأزمة الصدرية (وقد يكون لهذه الكلمة دلالة خاصة في اللغة) عن الحالة المعروفة بالربو ، واستعمل الصرعة عوضاً عن الصرع ، وغير ذلك من الهنات الطفيفة التي لا تؤثر في جوهر الكتاب مع الأمل أن تصحح في طبعة ثانية .

وصفوة القول اني أهني الزميل الكريم على هذه التحفة الفريدة التي أتخف بها المكتبة العربية مع التطلع الى صدور الجزء الثاني لنتم الفائدة .

الدكتور حسني صبح

أعلام

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

تأليف : خير الدين الزركي

وهو في تسعة أجزاء ومستدرك يشتمل كل مجلد على نحو (٣٨٠) صفحة من القطع

الوسط . طبع الجزء الأول في مطبعة كوستانسو ماس وشركاه بالقاهرة

سنة ١٩٥٤ وانتهى الجزء العاشر عام ١٩٥٩

أدت الطبعة الأولى من قاموس (الأعلام) التي صدرت بأجزائها الثلاثة قبل نيف وثلاثين سنة خدمات جليلة للباحثين والمطالعين ، وأجمع الماملون على أنه قد ملأ يومئذ فراغاً كبيراً وتقصاً شديداً في المكتبة العربية التي هي بحاجة الى مجسم في سير الأفراد سهل المنال . وقد استقبلته الأوساط العلمية بالهفة ، وهالت له ، وقرضته بما يستحقه الكتاب ومؤلفه الأستاذ الزركي من تقدير وإعجاب . ولو كان غير الأستاذ الزركي لارتضى بما أحرزه من شهرة علمية ، ولطلب الراحة بعد العناء ، وقنع بالقدر الذي أداه لأتمته ، وكفى نفسه نصب البحث والاستقراء ، وانصرف الى عالم الخيال ، ميدانه المفضل ، ميدان النظم والقريض ، وهو من فرسانه المجالين . ولكن أبت عليه همته إلا أن يتم شوطه ، وبدرك غايته ، فأضاف الى حسنته الأولى ماثرة جديدة خالدة ، يقصر عنها كل ثناء . فقد عاهد نفسه منذ أن اطلع على عورات طبعة الأعلام الأولى ونواقصها على أن يصلحها في طبعة ثانية ، وها هو يفي بعهده ويخرج لدنيا العرب الطبعة الثانية من قاموسه (الأعلام) ، وهي بالتحقيقة تأليف جديد ، ارتقى من ثلاثة مجلدات الى عشرة مجلدات .

ومثل هذا السفر لا يحتاج الى تعريف وتقريظ ، فقد سبقته في الطبعة الأولى

شهرته وعمت فائدته .

وأبرز ما في الطبعة الجديدة غزارة المادة ووفرة مصادرها ورسوم الرجالات وخطوط المؤلفين ، فالكتاب من المصادر الخالدة التي كتب لها أن لا تبلى مع الزمن ، ودعامة راسخة في بنيان تاريخ العرب ، لا رملة ولا حصاة كما نعته مؤلفه حفظه الله وأمد بحياته .

الوطن العربي
الاتجاه السيامي والملاخ الاقتصادية
تأليف الدكتور عنزة النص

عدد صفحاته (٢٩٦) صفحة من قطع الوسط ، نشرته دار اليقظة العربية لتأليف والترجمة والنشر بسورية ، وطبعته في مطبعة الجمهورية بدمشق عام ١٩٥٩

صدر حديثاً هذا الكتاب ، في أيام تتأجج في صدور العرب جذوة القومية العربية ، وتثور دنيا العرب انصرتها وبعثها . قدم فيه مؤلفه الدكتور عنزة النص للمكتبة العربية مادة دسمة عن أقطار شقيقة ، يجهل أخبارها عامتنا ، ولا تلم الخاصة إلا بالنذر البسير من أوضاعها . مع أنه لا تتم الألفة والمودة بين الأفراد ، ولا يجتمع شمل ذوي القربى والأخوة ، إلا بالتمارف واللقاء ، وما ينطبق حكمه على الأفراد في بلد واحد ، يشمل أيضاً الجماعات في أقطار متعددة ، وإن اختلفت وسائلها . إن الفرد يملك أسبابها وهي طوع ارادته ، ولكنها تتمرد على الجماعات ولا بد لها من وسيط بينها يهديها السبيل ، إن الكتاب في هذه الحالة هو أفضل أداة للتمارف ، وله أبلغ الأثر في محادثة الجماهير ، وسيكون لهذا الكتاب رسالته ، وأثره الطيب في هذا التوجيه ، وهو خير وسيط . وقد أصاب المؤلف هدف غايته ، وأحسن فيه بسط قصة الأقطار العربية ، وسرد موجز تاريخها ، وعرض قضاياها السياسية والاقتصادية عرضاً موفقاً ، تلقفها من أصدق المصادر ، ليقدمها للقارئ العربي جرعة سائفة بأمل أن تثير في نفسه نشوة ذكريات تالدة ، وتوقظ فيه عواطف حنانه الراقدة ، فيصبو الى يوم التداخي ، وحث الخطي لجمع شمل أبناء الأمة الواحدة .

وحيثما لو ضمن الدكتور كتابه هذا بحثاً عن جمهوريتنا العربية المتحدة ينتفع به بقية الأقطار العربية إنه لو فعل ذلك لثم البحث وانظم العقد .

نشكر للمؤلف جهده ونكبر فيه عمله ودقة بحثه ، ونرجو لهذه الدراسات النتائج المتوخاة من نشرها ، وأن تقرب يوم جمع شمل العرب بما يعيد اليهم عهدهم الزاهر ويحيي مجدهم الباهر .

العرب والإسلام

في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط

تأليف الدكتور عمر فروخ

في (٢٠٦) صفحة من قطع الوسط ، نشره المكتب التجاروي

ورطبه بمطبعة دار الكتب بيروت سنة ١٩٥٩

ينجلي الوعي القومي عند الأمم في مبلغ إنتاجها الثقافي والمادي ، فها مقياس نهضتها وصلاحها وعيها ، وتبشر في البلاد العربية هاتان الناحيتان بمستقبل زاهر ، يملج الصدور ، وتطمئن له القلوب ، فقد تجارت النهضتان في سيرهما قدماً ، دون أن تطفئ الواحدة على الأخرى ، بما جعلنا نؤمن أن وعينا القومي أصبح حقيقة ملموسة ، وأنه سالك السبيل القويم ، على أسس راسخة قوية ، وإن عربي اليوم يتطلع الى مستقبله مستلهماً ماضيه في بناء حاضره ، وما أكثر الشواهد على صحة قولنا ، فإنه في كل يوم يظهر كتاب مفيد ونسجع مباشرة مشاريع اقتصادية وتطورات اجتماعية ، وما هذا الكتاب الا من هذه الشواهد .

وقد شاء زميلنا الدكتور المؤلف أن يوصل في كتابه ما انقسم بين السلف والخلف ، مذكراً بني قومه بأبجاءهم الفائرة ، وما حققوه من إبداع في بناء الحضارة الإنسانية ، لعلهم يدركون ما فات ويلحقون بركب هذا العصر الذي تخلفوا عنه ، أو كما قال في مقدمة كتابه : «وتظل الأمة حية ما دام أبناؤها يشمرون أنهم متصلون بأصلافهم اتصالاً واضحاً ، وما داموا يؤدون رسالة أممتهم تأدية توافق حاجاتهم المتطورة مع الزمن ، وتحفظ عليهم مثلهم العليا صليحة بارزة ويجعل من تراثهم الروحي نطقاً يحمي وحدتهم ويسدد خطواتهم » ، ويحذرهم من مغبة التهاون خوفاً عليهم من : « أن ينتهي بهم الأمر إلى أن يذوبوا في من حولهم ، فنقرض دولتهم ، وتزول حضارتهم ، ويخاو موكب التاريخ من أممتهم ، ومن اسم أممتهم . »

وبدل على موضوع الكتاب عنوانه ، فقد بحث فيه المؤلف فتوحات العرب

والإسلام في القرن الأول من الهجرة ونصف الثاني لبلاد المغرب والأندلس ، وزحف جيوشهم إلى أواسط حتى بلغوا أبواب مدينتي ليون وباريس ، نخلد المؤلف فيه أروع صفحات التاريخ العربي ، ويخص للقارئ في مجلد واحد ما جمته المجلدات عن هذه المعجزات .

وأستبجح الزميل الكريم الاذن بابداء ملاحظات بسيطة على ما جاء في الصفحة (١٢) عند قوله : (جاء الأتراك العثمانيون الى الشرق الأدنى في القرن الرابع هـ .) صوابه حذف كلمة (العثمانيون) لأن نسبة الأتراك لبني عثمان بدأت في القرن الثامن من الهجرة . وجاء في الصفحة (٢٣) : « ومن أعجب الآثار بها الصنم المنسوب الى هذه الجزيرة » وقد علق المؤلف في الحاشية : « ويقصد جزيرة الأندلس » والأصح انه قصد جزيرة رودس التي اشتهرت بصنمها أحد عجائب الدنيا السبع ، وورد خطأً في ص (١١٠) عام ٨١٢ و صوابه ٧١٨ .
فنشكر للدكتور المؤلف جهده وحسن صنيعه ، ونرجو له دوام التوفيق في

خدمة الثقافة العربية .

جعفر الحسي

ديوان ابن الخياط

« من مطبوعات المجمع العلمي العربي وتحقيق رئيسه

العلامة خليل مردم بك »

صنّف رئيس المجمع الجليل مجموعة من سير الأديباء ، وحقّق طائفة من دواوين شعراء الشام المشاهير ؛ عدّد عن آثاره الأدبية ، ومقالاته القيمة ، ودراساته المهمة ، وتنمحاته الفاضلة .

وقد أخرج في هذا الصيف رابع تلكم المجموعة النفيسة وهي ديوان ابن الخياط أبي عبد الله ، أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي ، الشاعر ، المتوفى سنة ٥١٧ هـ .

وقد قدّم بين يدي الديوان تصديراً فائراً قوامه ٤٨ صفحة ، استودعه دراسة

عصر الشاعر وترجمته ، وفصل القول في أسرته وسيرته وعلمه وأدبه وأخلاقه وصفته .
ثم ألحق بها دراسة انتقادية ثمينة لشعره ، أحاطت بأطراف النقد ، واستوعبت
أنواع الدقة ، وجمت فنون التحقيق .

وقد اتخذ في تلك الدراسة الرائعة نهجاً محكماً ، أرجو أن يوفق الأدباء
إلى سلوك جَدِّه ، واتباع سنَّه ، والافتداء بهداه . ولعلَّ مباحثه المتممة في
شعره (ص ٢٢ - ٣٠) ^(١) من أحسن فصول النقد في تاريخ الأدب العربية
اليوم ، بله فصل لفته (ص ٣١ - ٣٩) ^(٢) ، فإنه دراسة لغوية سديدة ،
ومبحث اشتقائي أصيل ، ومادة علمية مذكورة ، يمتاز بها مؤرخو اللغة ، وكتاب
المعجم العربي التاريخي ^(٣) .

والديوان ١٥٢ قصيدة ومقطعة ؛ عدتها ٣٣٠٠ بيت . وقد عارضه بثاني
نسخ خطية عتيقة (زد عليها طبعة النجف) وفسَّر ألفاظه ، وترجم أعلامه ؛
معمداً على ٣٨ مرجعاً ؛ من أصول التاريخ والأدب واللغة الخطية والمطبوعة .
وذبله بأربعة فهارس : للمراجع والأعلام والبلدان والامكنة والقوافي .
أهنيء الأدب العربي بهذه الطبعة الجديدة ، وذياك الجهود المنفيس ، وأبارك
للمجمع العلمي العربي في آثاره الباقية ، ورئيسه العلامة المحقق .

الدكتور حسين علي محفوظ

(١) درس فيها خصائص شعره ، وأثر أبي تمام والبحتري والمثنوي وابن حبان فيه .
وذكر قوة طبعه ، وكثرة ارتجاله ، وعذوبة ألفاظه ، وصحة معانيه ، مع الإشارة
إلى فنون شعره ، وأنه أول من قال الشعر في الحروب الصليبية ، ثم وازن
بينه وبين شعراء عصره ، وعيَّن منزلته منهم .

(٢) درس فيها الألفاظ التي أغري الشاعر باستعمالها ، وبيَّن أخذها بالرخس ، وتساهنه
في تعدي الحدود اللغوية ، ونحوه في الاشتقاق ، وصوغ المشتقات ، والترصع
في القياس . وقد حاسب الشاعر في مواطن كثيرة مجال القول فيها ذر صفة .
وكل الظن أنه أراد تزيه صاحبه من كل ما يخالف المعروف .

(٣) فقد استخرج بعض ألفاظه مثل : روض ، الهناء ، أغل / جمع أغلة ، الحراد /
جمع خريدة ، الممتدال ، الأخص ، الأقس / جمع قبص ، النضاج ، فتوك ،
سحور ، نشير / أي منشور ، عطير ، فراد ، استفرص ، استنحوص ، استرقص ،
استنزر ، استنزع ، استناد . وأشار إلى شواهد ذلك كله .

المنظمات الاقتصادية الدولية

محاضرات في ٢٠٤ صفحات ألقاها الدكتور جابر جاد عبد الرحمن على قسم من
طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة

كما لا ريب فيه أن محاضرات الدكتور جابر التي نلخص فيها المعاهدات والاتفاقات
الاقتصادية الدولية قد جاءت جامعة ومفيدة ، كيف لا وقد استعان بأكثر
من ٢٤ كتاباً قياً في هذا الموضوع لتكون مرضية .

وقد قدم الدكتور محاضراته يبحث عن التنظيم الاقتصادي ، وعمما ينبغي
أن تكون عليه حصيلة الانتاج . وأي نوع من السلع التي يجب انتاجها ،
وكيفية التوفيق بين عوامل الانتاج وعماله ، وفي توزيع السلع بين الأفراد ،
وتحديد الأثمان ، واعطاء كل شخص حاجته ، وبين أت الغريبين قد قالوا
بضرورة التنظيم الاقتصادي الدولي ، لأن القيم المشتركة التي تمتنقها الشعوب
هناك ، جعلها تقوم في ايجاد أنظمة للتعاون في العمل ، ومنظمات اقتصادية
دولية ، في شتى المجالات الاقتصادية .

وقد استعرض الدكتور في محاضراته : التعاون الدولي بين المصارف المركزية ،
وبين المنتجين وبين المستهلكين ، والاتحادات العامة الدولية ، وذلك في القرنين :
التاسع عشر والعشرين ، وبين الأعمال الضرورية عند ظهور حالة العجز في
الميزان التجاري ، ومركز انكترا المالي الدائنة آتئذ ، وأهمية البنك الاحتياطي
الأمريكي ، واتحاد النقد اللاتيني والاسكندبنافي ، وزوال ذلك الاتحاد ،
ثم بحث مؤتمر بروكسل (عام ١٩٢٠) بتأسيس البنوك المركزية وأعضائها ،
والتعاون بين المنتجين ، والترصت والكارتل التجاري ، مع العلم ان ذلك الكارتل الذي
ساهم في الاستقرار الاقتصادي ، وكان لصالح المنتجين الأمر الذي جعل التكتلات
بين المستهلكين والجمعيات التعاونية تظهر لعالم الوجود ، وذلك بين ١٨٩٥ - ١٩٤٦ .

وبين أيضاً اتحاد المواصلات الدولية ، وظهر اتفاقات تنظيم الاتحاد العام للبريد (١٨٧٥) واتحاد النقد الدولي (١٨٧٨) والنقل الجوي والسيارات والقياس المترى ، والتعريفات الدولية (١٨٩٠) .

ومما يجدر به : بنك التسويات الدولية (١٩٣٩) ومشروع كينز ، وغرفة التجارة الدولية (١٩٣٠) والتدخل الحكومي في الحقل الاقتصادي فيما بين الحربين العالميتين ، والمقاصة الدولية .

وبحث أيضاً مشروع هابت (١٩٤٣ / ٤ / ٥) بإنشاء صندوق نقد دولي لتثبيت النقد العالمي وهذا الصندوق كان ضرورياً ولا ريب ، رغم أنه ترك الحربة للدول بتحديد أسعار تقدها .

وبحث اتفاقية بريتون وودز (١٩٤٤) التي تقول بإيجاد صندوق دولي برأسمال ٨ و٨ مليارات دولار على أن تدفع كل دولة حصتها ، وما هي أهداف الصندوق .

وبحث مشروع بنك الانشاء والتعمير الذي بدأ أعماله عام ١٩٤٦ برأسمال ١٠ مليارات دولار دفعتها الدول المشتركة فيه ، بنسبة قوتها ، وأوضح أهداف ذلك البنك ، ولكن الدكتور المحاضر لم يبين أن هذا البنك الذي صام فيه جل البلاد العربية ، من هي الدول التي استفادت منه ، وما هي حصة الدول العربية منه ؟ ان هذا البنك قد أقرض حتى اليوم ٣ و٤٠٠ مليون دولار ، لم ينل منها من الحكومات العربية سوى العراق إذ اقترض ستة ملايين و ٢٩٤ ألف دولار ، ولبنان الذي اقترض ٢٧ مليون دولار ، وهذا دليل كبير على أن هذا البنك كان مسيراً من قبل الدول الكبيرة الاستعمارية ، لذلك لم يكن لصالح العرب .

وبحث أيضاً ميثاق هافانا (١٩٤٨) وأغراضه في تنظيم التجارة ، والاتفاق على التعريفات (وكانت حكومتا سورية ولبنان من الأعضاء ، ثم انسجبتا منه (١٩٥١) ان هذا الاتفاق لم يحقق للجماعة الدولية ما ترجوه من المثل العليا .

وبحث مشروع مارشال الذي وضعه وزير الخارجية الأمريكية الجنرال مارشال في خطابه يوم ١٩٤٧ / ٦ / ٥ للانماض الأوروبي .

وبحث مشروع شومان وزير خارجية فرنسا، الذي ظهر في معاهدة ١٩ / ٣ / ١٩٥١ والذي يهدف إلى إيجاد سوق واحدة للحديد والصلب والنفط؛ ومشروع المجلس الأوروبي الذي وقع عليه في أيار سنة ١٩٤٩، كما بحث المجلس الاقتصادي والاجتماعي (من قبل الأمم المتحدة) ومنظمة الأمم المتحدة للغذاء والزراعة، ومنظمة الطيران المدني الدولية، والمنظمة البحرية، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة الأمم المتحدة للتعليم والثقافة (اليونسكو).

وقد وفق الدكتور في عرضه لتلك الاتفاقات والمعاهدات، التي ينبغي للمرء الاطلاع عليها، لأنها جديرة بذلك، بيد أنني كنت أتمنى من حضرة الدكتور المحاضر، أن يبين رأيه بوضوح عن الغاية من تلك الاتفاقات والمعاهدات الغربية، لأن جلها كان لمصلحة الدول الكبيرة، وخاصة الولايات المتحدة التي تريد تقوية اقتصادياتها، وإيجاد عمال وأصدقاء وأسواق لها في العالم، ومقاومة الشيوعية كي تبعد عن العالم الأوروبي والآسيوي، وكان معظم هذه الاتفاقات يرمي إلى تقوية المستعمر، دون النظر إلى الحكومات والشعوب الضعيفة، والأمة العربية، حتى أن منظمة الأمم المتحدة (اليونسكو) التي من أهدافها احترام العدل والقانون وحقوق الأفراد والحريات الأساسية، كانت رأيت ولا تزال ترى بعض الحكومات الغربية تتهاجم أقطاراً من البلاد العربية، وتدفع بعض أفراد في البلاد العربية للبحث بحقوق وحريات الأمة العربية، وبليلة السياسة الوطنية هناك، كما أن منظمة الصحة العالمية، لم تعمل عملاً يذكر لحماية الأمة العربية من نكبات الأمراض والأوبئة السارية، التي حملها الحكم الشعبي والغربي الاستعماري إلى بلادها. وكما كان جميلاً لو أن الدكتور المحاضر نوه في ختام محاضراته عن ضرورة تعاون الحكومات العربية اقتصادياً وسياسياً، بعد أن استعرض تلك الاتفاقات الدولية التي ولدت السوق الأوروبية الاقتصادية تلك السوق التي هي ضربة على اقتصاديات وسياسة العرب، على أن ذلك لا ينقص من قيمة محاضراته الهامة وجهوده في وضعها.

منير الشريف

www.alukah.net

آراء وأنباء



المرحوم الدكتور منصور فهمي

(١٨٨٦ - ١٩٥٩)

وفاة الدكتور منصور فهمي

في السادس والعشرين من آذار «مارس» سنة ١٩٥٩ فقدت مصر ، بل فقد الوطن العربي ، غلياً من أعلام الفكر ، ورائداً من رواد النهضة الحديثة ، وهو الدكتور منصور فهمي . لقد كان رحمه الله فيلسوفاً عميق التفكير ، وأديباً مرهف الحس والشعور ، وباحثاً واسع الاطلاع على تراث السلف الأدبي والفلسفي ، وعلى وسائل النهضة الأوربية الحديثة ، وداعياً من دعاة الإيمان بالله ، وحب الوطن ، وطلب العلم ، والإصلاح الاجتماعي ، والتحلي بالأخلاق الفاضلة . ولا يجهل أحد من أدباء الجيل الحاضر تلك الشخصية الفذة التي مثلت أجمل تمثيل جانب النبل والبر والصلاح والخير في جيلها .

كان الفقيه ينسب الى آل البقلي وهي أسرة مصرية قديمة تنتمي الى أسرة نصر الدين بأسيوط . والمعروف أن أصولها مغربية من تلمسان والساقية الحمراء ، ووالد الفقيه علي فهمي البقلي ، وجدده عبد العال فهمي البقلي .

ولد الفقيه سنة ١٨٨٦ م في بلدة طلخا التابعة لمديرية المنصورة من أعمال مصر ، ودرس الدراسة الثانوية في المنصورة وفي مدرسة فرنسية في القاهرة . وفي سنة ١٩٠٦ حصل على شهادة الدراسة الثانوية ودخل مدرسة الحقوق في مصر . وعندما أنشئت الجامعة المصرية الأهلية أوفدته سنة ١٩٠٨ ، هو ورفاقاً له ، في أول بعثة مدرسية الى فرنسا ، ليتلقوا دروساً عالية في مختلف العلوم ، وليكونوا مدرسين في الجامعة بعد عودتهم الى وطنهم .

وكان نصيب الفقيه الفلسفة فانكب على دراستها . ولم يكف بها ، بل درس أيضاً علوم الفسيولوجية والأجنّة والجغرافية الطبيعية ، فحصل في سنة ١٩١٣ من جامعة باريس على الليسانس في العلوم ، فضلاً عن الدكتوراه في الفلسفة .

ومنذ ذلك الزمن برز ميله الى الإصلاح الاجتماعي في وطنه ، فكان موضوع رسالته الفرنسية للحصول على لقب دكتور في الفلسفة « المرأة في تاريخ الإسلام » . وقد اشتملت عليه الرسالة تطرفاً في الرأي في تلك الأيام ، فحيل بينه وبين التدريس في الجامعة مدة من الزمن .

ولكن سرعان ما تحيلت مزاياه وآراؤه الإصلاحية النيرة في مقالاته الأدبية والاجتماعية التي كان ينشرها في الصحف ، فدُعي الى التدريس في مدرسة المعلمين العليا ، ثم عُين سنة ١٩٢٧ أستاذاً للفلسفة في كلية الآداب بالجامعة . وتدرج من الأستاذية فكان وكيلاً للكلية سنة ١٩٣٣ ، ثم كان عميداً لها . وفي سنة ١٩٣٦ عُين مديراً لدار الكتب المصرية . وفي أواخر سنة ١٩٤٤ كان مديراً لجامعة الإسكندرية .

أما مجمع اللغة العربية فقد عُين فيه عضواً منذ تأسيسه سنة ١٩٣٣ . ولما أُوجد في المجمع المذكور منصب كاتب السر « الأمين العام » انتخبه المحجميون لهذا المنصب ، فظل يضطلع بأعماله الى حين وفاته ، وكما انتهت مدة عمله فيه جددوا انتخابه مرة بعد مرة .

ولم يؤلف الفقيه كثيراً من الكتب . ولكن سيرته في الإصلاح طيلة حياته كانت كلها صفراً كبيراً . ولو جمعت مقالاته في مختلف الجرائد والمجلات العربية ، وخطبه في النوادي العامة ، وبجوهته التي ألقاها في مجمع اللغة العربية لتألف منها كتب ثينة .

ومما طبع له ترجمة رواية « هرمان ودوروتيا » وهي للشاعر الألماني غوته ، وبضع رسائل اجتماعية منها « الضعف الخلقي وأثره في حياتنا الاجتماعية » ، ومنها « أوقات الفراغ كيف نستثمرها » الخ .

وكتابه المطبوعان اللذان اشتهرا لدى الأدباء هما «خطرات نفس» و «مي زيادة» مع رائدات النهضة النسائية الحديثة» وهن عائشة التيمورية ووردة اليازجي وملك حفني ناصف الملقبة بباحثة البادية .

فالكتاب الأول مجموعة من المقالات في أخلاقنا ، وتأملات في نواحي حياتنا الاجتماعية . وقد تميز فيها الفقيد بسلاسة التعبير ، ودقة التصوير ، وضبط دلالة الألفاظ على معانيها ، وتر كيز تلك المعاني ، وبذلك عُمد في جملة الرواد من الكتاب الذين أحلوا المقالة مكانها المرموق في عصرنا الحاضر .

أما الكتاب الثاني فما من أديب قرأه إلا وقال فيه إنه يحتوي على بيان رائع ، وتصوير جميل ، وتحليل فلسفي دقيق لحياة رائدات النهضة النسوية الحديثة ، وللمجتمع الزمن الذي عشن فيه .

وسيرة الفقيد - على ما ذكرت - هي التي كانت للجيل الحاضر أجمل كتاب . فقد قضى عمره داعياً الى الاستمسك بما عندنا من عادات وتقاليد حسنة ، وبما في الدين من وصايا خلقية ثمينة ، حتى عده بعضهم من المتزمتمين أو الجامدين ، على حين أنه لم يكن عدواً للتجديد ، بل كان عدواً لترك الصالح من مقوماتنا القومية ، ولفكرة اقتباس الصالح والطالح من المدنية الغربية من غير تمييز .

أقام فلسفته على مبدأ الخير والشر ، ونفذ الى نواحي المجتمع ، فنجلت دعوته الدينية القومية في جمعية الشبان المسلمين ، ودعوته الإنسانية في جمعية الهلال الأحمر وغيرها من الجمعيات الخيرية ؛ وبرز نشاطه الاجتماعي في جمعية الإصلاح الاجتماعي ، ونشاطه العلمي والأدبي والفلسفي في جامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية ودار الكتب المصرية ومعهد الدراسات العربية العالية . أما في مجمع اللغة العربية فأعضاء ذلك المجمع يعرفون أن الدكتور منصور فهمي ، وإن لم يكن لغويًا ، قد خلف الشيخ أحمد السكندري رحمه الله في كرهه للإكثار من تهريب

المصطلحات الأعجمية ، وأنه كان يرى عدم اللجوء الى تعريب ألفاظ المعاني خاصة إلا بعد اليأس من العثور على ألفاظ عربية تقابلها في معجمتنا القديمة وفي كتب السلف العلمية والأدبية ، أو بعد العجز التام عن إيجاد ألفاظ عربية لا بدنى ملائمة بوسائل الاشتقاق أو المحاز أو التضمين أو النحت .

ولطالما سمعته في جلسات مجلس المجمع أو مؤتمره يجادل أنصار الأثر من تعريب المصطلحات العلمية ، ويقول لهم إن اللفظ العربي له جاذبته الخاصة عند أبناء المروية لأسباب وراثية ، ولأنه يشير في نفوسهم معاني وصوراً يعجز اللفظ الأعجمي المرءب عن إثارتها .

ولا يعرف إلا قلة من أبناء الوطن العربي أن الفقيد كان يؤمن مثلنا بعقيدة القومية العربية ، وأنه من المصريين الأوائل الذين كانوا يتجاوبون هم والعالمون في شؤون تلك القومية ، فيفتحون لهم صدورهم ودورهم في الأزمات السياسية . والعرب الذين كانوا يلجأون الى مصر فراراً من ظلم الدول الاستعمارية في بلادهم كانوا يعرفون حذب الدكتور منصور فهمي على قضيتهم ، وتردده على جمعياتهم ، ومشاركته لهم في مسرائهم وفي ضرائهم .

رحم الله الفقيد وجزاء عن العرب وثقافتهم ولقبتهم وقوتهم جزاء العاملين المخلصين .

مصطفى السرابي

الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي^(١)

موضوع الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي موضوع كبير لا يمكن استيعابه في حديث واحد ، وذلك لأن الدراسات العربية تؤلف جزءاً من علم واسع معروف بعلم الاصلتشراف ؛ والشرق العربي كان منذ قرون ممتداً من البحر الأطلنطي غرباً إلى الصين شرقاً .

وإذا أردنا التحدث عن الدراسات العربية بالتفصيل كان لا بد من أن نشرح تاريخ فرع كامل من فروع العلم في بلادنا ، وأنا عاجز عن أداء هذه الوظيفة . أما نشوء الدراسات العربية بمعناها العالمي في روسيا فهو يرجع إلى بداية القرن التاسع عشر ، عندما أصبحت اللغة العربية تُدرّس في جامعات خاركوف وقازان وموسكو وبطرسبورغ . ومن أبرز العلماء الذين بدأوا الأبحاث العربية العلمية في روسيا في ذلك الحين نذكر المجعي فرين (١٧٨٢ - ١٨٥١) أستاذ اللغة العربية في جامعة قزان أولاً ، ثم بجامعة بطرسبورغ ، وهو مؤسس المتحف الآسيوي المشهور في بطرسبورغ ، حيث قام بصورة منظمة وعلى أساس علمي بدراسة المخطوطات العربية . ونذكر أيضاً الأستاذ بولدиров ، كان أستاذ اللغات الشرقية بجامعة موسكو من سنة ١٨١١ إلى سنة ١٨٤٢ . وقد أصدر بولدиров أول كتاب علمي لدراسة النحو العربي باللغة الروسية ، وأول كتاب منتخبات من الأدب العربي مصحوب بمجموع عربي روسي .

وقد كان المستشرقون ، منذ نشوء الدراسات العربية في روسيا ، لا يقتصرّون على البحث العلمي أو التعليم في الجامعات ، بل كانوا أيضاً يعملون على إطلاع

(١) حديث للمستشرق الروسي الأستاذ عبد الرحمن سلطانوف مدير القسم العربي في معهد الدراسات الشرقية في موسكو . ألقاه في جمعية تميز التبادل الثقافي بين سورية والاتحاد السوفياتي .

المجتمع الروسي على الثقافة العربية . فقد قام بولديريف وتلاميذه بترجمة بعض القصائد والأقاصيص العربية الى اللغة الروسية ، واشتهر بهذا النشاط بوجه خاص أستاذ اللغات الشرقية في « بطرسبورغ » الصحفي الروسي المعروف بوصف سينكوفسكي . وقد كان ينشر مقالات في الأدب العربي ، منها مقال رائع في الشعر الجاهلي لم يفقد قيمته العلمية حتى الآن . كما كان ينشر بعض الأقاصيص فيستقي موضوعاتها من الأقاصيص العربية .

وفي أواخر القرن التاسع عشر بلغت الدراسات العربية ، كسائر الدراسات الشرقية في روسيا ، مستوى مرتفعاً جداً . وكان يتقدم العلماء المستعربين في ذلك العهد الأستاذ غيرغاس والمجمعي روزين . أما غيرغاس فقد تخرج من جامعة « بطرسبورغ » ، وقضى ثلاث سنوات في سورية ولبنان وفلسطين ومصر . وبعد رجوعه إلى روسيا تولى تدريس اللغة العربية ، ووضع عدداً من الأبحاث العلمية ، ومعجماً عربياً روسياً ، وكتاباً في تاريخ الأدب العربي ، وكتاباً آخر في تاريخ الدراسات الخوية عند العرب . وفي هذا الكتاب انتقد غيرغاس بعض النواقص الموجودة في الطريقة المعقدة التي اتبعها العرب في شرح قواعد اللغة ، تلك النواقص التي يشكو منها اللغويون العرب الماصرون حتى اليوم ؛ وذلك إلى جانب تقدير كل ما يوجد في كتب اللغويين العرب القدماء من محاسن .

وأما المجمعي روزين فقد برّز في مضمار دراسة المخطوطات العربية . وله يد بيضاء في تربية جيل من المستشرقين وبينهم تلميذه المجمعي كراتشكوفسكي . وفي بداية القرن العشرين كانت الثقافة العربية تُدرس في عدة مراكز علمية في روسيا . وكان بين كبار العلماء الذين اشتهلوا بالدراسات العربية الأستاذ قريمسكي والأستاذ كراتشكوفسكي .

وفي العهد السوفياتي اتسعت الدراسات الشرقية في بلادنا إلى حد كبير .
ونشأت في ليننغراد مدرسة استشراف فيلولوجية مشهورة كان يشرف على الدراسات
العربية فيها الأستاذ العلامة اغناطيوس كراتشكوفسكي المشهور .
أقصد وضع الأستاذ كراتشكوفسكي حوالي (٥٠٠) بحث علمي في الأدب
العربي القديم والحديث ، وفي العلم العربي والفكر العربي . وكان من أهم خدماته
في قضية دراسة الثقافة العربية أنه كان أول من جهل الأدب العربي الحديث
موضوع الدراسات العلمية ، بينما كان المستشرقون في أوربة الغربية لا يعترفون
إلا بالأدب العربي القديم .

وبعد وفاة كراتشكوفسكي (في كانون الثاني سنة ١٩٥١) ، قرر المجمع
العلمي السوفياتي إصدار مجموعة مؤلفاته . وقد جاء هذا القرار دليلاً على مبلغ
احترام الشعب السوفياتي لثقافة العرب التي وقف الأستاذ كراتشكوفسكي
حياته على دراستها وإطلاع الشعب عليها . وتتألف هذه المجموعة من ستة مجلدات
صدر منها حتى الآن ثلاثة ، يحتوي الأول منها ذكريات كراتشكوفسكي
عن خطواته الأولى في طريق دراسة الثقافة العربية ، وعن زيارته لسورية ومصر ،
كما يحتوي مقالاته عن اللغة العربية . ويتضمن المجلد الثاني أبحاث هذا العالم
في الأدب العربي القديم ، ويتضمن المجلد الثالث أبحاثه في الأدب العربي الحديث .
ويصدر عما قريب المجلد الرابع وفيه جمعت أبحاث الأستاذ كراتشكوفسكي
في الأدب العربي الجغرافي ، كما يحتوي المجلد الخامس على مقالاته في تاريخ
الدراسات العربية في روسيا ، والسادس على ترجمة كتاب ابن المعتز (في الشعر العربي) ؟
وعلى وصف كراتشكوفسكي للمخطوطات العربية في مكتبات الاتحاد السوفياتي .
ومن يجدر ذكره بين العلماء الذين عملوا في ليننغراد الأستاذ بوشمانوف
المتخصص في اللغات السامية والأفريقية ؛ وقد وضع عدة أبحاث في اللغة العربية

قيمة للغاية ، وكذلك الأستاذ فيلينتسك الذي عمل على وضع معجم عربي رومي خاص باللهجة السورية . وقد بذل في هذا السبيل جهوداً تستحق الإعجاب ، ولا سبباً إذا علمنا أنه كان مصاباً بالصمم . وقد توفي كلا هذين الأستاذين بيمد الحرب العالمية الثانية .

وفي أثناء الحرب الأخيرة توفي مستشرق رومي كبير آخر عاش في السنوات الأخيرة من حياته في أوكرانيا ، ونمي به الجمعي قريمسكي ، الذي زار سورية خلال السنوات ١٨٩١ - ١٨٩٨ ، وفي المرحلة الأولى من نشاطه العلمي أصدر سلسلة من الكتب للطلبة والمستشرقين ، منها (تاريخ الإسلام) وكتابات (اللغات السامية) و (تاريخ العرب) و (تاريخ الأدب الجاهلي) كما نشر عدداً كبيراً من المقالات عن الشرق في المصوغات الروسية ، وتجدر الإشارة إلى أن قريمسكي قد أخذ قبيل الحرب العالمية الثانية بوضع كتاب ضخيم في عدة مجلدات في تاريخ الأدب العربي الحديث . ولو أتم قريمسكي بحثه هذا لكان أول كتاب من نوعه في الاستشراق العالمي ، ولكن الحرب حالت دون ذلك فلم ينجز إلا المجلد الأول من كتابه . وتتخذ الآن التدابير اللازمة لإصدار جميع مؤلفات هذا العالم .

وأما في وقتنا الحاضر فإنه توجد مراكز كثيرة للدراسات الشرقية والمريية في الاتحاد السوفياتي . فهناك معهد للدراسات الشرقية في موسكو وله فروع المستقلة في طاشقند وباكو وقزان وتبليسي (تفليس) وليننغراد حيث ينحصر العلماء بوجه خاص في دراسة اللغة والآداب والمخطوطات المريية . وقد قُدم في هذه المراكز في المدة الأخيرة ما يقرب من ثلاثين أطروحة علمية في شتى موضوعات الأدب والتاريخ العربيين .

وقد نشر الأستاذ ينيبايف فصلاً كاملاً عن تاريخ العرب في كتاب « تاريخ الشرق في القرون الوسطى وفي العهد الجديد » ، كما ترجم الأستاذ نفسه إلى

اللغة الروسية القسم المتعلق بتاريخ شعوب آسيا الوسطى من تاريخ الطبري . وقدم
لهذه الترجمة بشرح مفصل لحياة الطبري ومؤلفاته العلمية .
وقد أعد الآن للنشر كتاب وضعه فريق من المستشرقين في معهد الدراسات
الشرقية عن تاريخ الحركة الوطنية التحررية في البلاد العربية بعد الحرب
العالمية الثانية .

ومنذ سنة صدر في موسكو كتاب « تاريخ الشرق الحديث » ، يحوي
فصولاً عن تاريخ مصر وسورية ولبنان والعراق وسواها من الأقطار العربية
من سنة ١٩١٢ إلى اليوم .

ونشر في طاشقند ترجمة (قانون الطب) لابن سينا . كما صدر في خار كوف
بحث في كتاب رحلة ابن فضلان إلى روسيا في القرن التاسع . وقد ترجم هذا
الكتاب إلى اللغة الروسية الأستاذ كوفاليفسكي مع دراسة ضافية .

وفي هذه السنة صدر في موسكو الطبعة الثانية من المعجم العربي الروسي
للأستاذ بارانوف من أساتذة جامعة موسكو . ويتميز هذا المعجم بدقة نقل
المفردات والمصطلحات العربية إلى اللغة الروسية . وهو يعدّ حقاً خير مساعد في
ترجمة النصوص الأدبية والاجتماعية والاقتصادية إلى الروسية .

وقد هيا القسم العربي لمعهد الدراسات الشرقية (دليل سورية) . وهو كتاب
ضخم في خمس وعشرين ملزمة ، يتضمن معلومات مفصلة عن تاريخ سورية وثقافتها
في العهد الجديد . وصينشر هذا الكتاب في هذا العام إن شاء الله .

ويشترك المستشرقون عندنا في ترجمة نماذج من الأدب العربي الحديث إلى
اللغة الروسية . وقد نشر باللغة الروسية حتى الآن بعض الروايات والقصص
لأدباء العرب في مصر وسورية ولبنان والعراق ، بينها كتاب (الأيام)
لطه حسين الذي نقله إلى الروسية العلامة كراتشكوفسكي ، ورواية (عودة
الروح) لتوفيق الحكيم .

وفي عام ١٩٥٥ صدرت مجموعة قصص لكتاب العرب تحوي نماذج من قصص محمود تيمور ، وعبد الرحمن الخلبس ، ويوسف إدريس ، ومحمد صدقي ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، ووصفي النبي ، ومحمد إبراهيم دكروب ، وأميل يوسف عواد ، وعبد المسيح حداد ، ومواهب الكيالي ، وأحمد السيد ، وذو النون أيوب . ونشرت كذلك مجموعة قصص للأدباء المصريين كمحمود تيمور ، وعيسى عبيد ، بنت الشاطئ ، والشرقاوي ، ويوسف جوهري ، وإدريس وسوام .

وفي سنة ١٩٥٦ نشر كتاب يتضمن مؤلفات ولي الدين يكن وجبران خليل جبران وأمير الريحاني ومحمود تيمور وشحادة عبيد وسلي صائغ وذو النون أيوب . وأعدت للنشر ترجمات بعض مؤلفات مواهب الكيالي وشوقي بغدادي وميخائيل أميمة ومارون عبود وحنا مينة وفاتح المدرس وسوام .

وكذلك نشر في العام الماضي في موسكو مجموعة تتضمن منتخبات من آثار الشعراء المصريين .

وفي معهد الدراسات الشرقية تصدر شهرياً عدة مجلات علمية ، منها (مجلة لاستشراق السوفياتي) ، و (الرسائل العلمية) ، و (أخبار معهد الدراسات الشرقية) . وعمما قريب ستظهر مجلة جديدة اسمها (الشرق الحديث) .

ويوجه القسم العربي في المعهد في الوقت الحاضر اهتمامه الخاص إلى بحث عميق . ألا وهو (قضية الوحدة العربية) ، ويحاول دراسة العوامل التاريخية ، الاجتماعية الاقتصادية والثقافية واللغوية التي تنطوي عليها هذه القضية العظمى .

عبد الرحمن سلطانوف

ديوان الحافظ محمد النجار

الشامي

دعاني الأديب المؤرخ الشيخ محمد باقر ألفت الاصفهاني إلى زيارة بلدة اصفهان ،
مدينة العجائب العاصرة بالمدارس والمساجد والخزائن ؛ وقد لبثت في بيته عدة
أيام تصفحت في أثنائها خزائنه الخافلة بالكتب الخطية والأعلاق العربية النفيسة .
وقد عملت لنفسي فهرست ما بهم من نوادر خزائنه ، فأتاحت لي فهرست مخطوطاته
الاطلاع على طائفة كثيرة من المجموعات الأدبية المحفوظة بخزائنه التي تعد
- والحق أقول - من الدخائر .

ومن تلك الكتب القيمة نسخة من ديوان الحافظ محمد الشهير بالنجار ؛ كما
عبّر هو عن نفسه في الأرجوزة التي ألبتها في أواخر الديوان ، المسماة (لؤلؤة
التزبه للرب التزبه عن التعطيل والتشبيه = نظم كتاب مقامات الأولياء للشيخ
عبد الوهاب الشعراني) قال :

قال الفقير حامل الأوزار محمد الشهير بالنجار

وقال - في نظم رموز كتاب الحصن الحصين التي اختارها ابن الجزري :

قال الفقير الحافظ النجار محمد من مضه الأوزار

طول أوراق النسخة ٢١ و ٥ سنتيمتر في عرض ١٦ و ٧ ، وجميع أوراقها
٢٤٣ وفي كل صفحة ٢٣ سطراً وهي مكتوبة في عصر الشاعر وربما كانت
نسخة الأصل (ظ) فقد أرخ الشاعر الحوادث إلى سنة ١١٧٣ هـ وفي أولها :
(دخل في ملك أفقر الوري إليه سبحانه ونمالي السيد مصطفى بن السيد أحمد
خادم أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - سنة ١١٧٥) ، والصفحة الأولة

من الديوان [الورقة ١ ب] ييضاء فارغة لعل الشاعر انتوى كتابة خطبة

الديوان فيها ثم أدركه الموت ، وفي أواخر هذه الصفحة :

لما جحدت مودتي وتمرفي

وضلت في قصد السبيل المقرف

وغددتني ناديت بمد تلهفي

وننته في [الورقة ١٣] :

لله في عنتي بين المصحف وعلي كل ذنوب أهل الموقف

..... الخ

وهذا الديوان حافل بفوائد وحوادث كثيرة مستطرفة ؛ منها :

سنة ١١٥٤ وفاة الشيخ مصطفى المصري الحافظ شيخ القراء بدمشق

١١٥٥ وفاة موسى آغا بن الاردك

١١٥٦ تولية أسعد بشه (كذا - باشا) بن العظم على دمشق وأعمالها

١١٥٩ وفاة السيد محمد فقي الدقتردار بأمر السلطان عصر نهار الأحد

منتصف جمادى الآخرة .

١١٦٧ تاريخ بناء خان الوزير أسعد باشا بن العظم

أواخر ١١٦٧ وفاة المجدوب الشاخ الشيخ خليل الملقب بالبياض

١١٦٨ وفاة الشيخ محمد الداودي

« سنة ١١٧٠ لعشر خلون من شهر رمضان ، وقع شر بين طائفة البنكشارية

وطائفة القول . واستمر في دمشق الى آخر ربيع الثاني

سنة ١١٧٢ »

١١٧١ ولي المولى السيد علي افندي المرادي وظيفة الإفتاء بدمشق

١١٧٣ « في أوائل شهر ربيع الأول ، ليلة الثلاثاء منه ، قبل ليلة

المولد الشريف بثلاث ليال ، أو ما يقرب من ذلك ، في منتصف تلك الليلة

المذكورة ، جاء في دمشق ونواحيها زلزال هدم البنيان ، وأبتم ، وخرب المنارات ،
ونادر المساجد ، والنواحي ، خرابا . . . سقطت أعالي منارة المروس ، وصارت
منارة عيسى الأرض ، وسقطت قبة النصر ، وتهدم أعالي الجانب الشمالي من
الجامع . . . فأمر القاضي بالصيام ثلاثة أيام» .

وفي الدبوان مدح لحامد أفندي العمادي شيخ الإسلام ، والوزير صليان
باشا بن العظم ، ويحيى آغا بن طالوا ، وأحمد باشا بن العظم . . .
ومن طرائفه أبيات « طلبها بعض الأصدقاء لتقرأ يوم ختم درس الحديث ،
تحت قبة النصر ، في الجامع الأموي ، والمدرس إذ ذاك - شيخ مشايخنا ؛
علامة الفطر الشامي . . . الشيخ اسمعيل العجلوني » ، وأبيات قالها لما أكمل نسخ
كتاب انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون . واخر نظمها « اجابة لمطلب
محمد جريسي القباني يشكر هدية تقيب أفندي السيد علي العجلاني - كتاب
الكشكول » . وقد نظم بعض قواعد الرسم والنحو . وله مراسلات مع الشيخ
عبد الله الحلبي .
الدكتور حسين علي محفوظ

أغلاط مطبعية

وقمت في هذا الجزء ، أغلاط مطبعية تصحح كما يلي :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٤٣٥	أصامع	أسامع
٤٣٦	من كل فج	في كل فج
٤٣٧	لم يفهم	لم يفهم
٤٣٧	لو كاد	لو كان

فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين

	صفحة
للأستاذ شفيق جبري	٣٨٥ ثلاث رحلات
للدكتور عبد الرحمن الكيالي	٣٩٣ ثقافة الأطباء عند العرب (١)
للمطران غريغوريوس بولس بهنام	٤٠٩ العلاقات الطومرية بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية » (٤)
للأستاذ شفيق جبري	٤٢٥ بضولات العرب (فصيحة)
للأستاذ مازن المبارك	٤٣١ الزجاجي : حياته وآثاره (٢)
للأستاذ أبو محفوظ الكريم المصري	٤٤٧ كتاب شرح الألفات (٢)
للدكتور حسني صبح	٤٦٢ نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللفات (٣)
للدكتور صالح الأشتر	٤٧٩ مختارات ما لم ينشر من شعر البحتري (٣)
للدكتور محمد صفيح حسن المصري	٤٩٠ كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٧)

التعريف والنقد

للأمير مصطفى الشاهي	٥٠٧ فتايا الفكر في الأدب المعاصر
للأستاذ محمد بهجة البيطار	٥٠٨ وجوب التعاون بين الملمين
	٥٠٩ ١- توضيح الكالية الشافية ٢- الحق الواضح المبين
	٥١٢ كتاب البحر الزخار
	٥١٥ فتح الفتار
للدكتور حسني صبح	٥١٨ نظرة في أعماق الإنسان
للأمير جعفر الحسني	٥٢٢ أعلام (للزركلي)
	٥٢٣ الوطن العربي
	٥٢٤ العرب والإسلام
للدكتور حسين علي محفوظ	٥٢٥ ديوان ابن الخطيب
للأستاذ منير الشريف	٥٢٧ المنظمات الاقتصادية الدولية

آراء وأنباء

للأمير مصطفى الشاهي	٥٣٠ المرحوم الدكتور منصور فهمي
للأستاذ عبد الرحمن سلطانوف	٥٣٥ الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي
للدكتور حسين علي محفوظ	٥٤٦ ديوان الحافظ محمد النجار الشامي
	٥٤٣ أغلام مدينته